Arabic Selection

المنتخبات العربية

للبيسانس

جامعة كولكاتا

٢٠١٤

ARABIC SELECTION

FOR (B.A. HONOURS)

Under 1+1+1 system

New Regulation

UNIVERSITY OF CALCUTTA

2014

CUL - H05406 - 73 - 9145835

Arabic Selection

المنتخبات العربية

لليسانس

جامعة كولكاتا

73

٢٠١٤

ARABIC SELECTION

FOR (B.A. HONOURS)

Under I+I+I system

New Regulation

CALCUTTA UNIVERSITY CENTRAL LIBRARY

UNIVERSITY OF CALCUTTA

2014

B.A. Honours

بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد الأنبياء و المرسلين و على آله وأصحابه و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

كان المقرر الدراسى لقسم اللغة العربيه فى الكليات التابعة لجامعة كولكاتا قديماً جداً. وكذلك كان يعطى معظم عنايته بالجانب الأدبى دون الاهتمام بتحسين اللغة و جعل الطلاب متمكنين على المحادثة و الكتابة و الخطابة باللغة العربية فأحست هيئة الدراسات لقسم اللغة العربية و الفارسية بأن يهتم باجادة اللغة كتابة و محادثة مع الاهتمام المناسب بتدريس الأدب العربى. فقررت هيئة الدراسات لقسم اللغة العربية والفارسية فى اجتماعها أن التجديد والتغيير فى المقرر الدراسى من أهم متطلبات العصر الراهن، وانتخبت الهيئة مقررات دراسية للبكالوريس فى اللغة العربية بعد المراجعة إلى المناهج الدراسية لعديد من الجامعات الهندية مراعيةً للمستوى العقلى للطلبة، وقبلت تلك المقررات الهيئة التعليمية لمرحلة البكالوريوس لجامعة كولكاتا.

وقررت اعداد كتابين لكل واحد من البكالوريوس (اختصاص) و البكالوريوس للغة العربية ولذلك نقدم الشكر والتهانى إلى فضيلة السكرتير للهيئة التعليمية لمرحلة البكالوريوس بأنه قدم مساعدةً ماليةً لطباعة هذين الكتابين.

و قمت أنا و الدكتور محمد مسيح الرحمن بجمع المواد الدراسية من النثر و الشعر و تراجم أعلام الأدب العربى من مكتبات مختلفة. وكذلك قمنا بتصحيح الألفاظ و الكلمات خلال مراجعتهما.

واخيراً نشكر الأخ الفاضل الدكتور شمس الدين ملك، الاستاذ المساعد بجامعة كولكاتا وسعيد الرحمن ,الاستاذ المساعد بالجامعة العالية بكولكاتا، وكل من قدم إلينا مساعدة، فلهم الشكر والثناء.

الدكتور بديع الرحمن
البروفيسور فى قسم اللغة العربية و الفاسية
. و رئيس لجنة التعليم للغة العربية و الفارسية جامعة كولكاتا

الدكتور محمد مسيح الرحمن
استاذ مساعد. قسم اللغة العربية و ادآبها جامعة عالية كولكاتا

G-145835

Arabic Selection

PROSE

ISLAMIC & MEDIEVAL PROSE

UNIT I

١ – سورة الحجرات –	القرآن الكريم.	9
٢ – سورة بنى اسرائيل –	القرآن الكريم.	11
٣ – الصحيح (احاديث منتخبة) –	صحيح المسلم.	14
٤ – خطبة النبى فى حجة الوداع –	محمد ﷺ	23
٥ – سلمان الفارسي –	د. عبد الرحمٰن رافت باشا.	26
٦ – قصة أهل البَصْرة مِن المَسجِدِيّين –	جاحظ	37

UNIT II

٧ – خطبة عمر فى الحكم –	عمر بن الخطابؓ.	46
٨ – مؤامرة قريش –	ابن هشام	48
٩ – القضاء والقدر	عبد الله بن المقفع	53
١٠ – بين قاضٍ وَقور، وذباب جسُور –	جاحظ.	58
١١ – أشعَب وَالبخيل –	أبو الفرج الأصفهانى.	61
١٢ – القميص الأحمر –	إبن عبد ربه.	64
١٣ – إن حملة العلم فى الإسلام اكثرهم العجم –	إبن خلدون.	69

B.A. Honours

MODERN PROSE

UNIT I

١–أول العهد بيثرب–	محمد حسين هيكل.	74
٢–مرتا البانية–	جبران خليل جبران.	96
٣– حنان أب	محمد الحبيب التونسى	113
٤–تجارة رابحة–	طه حسين.	125
٥–مَنهجُ الأنبياء في الإصلاح والتغيير–	سيد أبو الحسن على الندوي	130
٦– إلى ولدى–	أحمد أمين.	138
٧– خطبة طارق بن زياد عند فتح الأندلس–	طارق بن زياد.	162

UNIT II

٨– الدفين الصغير	مصطفى لطفى المنفلوطى	164
٩–حادثة (دنيا الله)–	نجيب محفوظ.	171
١٠– داء النسيان	توفيق الحكيم	181
١١–بين الأمس واليوم –	سيد على الطنطاوي	190
١٢– الثقافة الهندية–	أحمد أمين.	199
١٣–أبو أيُّوبَ الأنصَارِيُّ–	عبد الرحمٰن رافت باشا.	208
١٤– المدنية الإسلامية	شكيب ارسلان	220

١–الثبات–	القرآن الكريم.	225
٢–على وفاة الرسول–	أبو بكر صديق رضي الله عنه.	228
٣–هرقل وأبوسفيان–	صحيح البخاري.	230
٤–محمد صلى الله عليه وسلم الرسول–	سميح عاطف الزين.	233
٥–خطبة حجاج بن يوسف الثقفي–	حجاج بن يوسف الثقفي.	247
٦–بخيل حكيم–	جاحظ.	249
٧– الكوخ والقصر–	مصطفىٰ لطفي المنفلوطي.	256
٨– قصة حب	طه حسين.	259
٩–السلطان الحائر	توفيق الحكيم	277
١٠–ما ذا تعلم الغرب–	محمد خلف الله.	340

B.A. Honours

HONOURS POETRY

Pre-Islamic, Islamic and Medieval

Page No.		Unit- I
349	٦٠ بيتا	١–معلقة إمرئ القيس
353	٤٣ بيتا	٢–معلقة لبيد بن ربيعة
356	١–وقال يرثى النبيّ، ٢– وقال فى يوم بدر	٣–حسان بن ثابت :
358	١–سالم بن وابصة الأسدى، ٢–العباس بن مرداس السلمى	٤–الحماسة :
359	يمدح سيدنا عليا زين العابدين	٥–الفرزدق–
360	وله يرجو قضاء حاجة من عمر بن عبد العزيز	٦–جرير–
		Unit- II
361	٤١ بيتا	١– ابن الرومى
365	نعد المشرفية والعوالى	٢–متنبى
368	وله فى الوعظ	٣–أبو العتاهية
369	١– ألا فى سبيل المجد، ٢–وإنى وإن كنت الأخير	٤– أبو العلاء المعرى :
370	شربنا على ذكر الحبيب	٥–إبن الفارض :

MODERN POETRY

Page No.		Unit- I
373	أيام لذتى وشبابى	١– محمود سامى البارودى:
375	صدىٰ الحرب	٢– أحمد شوقى بك :
377	الهمزية النبوية	٣– أحمد شوقى بك :
381	إلى الاستاذ محمد عبده	٤– حافظ إبراهيم:
383	جميل وبُثَين	٥– الزهاوى :
	Unit- II	
384	سَكران	١– عباس محمود العقاد :
387	عُصفور الجنة	٢– عبد الرحمٰن شكرى :
388	حِضن الأم	٣– رشيد سليم الخورى :
390	صلوات فى هيكل الحب	٤– أبو القاسم الشابى :

١–معلقة زهير بن أبى سلمىٰ :	زهير بن أبى سلمى	395
٢–حسان بن ثابتٰ:	نحن الكرام	399
٣–السمؤال :	اذا المرٔ لم يدنس	399
٤– الخنساء :	ترثى صخرا	401
٥– معن بن أوس المزانى :	الحماسة	402
٦– المؤمل بن أُمَيل المُحاربىُّ :	الحماسة	403
٧– رجل من بنى قُرَيع وهو المعلوط :	الحماسة	403
٨–أبو العلاء المعرى :	ابق فى نعمة بقاء الدهور	404
٩–المتنبى:	أمن ازديارك فى الدجىٰ الرقباء	405
١٠– جرير :	قال يمدح عمر بن عبد العزيز	408
١١–إبن الفارض :	أرح النسيم	410
١٢–البارودى :	قال فى الحكمة	412
١٣–أحمد شوقى بك :	آية العصرفى سماء مصر	413
١٤– مسرد الكلمات :		415
١٥– أحوال الشخصيات		430

سورة الحجرات

القرآن الكريم

مدنية وهى ثمانى عشرة آيةً وفيها رُكوعانِ

يٰاَيُّهَا الذين اٰمنوا لا تُقَدّموا بين يَدَيِ اللّٰه ورسُولهٖ واتّقُوا اللّٰه ط إنَّ اللّٰه سَميع عليم ٥ يٰاَيها الذين اٰمنوا لا ترفعوا اصواتكم فَوق صَوتِ النّبى ولا تجهرُوا لهٗ بالقولِ كجهْرِ بعضِكم لبعضٍ اَنْ تحبط اَعمالُكم وأنتم لا تشعرون ٥ اِنّ الذّينَ يغُضّون اَصواتهم عند رسولِ اللّٰه اُولٰٓئِك الذين امْتحن اللّٰه قلوبهم للتّقوىٰ ط لهم مغفرة و اَجر عظيم ٥ اِن الذين يُنادُونك مِن ورآءِ الحجُرات اَكثرهم لا يعقِلون ٥ ولو اَنّهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم ط واللّٰه غفور رحيم ٥ يٰاَيها الذين اٰمنوا اِن جآءكم فاسق بنبأٍ فتبيّنوا اَن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحوا على ما فعلتم نٰدمين ٥ واعلموآ اَنّ فيكم رسول اللّٰه ط لويطيعكم فى كثير من الأمر لعنتّم ولٰكن اللّٰه حبّب إليكم الإيمان وزيّنهٗ فى قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان ط اُولٰٓئِك هم الراشدون ٥ فضلًا من اللّٰه ونعمةً ط واللّٰه عليم حكيم ٥ وإن طآئفتٰن من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغتْ إحداهما على الأخرىٰ فقاتِلوا التى تبغى حتى تفِيْٓءَ اِلٰٓى اَمرِ اللّٰه ج فإن فآءتْ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطُوا

إنّ الله يحب المقسطين o إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين آخويكم ج واتقوا الله لعلكم تُرحمون o يٰأيها الذين أمنوا لا يسخر قوم من قوم عسٰى آن يكونوا خيراً منهم ولا نِسآء من نسّآءٍ عسٰى آن يكنّ خيراً منهن ج ولاتلمزوا آنفسكم ولاتنابزوا بالالقاب ط بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ج ومن لم يتب فأُولٰٓئِك هم الظٰلمون o يٰايها الذين أمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولاتجسّسُوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ط أيحب آحدكم آن ياكل لحم آخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إنّ الله تواب رحيم o يٰايها الناس إنا خلقنٰكم من ذكر وأُنثىٰ وجعلنٰكم شعوباً وقبآئل لتعارفوا إنّ اكرمكم عند الله آتقٰكم ط إنّ الله عليم خبير o قالتِ الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولٰكن قُولوآ آسلمنا ولمّا يدخُل الإيمان فى قلوبكم وإن تُطيعوا الله ورسولهٗ لا يلتكم من آعمالكم شيئاً ط إنّ الله غفور رحيم o إنما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسولهٖ ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ط أولٰٓئِك هم الصّدقون o قُل آتعلّمون الله بدينكم ط والله يعلم ما فى السمٰوات وما فى الأرض ط والله بكل شيءٍ عليم o يمنّون عليك آن آسلموا ط قل لّاتمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمُنّ عليكم آن هدٰكم للايمان إن كنتم صٰدقين o إنّ الله يعلم غيب السمٰوات والأرض ط والله بصير بما تعملون o

سورة بنى اسرائيل

القرآن الكريم

مكية وهى مائه واحدى عشرة آية واثنا عشر ركوعاً

ويـدع الإنسانُ بالشرّ دُعآء هٗ بالخير وكان الإنسان عجولا o وجـعـلـنـا اليـل والـنهـار اٰيتيـن فـمحونآ اٰية اليل وجعلنآ اٰية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شـئ فصلنٰه تفصيلاo وكـل انسـان الزمنٰه طائِره فى عنقه ونـخرج له يـوم الـقيٰمة كتٰبا يلقٰه منشورا o إقـرا كتٰبك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباo مـن اهتـدىٰ فـانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اُخرىٰ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا o وإذا أردنـا أن نهـلك قـرية أمـرنـا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القولُ فـدمرناها تدميراo وكـم اهـلكنا من القرون من بعد نوح وكفىٰ بربك بذنوب عبادهٖ خبيراً بصيرآo من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشـآءُ لمن نريدُ ثم جعلنا له جهنم يصلٰها مذموماً مدحوراً o ومن أراد الاٰخرة و سـعـىٰ لهـا سعيٰها وهو مؤمن فاولٰٓئِك كان سعيهم مشكورا o كـلا نـمـدّ هٰـؤلآءِ وهٰـؤلآء مـن عـطـآء ربك ومـا كـان عـطـآءُ ربك

محظوراo انظر كيف فضلنا بعضهم علىٰ بعض وللأخرة اكبر درجٰت واكبر تفضيلاo لا تجعل مع الله إلٰها أٰخر فتقعد مذموما مخذولا o وقضى ربك الاّ تعبدوا الاّ اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغنّ عندك الكبر احدُهما أو كلٰهما فلا تقل لهمآ أُفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما o واخفض لهما جناح الذُّل من الرحمة وقل رّب ارحمهما كما ربّيٰنى صغيراo ربكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صٰلحين فانه كان للاوّابين غفورا o واٰتِ ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيرا o ان المبذرين كانوآ اخوان الشيطان وكان الشيٰطنُ لربهٖ كفورا o واما تعرضنّ عنهم ابتغآء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا o ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا o انّ ربك يبسطُ الرزق لمن يشآءُ ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا o ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحنُ نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا o ولا تقربوا الزنٰى انه كان فاحشة وسآء سبيلا o ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحقّ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطٰنا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا o ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى

هـى احسـنُ حتـى يبـلـغ اشده واوفوا بالعهد انّ العهدَ كان مسئولا o
واوفـوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذٰلك خير واحسن
تاويلا o ولا تـقفُ مـا ليـس لك بـه علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولـٰئك كان عنه مسئولا o ولا تـمـشِ فى الأرض مرحا انك لن تـخرق
الأرض ولـن تبـلـغ الـجبـال طولاo كـل ذٰلك كـان سيّـئُـه عند ربك
مكروها o ذٰلك مـمـآ اوحٰى اليك ربك من الحكمة ولا تـجعل مع اللّٰه الٰها
اٰخـر فتلقىٰ فى جهنم ملوما مدحوراo افاصْفٰكم ربكم بالبنين واتّـخذ
من الملٰئكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيماo

الصحيح

(احاديث منتخبة)

الإمام مسلم بن الحجاج القشيرى

باب بر الوالدين وانهما احق به

عن أبى هريرة قال قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة ـ قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك.

عن يزيد بن أبى حبيب إن ناعماً مولى أم سلمة حدثه أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال أقبل رجل إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال أبايعك على الهجرة والجهاد ابتغى الأجر من الله .قال فهل من والديك احد حيٌّ .قال نعم بل كلاهما، قال فتبتغى الأجر من الله قال نعم. قال فارجع إلي والديك فاحسن صحبتهما.

باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما

عن إبن عمر انه كان إذا خرج إلي مكة كان له حمار يتروح عليه إذا مل ركوب الراحلة ، وعمامة يشد بها رأسه فبينما هو يوما على ذلك الحمار إذ مر به اعرابى فقال الست إبن فلان إبن فلان. قال بلى. فأعطاه الحمار وقال اركب هذا والعمامة قال اشدد بها

رأسك. فقال له بعض اصحابه غفر الله لك اعطيت هذا الأعرابى حماراً كنت تروح عليه وعمامة كنت تشد بها رأسك. فقال انى سمعت رسول الله ﷺ عليه وسلم يقول من أبرّ البر صلة الرجل أهل وُدّ ابيه بعد أن يولىّ. وأن اباه كان صديقاً لعمر.

باب تفسير البر والإثم

عن النّوّاس بن سمعان الأنصارى قال سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن البر و الإثم. فقال البر حُسن الخُلق. والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس.

باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها

عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم. فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة. قال نعم أما ترضين أن اصل من وصلك واقطع من قطعك. قالت بلى. قال فذاك لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم اقرؤا إن شئتم *فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا ارحامكم. اولئك الذين لعنهم الله فاصمّهم واعمى أبصارهم*

افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها۔

باب التحريم التحاسد والتباغض والتدابر

عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاث۔

باب تحريم الهجرة فوق ثلاثة أيام بلاعذر شرعى

عن أبى ايوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم أن يهجر اخاه فوق ثلاث ليال۔ يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام۔

باب فضل عيادة المريض

عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عائد المريض فى مخرفة الجنة حتى يرجع۔

باب تحريم الظلم

عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى انه قال ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته

بينكم محرما فلا تظالموا. يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى اهدكم. يا عبادى كلكم جائع إلا من اطعمته. فاستطعمونى اطعمكم. يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته. فاستكسونى اكسكم. ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا. فاستغفرونى اغفرلكم. ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى. ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى. ياعبادى لو أن اوّلكم و آخركم وانسكم وجنّكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا. ياعبادى لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجِنّكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا .ياعبادى لو أن أوّلكم وآخركم وانسكم وجنّكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر. ياعبادى إنما هى اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها .فمن وجد خيراً فليحمد الله .ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه.

باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم

عـن أبـى مـوسـى قـال قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً۔

باب النهى عن السباب

عـن أبـى هـريـرة ان رسـول الـلـه صلى الله عليه وسلم قال المستبان ما قالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم۔

باب استحباب العفو و التواضع

عن أبى هريرة عـن رسـول الـلـه صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع احد لله إلا رفعه الله ۔

باب ذم ذى الوجهين و تحريم فعله

عـن أبـى هـريـرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه۔

باب تحريم النميمة

عـن عبـد الـلـه بن مسعود قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم

قال ألا انبئكم ما العَضْهُ. هى النميمة القالة بين الناس. وإن محمدا صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقاً ويكذب حتى يكتب كذّاباً.

باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله

عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلي البر وإن البر يهدى إلي الجنة. وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فان الكذب يهدى إلي الفجور وإن الفجور يهدى إلي النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.

باب فضل إزالة الأذى عن الطريق

عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن شجرة كانت تؤذى المسلمين فجاء رجل فقطعها فدخل الجنة.

باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذى لا يؤذى

عن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار. لا هى اطعمتها

وسقتها اذ هى حَبَستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض۔

باب الوصية بالجار والإحسان إليه

عن عمر بن محمد عن أبيه قال سمعت إبن عمر يقول قال رسول الله ﷺ مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه۔

باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء

عن أبى ذر قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق۔

باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام

عن أبى موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اتاه طالب حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما احبّ۔

باب الإستئذان

عن بِسر بن سعيد قال سمعت ابا سعيد الخدرى يقول كنت جالساً بالمدينة فى مجلس الأنصار۔ فاتانا ابو موسى فزعاً او مذعوراً قلنا ما شأنك۔ قال إن عمر أرسل إلي أن اتيه فاتيت بابه

فسلمت ثلاثا فلم يرد عليّ فرجعت ـ فقال ما منعك أن تأتينا. فقلت إنى اتيتك فسلمت على بابك ثلاثا فلم تردوا عليّ فرجعت. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع. فقال عمر اقم عليه البينة وإلا ارجعتك .فقال أبيّ بن كعب لا يقوم معه إلا اصغر القوم. قال ابو سعيد قلت انا اصغر القوم قال فاذهب به.

باب كراهة قول المستأذن أنا إذا قيل من هذا ؟

عن جابر بن عبد الله قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فدعوت. فقال النبى صلى الله عليه وسلم من هذا. قلت انا قال فخرج وهو يقول انا انا ـ

باب تحريم النظر فى بيت غيره

عن إبن شهاب ان سهل بن سعد الساعدى اخبره أن رجلًا اطلع فى حجر فى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله ﷺ مدرى يحك به رأسه ـ فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو اعلم أنك تنظرنى لطعنت به فى عينك. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الاذن من اجل البصر.

G-145835

باب تسليم الراكب على الماشى والقليل على الكثير

عن إبن جريج اخبرنى زياد ان ثابتا مولى عبد الرحمن إبن زيد اخبره انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد و القليل على الكثير۔

باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام

قال ابو طلحة كنا قعودا بالافنية نتحدث فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا ۔ فقال مالكم ولمجالس الصعدات اجتنبوا مجالس الصعدات ۔فقلنا إنما قعدنا لغير ما بأس قعدنا نتذاكر ونتحدث۔ فقال اما لا فادّوا حقّها غض البصر ورد السلام وحسن الكلام۔

باب من حق المسلم للمسلم ردّ السلام

عن أبى هريره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم على المسلم ست۔ قيل ما هن يا رسول الله ۔ قال إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فاجبه وإذا استنصحك فانصح له وإذا عطس فحمد الله فشمته وإذا مرض فعده وإذا مات فاتبعه۔

خطبة النبى ﷺ فى حجة الوداع

محمد ﷺ

ونـذكر هنا نص الخطبة التى خطبها رسول الله ﷺ يـوم عـرفة، ونـصّ الـخـطبة التـى خطبهـا فـى أوسط أيـام التشـريـق، لـلـموعظة البليغة، والفوائد الكثيرة التى تشتمل عليها هاتان الخطبتان العظيمتان.

فقال فى خطبة عرفة :

"إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، فـى شهركم هذا، فى بلدكم هذا، ألا كل شئ من أمر الجاهلية تـحـت قـدمـيّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضـعـه مـن دمـائـنـا دم إبـن ربيـعة بـن الـحـارث كـان مسترضـعـاً فـى بـنـى سـعـد فـقتلـه هذيل، وربـا الـجـاهلية مـوضـوع، وأول ربـا أضـع مـن ربـانـا ربـا العبّاس بن عبد الـمـطـلـب، فـإنـه موضوع كله، فاتقوا الله فى النساء، فإنكم أخـذتـمـوهـنّ بـأمـانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، ولـكـم عـليهـنّ ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فـاضـربـوهـن ضـربـاً غيـر مبـرح، ولهـنّ عليكم رزقهنّ

وكسوتهنّ بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وسنة نبيه، وأنتم تسألون عنى، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السمآء وينكبها إلى الناس: اللهم أشهد ثلاث مرات".

وهذا نص الخطبة التى خطبها ﷺ فى أوسط أيام التشريق:

"يا أيها الناس! هل تدرون فى أى شهر أنتم وفى أىّ يوم أنتم وفى أىّ بلد أنتم؟ فقالوا: فى يوم حرام، وبلد حرام، شهر حرام، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا، وفى بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، ثم قال: اسمعوا منى تعيشوا، ألا! لا تظلموا، ألا! لا تظلموا، ألا لا تظلموا، إنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه منه، ألا! وإن كل دم ومال ومأثرة كانت فيه الجاهلية تحت قدميّ هذه، إلى يوم القيامة وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعاً فى بني ليث فقتلته هذيل، ألا! وإن كل ربا فى

الجاهلية موضوع، وإن الله عزوجل قضى أن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب، لكم رؤس أموالكم، لا تظلمون ولاتُظلمون، ألا! وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم" ألا! لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا! إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكنه في التحريش بينكم، واتقوا الله في النساء، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإن لهن عليكم حقاً، ولكم عليهن حقاً ألايوطئن فرشكم أحداً غيركم، ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه، فإن خفتم نشوزهن، فعظوهنّ، واهجروهنّ في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله عزوجل، ألا ومن كانت عنه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وبسط يديه، وقال: ألا! هل بلغت؟ ألا! هل بلغت، ثم قال: ليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ أسعد من سامع.

سلمانُ الفارسيُّ

د. عبد الرحمن رافت باشا

"لو كان الإيمان بالثُّريّا لتناوله رجال من هؤلاء"

[قالها الرسول ﷺ وكان واضعاً يده علىٰ سلمان]

قِصتنا هذه هي قصة السَّاعي وراء الحقيقة، الباحث عن الله

--

قصة سلمان الفارسى رضي الله عنه وأرضاه.

فنترك لسلمان نفسه المجال ليروي لنا أحداث قصته..

فشعوره بها أعمق، وروايتُه لها أدقُّ وأصدق..

قال سلمان:

كنت فتى فارسياً من أهل "أصبهان"، من قرية يقال لها: "جيّان" وكان أبي "دُهقان" القرية، وأغنىٰ أهلها غنى، وأعلاهم منزلة.

وكنت أحبَ خلق الله إليه منذ وُلدتُ، ثم ما زال حبه لي يشتد ويزداد علىٰ الأيام حتىٰ حبسني في البيت خشية عليَّ؛ كما تحبس

الفتيات.

وقد إجتهدت في "المجوسية"، حتىٰ غدوتُ قيّم النار التى كُنّا نعبدها، وأنيط بي أمر إضرامها حتىٰ لا تخبو ساعةً في ليل أو نهار.

وكان لأبي ضيعة عظيمة تدِرُّ علينا غلّةً كبيرةً، وكان أبي يقومُ عليها، ويجنِي غلّتها.

وفي ذات مرةٍ شغله عن الذهاب إلىٰ القرية شاغل، فقال:

يا بنيَّ إني قد شغلتُ عن الضيعة بما ترىٰ، فاذهب إليها وتولَّ اليوم عنى شأنها، فخرجتُ أقصد ضيعتنا، وفيما أنا في بعض الطريق مررتُ بكنيسة من كنائس النَّصارىٰ: فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يصلون فلفتَ ذلك إنتباهي.

☆ ☆ ☆

لم أكن أعرف شيئاً من أمر النصارىٰ أو أمر غيرهم من أصحاب الأديان لطول ما حجبني أبي عن النّاس في بيتنا، فلما سمعتُ أصواتهم دخلت عليهم لأنظر ما يصنعون.

فلمّا تأمّلتُهم أعجبتني صلاتهم، ورغبتُ في دينهم وقلتُ:

والله هذا خير من الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتىٰ غربتِ الشمسُ، ولم أذهب إلىٰ ضيعة أبي، ثم إنّي سألتُهم:

أين أصل هذا الدِين؟.

قالوا: في بلاد الشّام.

ولما أقبل الليل عُدتُ إلىٰ بيتنا فتلقّاني أبي يسألني عما صنعت، فقلتُ: يا أبتِ إني مررت بأناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، وما زِلتُ عندهم حتىٰ غربتِ الشمس..

فذُعر أبي مما صنعت وقال: أي بنيَّ ليس في ذلك الدين خير.. دينك ودين آبائك خير منه.

قلتُ: كلاّ –والله– إنّ دينهم لخير من ديننا، فخاف أبي مما أقول، وخشي أن أرتدَّ عن ديني، وحبسني بالبيت، ووضع قيداً في رجليَّ.

ولما أتيحتْ لي الفُرصةُ بعثت إلىٰ النصارىٰ أقول لهم:

إذا قدم عليكم ركب يريد الذهاب إلىٰ بلاد الشام فأعلموني.

فما هو إلا قليل حتىٰ قدم عليهم ركب متجه إلىٰ الشام، فأخبروني به فاحتلت علىٰ قيدي حتىٰ حللته، وخرجت معهم مختفياً حتىٰ بلغنا بلاد الشام.

فلما نزلنا فيها، قلتُ: من أفضل رجلٍ من أهل الدين ؟

قالوا: الأسقف راعي الكنيسة، فجئته فقلت:

إني قد رغبت في النصرانية، وأحببت أن ألزمك وأخدمك وأتعلم منك وأصلي معك.

فقال: ادخل، فدخلتُ عنده وجعلت أخدمه.

ثم ما لبثتُ أن عرفتُ أن الرجل رجل سوء؛ فقد كان يأمر أتباعه بالصدقة ويرغّبهم بثوابها، فإذا أعطوه منها شيئاً لينفقه في سبيل الله؛ اكتنزه لنفسه ولم يعط الفقراء والمساكين منه شيئاً؛ حتىٰ جمع سبع قلال من الذهب.

فأبغضته بغضا شديداً لما رأيته منه، ثم ما لبث أن مات فاجتمعتِ النصارىٰ لدفنه، فقلت لهم:

إنَّ صاحبكم كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغّبكم فيها،

CALCUTTA CENTRAL LIBRARY

فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً.

قالوا: من أين عرفت ذلك ؟!.

قلت: أنا أدلكم علىٰ كنزه.

قالوا: نعم دلنا عليه، فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءةً ذهباً وفضةً، فلما رأوها قالوا:

والله لا ندفنه، ثم صلبوه ورجموه بالحجارة.

ثم إنه لم يمض غير قليل حتىٰ نصبوا رجلًا آخر مكانه، فلزمته، فما رأيت رجلًا أزهد منه في الدنيا، ولا أرغب منه في الآخرة، ولا أدأب منه علىٰ العبادة ليلًا ونهاراً، فأحببته حُباً جماً، وأقمت معه زماناً، فلما حضرته الوفاة قلت له:

يا فلان إلىٰ من توصي بي، ومع من تنصحني أن أكون من بعدك؟.

فقال: أي بنيَّ، لا أعلم أحداً علىٰ ما كنت عليه إلا رجلًا "بالموصل" هو فلان لم يحرف ولم يبدّل فالحق به.

فلما مات صاحبي لحقت بالرجل في "الموصل"، فلما قدمتُ

عليه قصصت عليه خبري وقلت له:

إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك مستمسك بما كان عليه من الحق، فقال:

أقم عندي.. فأقمت عنده فوجدته علىٰ خير حال.

ثم إنه لم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له:

يا فلان لقد جاءك من أمر الله ما ترىٰ وأنت تعلم من أمري ما تعلم، فإلىٰ من توصي بي؟..... ومن تأمرني باللحاق به ؟.

فقال: أي بنيّ والله ما أعلم أن رجلًا علىٰ مثل ما كنا عليه إلا رجلا "بنصيبين" وهو فلان فالحق به.

فلما غُيّب الرجل في لحده لحقت بصاحب "نصيبين" وأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي، فقال لي:

أقم عندنا.. فأقمت عنده فوجدته علىٰ ما كان عليه صاحباه من الخير، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضرتُه الوفاةُ قلت له:

لقد عرفت من أمري ما عرفت؛ فإلىٰ من توصي بي؟.

فقال: أي بني، والله إني ما أعلم أحداً بقي علىٰ أمرنا إلا رجلًا "بعمورية" هو فلان، فالحق به، فلحقتُ به وأخبرته خبري، فقال:

أقم عندي.. فأقمت عند رجل كان –والله– علىٰ هدي أصحابه، وقد اكتسبت وأنا عنده بقرات وغنيمة.

ثم ما لبث أن نزل به ما نزل بأصحابه من أمر الله، فلما حضرته الوفاة قلتُ له:

إنك تعلم من أمري ما تعلم؛ فإلى من توصي بي؟.. وما تأمرني أن أفعل؟.

فقال: يا بنيَّ –والله– ما أعلم أن هناك أحداً من الناس بقي علىٰ ظهر الأرض مُستمسكاً بما كنا عليه.....

ولكنه قد أظل زمان يخرج فيه بأرض العرب نبيّ يُبعَث بدين إبراهيم، ثم يهاجر من أرضه إلىٰ أرض ذات نخل بين حرّتين، وله علامات لا تخفىٰ..

فهو يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة..

وبين كتفيه خاتم النبوّة، فإن استطعتَ أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

ثم وافاه الأجل؛ فمكثت بعده "بعمورية" زمناً إلىٰ أن مر بها نفر من تجار العرب من قبيلة "كلب".

فقلت لهم: إن حملتموني معكم إلىٰ أرض العرب أعطيتُكم بقراتي هذه وغنيمتي، فقالوا:

نعم نحملك، فأعطيتهم إياها وحملوني معهم حتىٰ إذا بلغنا "وادي القرىٰ" غدروا بي وباعوني لرجل من اليهود، فالتحقت بخدمته..

ثم ما لَبِث أن زاره ابن عم من بني "قريظة" فاشتراني منه، ونقلني معه إلىٰ "يثرب" فرأيت النخل الذي ذكره لي صاحبي "بعمورية"، وعرفت المدينة بالوصف الذي نعتها به، فأقمتُ بها معه.

وكان النبي ﷺ حينئذ يدعو قومه في مكة، لكنني لم أسمع له بذكر لانشغالي بما يوجبه عليَّ الرق.

☆ ☆ ☆

ثم ما لبث أن هاجر الرسول ﷺ إلى "يثرب"، فوالله إنى لفي رأس نـخلة لسيدي أعمل فيها بعض العمل، وسيدي جالس تحتها إذ أقبل عليه إبن عم له وقال له:

قاتل الله بني "قيلة" ، والله إنهم الآن لمجتمعون "بقُباءَ" علىٰ رجل قدم عليهم اليوم من مكة يزعم أنه نبيّ.

فـما إن سمعت مقالته حتىّ مسني ما يشبه الحمىٰ، واضطربت اضـطـرابـاً شديداً حتىٰ خشيت أن أسقط علىٰ سيدي، وبادرتُ إلىٰ النزول عن النخلة، وجعلت أقول للرجل:

مـاذا تـقـول؟! أعـد عليَّ الخبر.. فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة، وقال لي:

ما لك ولهذا ؟! عد إلىٰ ما كنتَ فيه من عملك.

☆ ☆ ☆

ولـمـا كـان المساء أخذت شيئاً من تمرٍ كنت جمعته، وتوجّهتُ به إلى حيث ينزل الرسول ﷺ، فدخلت عليه، وقلت له:

إنـه قـد بـلغني أنك رجلٌ صالحٌ، ومعك أصحاب لك غرباء ذو

حاجة، وهذا شئ كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، ثم قرّبته إليه، فقال لأصحابه:

(كلوا).. وأمسك يده فلم يأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدة.

ثم انصرفت أخذت أجمع بعض التمر، فلما تحوّل الرسول ﷺ من "قباء" إلىٰ المدينة جئته فقلت له:

إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها..... فأكل منها وأمر أصحابه فأكلوا معه.

فقلت في نفسي: هذه الثانية..

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو "ببقيع الغرقد" حيث كان يواري أحد أصحابه، فرأيته جالساً وعليه شملتان، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلىٰ ظهره لعلّي أرىٰ الخاتم الذي وصفه لي صاحبي في "عمورية".

فلما رآني النبي ﷺ أنظر إلىٰ ظهره عرف غرضي؛ فألقىٰ رداءه عن ظهره، فنظرت فرأيت الخاتم، فعرفته فانكببت عليه

أقبّلُه وأبكي.

فقال رسول الله ﷺ: (ما خبرك؟!).

فقصصت عليه قصتي؛ فأعجب بها، وسره أن يسمعها أصحابه مني، فأستمعتهم إياها، فعجبوا منها أشد العجب، وسروا بها أعظم السرور.

☆ ☆ ☆

فسلام علىٰ سلمان الفارسي يوم قام يبحث عن الحق في كل مكان.

وسلام علىٰ سلمان الفارسي يوم عرف الحق فآمن به أوثق الإيمان.

وسلام عليه يوم مات، ويوم يبعث حيا (☆).

قصة أهل البَصْرة مِن المَسْجِدِيّين

جاحظ

قال أصحابنا من المسجديّين: اجتمع ناسٌ في المسجد ممن ينتحل الإقتصاد في النفقة، والتَّنْمية للمال من أصحاب الجمع والمنع. وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التّحابِّ، وكالحلف الذي يجمع على التَّناصر. وكانوا إذا التقوا في حَلَقهم تذاكروا هذا الباب، وتطارحُوه وتدار سوه.

فقال شيخ منهم: ماء بئرنا—كما قد علمتم— ملح أجاج لا يقربه الحمار، ولا تسيغه الإبل، وتموت عليه النخل. والنهر منا بعيد. وفي تكلّف العذب علينا مؤنة. فكنا نمزج منه للحمار، فاعتِلَّ عنه، وانتقض علينا من أجله. فصرنا بعد ذلك نُسقيه العذب صِرفا. وكنتُ أنا والنعجة كثيرا ما نغتسل بالعذب، مخافة أن يعترى جلودنا منه مثل ما اعترى جوفَ الحمار. فكان ذلك الماء العذبُ الصافي يذهبُ باطلًا.

ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح، فعمدتُ إلى ذلك المتوضَّأ،

فجعلتُ فى ناحية منه حفرة، وصهرجتُها وملّستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة. وصوّبتُ إليها المسيل. فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافيا، لم يخالطه شى. والحمار أيضار لا تَقَزّز له (منه). وليس علينا حرج فى سقيه منه. وما علمنا أن كتابا حرّمه، ولا سنةً نهت عنه. فربحنا هذه منذ أيام، وأسقطنا مؤنة عن النفس والمال، مال القوم. وهذا بتوفيق الله ومنّه.

فأقبل عليهم شيخ فقال: هل شعرتم بموت مريم الصناع؟ فإنّها كانت من ذوات الإقتصاد، وصاحبة اصلاح. قالوا: فحدثنا عنها. قال : نوادرها كثيرة، وحديثها طويل ولكني أخبركم عن واحدة فيها كفاية. قالوا: وما هي ؟ قال: زَوّجت ابنتها، وهي بنتُ اثنتي عشرة، فحلّتُها الذهب والفضة، وكستها المروي والوشي والقزّ والخَزّ، وعلّقتِ المُعصفَر، ودقّتِ الطِّيبَ، وعظّمت أمرها في عين الختنِ، ورفعت من قدرها عند الأحماء.

فقال لها زوجها : أنّي هذا يا مريم ؟ قالت : هو من عند الله. قال : دَعِي عنك الجُملة، وهاتي التفسير. والله ما كنتِ ذاتَ مالٍ

قديماء ولا ورثته حديثاء وما أنت بخائنة في نفسك، ولا في مال بعلك. إلا ان تكوني قد وقعتِ على كنز! وكيف دار الأمرُ فقد أسقطت عنّي مؤنة، وكفيتني هذه النائبة.

قالت: أعلم أني منذ يومَ ولدتُها الي أن زوجتها، كنت أرفع من دقيق كل عجنةٍ حفُنة وكنا– كما قد علمتَ– نَخبزُ في كل يوم مرةً. فإذا اجتمع من ذلك مكوك بِعتُه. قال زوجها: ثبّت الله رأيك وأرشدك! ولقد أسعد الله من كنتِ له سكناء وبارك لمن جُعلتِ له إلفا! ولهذا وشبهه قال رسول الله ﷺ: من الذَّودِ إلى الذّودِ إبل وإني لأرجو أن يخرج ولدُك على عرقك الصالح، وعلى مذهبك المحمود.

وما فرحى بهذا منك بأشدَّ من فرحى بما يُثَبِّت الله بك في عقبي من هذه الطريقة المرضيّة فنهضَ القوم بأجمعهم إلي جنازتها، وصلّوا عليها. ثم انكفوا إلى زوجها، فعزّوه على مصيبته وشاركوه في حزنه.

ثم اندفع شيخ منهم فقال: يا قومُ لا تحقروا صغار الأمور،

فـان أول كل كبير صغير ومتى شاء الله أن يعظم صغيرا عظّمه، وأن يُكثـر قليلا كثره، وهـل بيـوتُ الأمـوال إلا درهـم إلى درهم؟ وهل الـذهـب إلا قيـراط إلـى جـنـب قـراط ؟ وليس كذلك رمل عالج وماء البـحـر ؟ وهـل اجتـمـعـتُ أموال بيوت الأموال إلا بدرهم من ها هنا ودرهم من ها هنا؟ فقد رأيتُ صاحبَ سفطٍ قد اعتقد مائة جريب في أرض الـعـرب. ولرُبّما رأيته يبيع الفُلفل بقيراط، والحِمّص بقيراط، فـأعـلـم أنـه لـم يـربـح في ذلك الفلفل الا الحبّةَ والحبتين من خشب الـفُـلـفُل. فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب !

ثـم قـال: اشتـكـيـت أيـامـاً صـدري مـن سـعـال كان أصابنى، فـأمـرني قوم بالفانيذ السُكّري. وأشار عليّ آخرون بالحريرة تُتّخذ مـن النّشَاستج والسكّر ودُهن اللّوز، وأشباه ذلك. فاستثقلتُ المؤنة، وكـرهـتُ الـكُـلْـفة، ورجوتُ العافية، فبينا انا ادافع الأيام، إذ قال لي بـعـض الـموفّقين: عليك بماء النّخالة فاحسه حارّاً فحسوتُ، فإذا هو طَيِّـب جـدا، وإذا هـو يـعـصـم: فـما جعتُ ولا اشتهيتُ الغداء في ذلك

اليوم إلى الظهر. ثم ما فرغتُ من غدائي وغسلِ يديّ حتى قاربتُ العصر. فلما قَرُبَ وقتُ غدائي من وقْتِ عشائي طويتُ العشاء، وعرفتُ قصدي.

فقلتُ للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كلّ غداةٍ نُخالة ؟ فان ماءها جلاءٌ للصدر، وقُوتَها غذاء وعِصمة ؛ ثم تُجفّفين بعد النخالة، فتعود كما كانت. فتبيعين اذا الجميع بمثل الثمنِ الأول، ونكونُ قد ربحنا فضلَ ما بين الحالين ! قالت: أرجو أن يكون الله قد جمع بهذا السُعال مصالحَ كثيرة، لما فتح الله لك بهذه النُخالةِ التي فيها صلاحُ بدنِك، وصلاحُ معاشك !

وما أشكُّ أنّ تلك المشُورةَ كانت من التوفيق !

قال القوم: صدقتَ، مثل هذا لا يكتسبُ بالراي، ولا يكون إلا سماويّا !

ثم أقبل عليهم شيخ فقال: كنا نلقي من الحراقِ والقدّاحةِ جهداً، لانّ الحجارة كانت إذا انكسرت حُروفها واستدارت، كلّت ولم تقدح قدح خير، وأصلدت فلم تور، وربّما أعجلنا المطرُ والوكف.

وقد كان الحجر أيضا ياخذ من حروفِ القدّاحة، حتى يدعها كالقوسِ فكنتُ اشترى المرقشيتا بالغلاء، والقداحة الغليظة بالثمن الموجع.

وكان علينا ايضا في صنعة الحُراق وفي معالجة القطنة مؤنة، وله ريح كريهة. والحراقُ لا يجئ من الخرق المصبوغة، ولا من الخرقِ الوسخة، ولامن الكَتّان، ولامن الخُلقان. فكنا نشتريه بأغلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البدو والأعراب، وقدحهم النار بالمرخ والعفار. فزعم لنا صديقُنا الثوري وهو—ما علمتُ— أحدُ المرشدين، أنَّ عراجين الاعذاق تنوب عن ذلك أجمع. وعلّمني كيف تُعالج. ونحن نوتي بها من أرضنا بلا كُلفة. فالخادم اليوم لا تقدحُ ولا تُورى إلا بالعرجون.

قال القوم: قد مرّت بنا اليوم فوائد كثيرة. ولهذا قال الأول: مذاكرة الرجال تُلقحُ الألباب. ثم اندفع شيخ منهم فقال: لم ار في وضع الأمور مواضعها، وفي توفيتها غاية حُقوقها، كمعاذة العنبرية. قالوا : وما شأنُ معاذة هذه ؟ قال : أهدى إليها العام ابنُ عمّ لها

أضحية. فرايتُها كئيبة حزينة، مفكرّة مطرِقة. فقلتُ لها : مالك يا معانة؟ قالت : أنا امرأة أرملة، وليس لي قَيّم. ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحيّ. وقد ذهب الذين كانوا يدبِّرونه ويقومون بحقّه. وقد خفتُ أن يضيع بعضُ هذه الشاة. ولستُ أعرِفُ وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمتُ أنّ الله لم يخلقْ فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرءَ يعجز لا محالة. ولستُ أخاف من تضيع القليل، إلا أنه يجرُّ تضيعَ الكثير.

أمّا القرنُ فالوجه فيه معروف، وهو أن يُجعلَ كالخُطّاف، ويسَّمر في جذع من جُذوع السَّقف، فيُعلِّق عليه الزُّبلُ والكيرانُ، وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسَّنانير، وبنات وردان والحيَّاتِ، وغير ذلك. وأما المصرانُ فإنه لأوتار المندفة. وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة وأما قحف الرأس واللّحيان وسائرُ العظام، فسبيله أن يكسّر بعد أن يُعرق، ثم يُطبخ. فما ارتفع من الدسّم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة، ولغير ذلك. ثم توخذ تلك العظام فيوقدُ بها فلم ير الناسُ وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منها. وإذا كانت

كـذلك فهـى أسرعُ في القدر لقلة ما يُخالطها من الدُّخان. وأما الإهابُ فـالـجـلـدُ نـفسـه جـراب. وللصوف وجوه لاتدفع وأما الفرث والبعرُ فحطَب إذا جفف عجيب.

ثـم قـالـت: بـقـى الآن عـلـيـنـا الإنتفاعُ بالدم. وقد علمتُ أنّ اللّه عـزّوجـل لـم يُـحرِّم من الدم المسفوح إلا أكـلـه وشربه، وأنّ لـه مواضع يـجـوز فيها ولا يمنع منها. وإنْ أنا لم أقـع عـلى علم ذلك، حتى يوضع مـوضـع الإنـتـفـاع به، صار كيّة في قلبي، وقدى في عيني، وهَمًّا لا يزال يعاودُنى.

فـلـم ألبـث أن رايتهـا قـد تطلّقتْ وتبسمت. فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك بابُ الرأي في الدم. قالت : أجل، ذكرتُ أن عندي قُـدُوراً شـامية جُـدُداً. وقـد زعـمـوا أنه ليـس شئ أدبغ ولا أزيد في قـويتهـا، من التلطيخ بالدم الحارِّ الدَّسم. وقد استرحتُ الآن، إذ وقعَ كل شئ موقعهُ !

قـال: ثم لقيتُها بعد ستة أشهر، فقلتُ لها: كيف كان قديدُ تلك الشـلـة ؟ قـالـت: بأبي أنت ! لم يجئ وقتُ القديد بعد ! لنا في الشحم

والألية الجنوب والعظم المعروق وغير ذلك معاشٌ ! ولكل شئ إبّان !

فقبض صاحبُ الحمار والماءِ العذبِ قبضةً من حصي، ثم ضرب بها الأرض. ثم قال: لا تعلم أنّك من المسرفين، حتى تسمع باخبار الصالحين !

خطبة عمر في الحكم

عمر بن الخطابؓ۔

قال طلحة بن معدان: خطبنا عمر بن الخطابؓ فقال: أيها الناس! أنه لم يبلغ ذو حق فى حقه أن يطاع فى معصية الله، وإنى لا اجد هذا المال يصلحه إلا خلال ثلاث أن يؤخذ بالحق، ويعطى فى الحق، ويمنع من الباطل؛ وإنما أنا ومالكم كوَلى اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت اكلت بالمعروف، ولست ادع أحداً يظلم أحداً ويعتدى عليه حتى اضع خده على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن للحق۔ ولكم علىّ أيها الناس ! خصال أذكرها لكم فخذونى بها: لكم علىّ أن لا اجتبى شيئاً من خراجكم ولا ممّا افاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علىّ إذا وقع فى يدى أن لا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم علىّ أن أزيد أعطياتكم وأرزاقكم—إن شاء الله— وأسد ثغوركم۔ ولكم علىّ أن لا القيكم فى المهالك ولا أجمّركم فى ثغوركم، وقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء كثير القراء، قليل الفقهاء كثير الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرة يطلبون به دنيا

عـريضة تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب، ألا كل من أدرك ذلك مـنـكـم فليتق الله ربه وليصبر. يا أيها الناس ! إن الله عظم حقه فـوق حـق خـلـقـه، فقال فيما عظم من حقه: **ولا يـأمركم أن تتخذوا الـمـلـئـكـةَ والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ٥** ألا وإنـى لـم أبـعثـكم أمراً ولا جبّارين، ولكن بعثتكم أئمة الهدى يهتدى بـكـم فـأدوا عـلـى الـمـسـلـمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلّوهم، ولا تـحـمـدوهـم فتـفـتـنـوهـم، ولا تـغـلـقوا الأبواب دونهم فيأكل قويهم ضـعيفهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهـم الكفار طاقتهم فإذا رأيتم بها كلالة فكفوا عن ذلك فإن ذلك أبلغ فى جهاد عدوكم، أيها الناس! إنى أشهدكم على امراء الأمصار إنى لم أبـعثهـم إلا ليـفقهوا الناس فى دينهم ويقسموا عليهم فيئهم ويحكموا بينهم، فإن أشكل عليهم شئ رفعوه إلىّ.

مؤامرة قريش

إبن هشام

ولما رأتْ قريش أنَّ رسول الله ﷺ قد صارت له شِيعةٌ وأصحابٌ من غيرهم بغير بلدهم. ورأوا خروجَ أصحابِه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً، وأصابوا منهم مَنَعة، فحذروا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم، وعَرفوا أنه قد أجمعَ لحربهم، فاجتمعوا له في دار النَّدوة، وهي دار قُصي بنِ كلاب التى كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يَدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غَدَوا في اليوم الذي اتعدوا له، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرَّحمة، فاعترضهم إبليسُ في هيئة شيخ جليل، عليه بِتْلَةٌ، فوقف على باب الدار، فلما رأوا واقفاً على بابها قالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتُم له، فحضر معكم ليسمعَ ما تقولون، وعسى أن لا يعدمكم منه رأياً

ونُصحاً، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش.

فقال بعضهم لبعض: إنَّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمَنُه على الوثوب علينا فيمن قد اتَّبعه في غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً، قال: فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلِقو عليه باباً، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يُصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون، ليخرجنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتُم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فيَنزعوه من أيديكم، ثم يُكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نُخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نُبالي أين ذهب وحيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه، لأصلَحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت، فقال الشيخ النجدي: لا واللهِ ما

هـذا لـكم برأي، ألم تروا حُسن حديثه، وحلاوَةَ مَنطِقه، وغَلَبته على قلوب الرجال بما يأتي به، واللهِ لو فعلتم ذلك، ما أمنتُم أن يحلَّ على حيّ من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قولِه وحديثه حتى يُتابعوه عليه، ثم يسيرُ بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم. فيأخذ أمركم من أيديكم، ثم يفعلُ بكم ما أراد، دَبِّروا فيه رأياً غير هذا، قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لراياً، ما أراكم وَقعتُم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم ؟ قال: أرى أنْ نَأخذ من كل قبيلة فتىً شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا، ثم نُعطي كل فتىً منهم سيفاً صارماً، ثم يَعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتُلوه، فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّق دمه في القبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد مناف على حربِ قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعَقْلِ، فعقلناه لهم، قال: فقال الشيخ النجدي: القولُ ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره، فتفرَّقَ القوم على ذلك وهم مُجمعون له.

فأتى جبريلُ عليه السلام رسول الله ﷺ فقال : لا تَبِتْ هذه الليلَة على فراشك الذي كُنت تَبيت عليه، قال: فلما كانت عَتَمة من

الليل اجتمعوا على باب يَرصدونه حتى ينام، فيَثِبُون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانَهم قال لعلي بن أبي طالب: نَمْ علي فراشي وتَسجَّ بُردي هذا الحضرمى الأخضر، فنَم فيه، فإنه لن يَخلص إليك شئ تكرهُه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينَام في برده ذلك إذا نام.

قال : لما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل بنُ هشام، فقال – وهم على بابه – إنَّ محمداً يَزعم إنْ تابعتُموه على أمره كُنتم ملوكَ العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجُعلت لكم نار تُحرقون فيها. قال: وخرج عليه رسول الله ﷺ فأخذ من تراب في يده، ثم قال : أنا أقول ذلك، أنتَ أحدهم، وأخذ الله تعالىٰ على أبصارهم عنه، فلا يَرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من "يٰسن" ﴿يٰسٓ o وَالْقُرْآنِ الْحَكِيْمِ o إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ o علىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيْمٍ o تَنْزِيْلَ الْعَزِيْزِ الرَّحِيْمِ﴾ إلى قوله : ﴿فَأَغْشَيْنٰهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ o﴾ [يٰسن: ١–٩] حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبقَ منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فأتاهم آتٍ ممن لم

يكن معهم، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا: محمداً، قال : خيّبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلًا إلا قد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُ رجل منهم على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلّعون فَيرون علياً على الفراش مُتسجياً ببُرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً عليه بُرده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي رضى الله عنه عن الفراش، فقالوا: والله لقد كان صَدَقنا الذي حدَّثنا.

القضاء والقدر

عبد الله بن المقفع

زعموا انّ أربعة نفرا اصطحبوا أحدهم ابن الملك والثانى ابن الشريف والثالث ابن تاجر والرابع ابن اكار، وكانوا جميعا محتاجين، وقد أصابهم ضروجهد لا يملكون شيئا الا ما عليهم من ثيابهم، فبينما هم يمشون إذ قال ابن الملك: ان امر الدنيا كله بالقضاء والقدر، وقال ابن التاجر: العقل أفضل من كل شئ، وقال ابن الشريف الجمال خير مما ذكرتم. وقال ابن الاكار: الاجتهاد أفضل من ذلك كله، ثم مضوا نحو مدينة يقال لها مطون.

فلما انتهوا إلى تلك المدينة، اقاموا فى ناحية منها وقالوا لابن الاكار انطلق فاكتسب لنا باجتهادك طعاما ليومنا هذا. فانطلق فسأل أى عمل إذا عمله الرجل من غدوة إلى الليل، كسب به ما يشبع أربعة نفر؟ فقيل له: ليس شئ باعزّ من الحطب. وكان علىٰ رأس درهم، ثم اشترى به ما يصلح أصحابه وكتب على باب المدينة:

اجتهاد يوم واحد يبلغ ثمنه نصف درهم". وأتاهم بما اشترى فاصابوا منه واكلوا.

فلما اصبحوا، قالوا لابن الشريف: انطلق بجمالك، فاكتسب بعض ما يقوتنا، فانطلق وتفكّر فى نفسه وقال: لست احسن من الأعمال شيئا واستحيا ان يرجع إلى أصحابه بغير طعام وهمّ ان يفارقهم، فاسند ظهره إلى شجرة فى المدينة من الهمّ. فمرّت عليه امرأة لبعض عظماء أهلها، فاعجبها جماله، فارسلت إليه جاريتها، فأتتها به، فأمرت به فنظف، ثم ظل معها يومه ذلك فى نعمة وكرامة. فلمّا كان عند المساء، اجازته بخمس مائة دينار، فتوجه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة: جمال يوم واحد ثمنه خمس مائة دينار.

فلما أصبحوا قالوا لإبن التاجر: فاكتسب لنا يومن هذا بعقلك وتجارتك شيئا، فذهب فلم يبرح إلا قليلا حتى بصر سفينة عظيمة فى البحر كثيرة المتاع قد ارست إلى الشط غير بعيد من المدينة. فخرج إليها جماعة من التجار

ليبتاعوا ما فيها، فساوموا أصحابها، ثم تشوروا فيما بينهم وقالوا: انصرفوا يومكم هذا، لا نشترى منهم شيئا حتى يكسد المتاع فيرخصوه علينا، ففعلوا ذلك. فخالف إليها ابن التاجر الطريق واشترى ما كان فيها بمائة الف دينار نسيئة واظهر انه يريد ان ينقل متاعه إلى مدينة اخرىٰ فلما بلغ ذلك التجار خافوا ان يذهب ذلك المتاع من أيديهم فاتوه واربحوه علىٰ ما اشتراه ألف دينار. فانتقدها منهم واحالهم بالباقى علىٰ أصحاب السفينة، ورجع إلىٰ أصحابه، فلما مرّ بباب المدينة كتب عليها، عقل يوم واحد ثمنه ألف دينار، فتمتعوا بما أصابوا واخصبوا.

فلما أصبحوا فى اليوم الرابع، قالوا لإبن الملك: انطلق فاكتسب لنا شيئا بالقضاء والقدر، فذهب حتى اتىٰ باب المدينة، فجلس على دكان من دكاكين باب المدينة، واتفق ان ملكها مات ولم يترك ولدا ولا أخا ولا أحدا ذاقرابة، فمرّ عليه بجنازة الملك، فبصروا به لا يتحرك، ولا يحزن لموت الملك، فسأله رجل منهم! من أنت؟ وما يقعدك

علـى باب المدينة؟ لا يحزنك موت الملك، فلم يجبه، فشتمه وطـرده، فـلـمـا مـضـوا، رجـع إلـى مكانه، فلما انصرفوا راه الـذى كان صنع به ما صنع، فقال: ألم انهك عن الجلوس فى هـذا الـمـوضـع، وتـقـدم إليـه فـأخذه وحبسه، فلما اجتمعوا ليـمـلـكـوا عـليهم رجلاً يختارونه، قام الذى كان أمر بالفتى إلـى الـحـبـس، فحدّثهم بقصته، فقال: إنّى اتخوّف أن يكون عيـنـا عـلـيـنـا، فـابعتوا إليه، فاتوا به، فسألوه: ما هو؟ وما امـره؟ ومـا الـذى اقدمه اليهم؟ قال: انا اصطهر ملك قردناد. توفى والدى فغلبنى أخى على الملك، فهربت منه حذرا علىٰ نفسى حتى انتهيت إليكم فلما سمعوا ذلك منه وعرفوا كلامه وعـرفـه مـن كـان يـغشـى أرض أبيـه مـنهم واثنوا على أبيه خيرا، ملكوه عليهم، وكانت سنّتهم الطّواف يمن ولّوه عليهم فـحملوه علىٰ فيل وجولّوا به، فلما مرّ بباب المدينة، رأى ما كتـب عـليـه أصـحـابـه، فـأمـر فكتب: إن الاجتهاد والعقل والـجمال وما أصاب الإنسان من خير أو شرّ إنما هو بقضاء وقـدر، اعتبـر بـذلك مـا سـاق الله الـىّ مـن الـخير والسعادة

بفضله۔

ثم إنّ الملك أتىٰ مجلسه فقعد علىٰ سريره وأرسل إلىٰ أصحابه فأتوه فمولوهم وأغناهم، ثم جمع عمّاله وأهل الفضل وذوى الرأى من أهل مماكته، فقال لهم: أما أصحابى فقد استيقنوا ان الذى رزقهم الله من الخير إنما كان بقضاء وقدر وكان عليه ما ذكروا، واما أنا فإنّ الذى منحنى الله وهيّأ لى لم يكن من الجمال ولا العقل ولا الاجتهاد، وما كنت أرجو إذ طردنى أخى أن أصيب هذه المنزلة، لأنى قد رأيت من أهل هذه الأرض من هو أفضل منى حسنا وجمالا وأكمل منى رأيا وأشدّ منى اجتهادا، فساقنى القضاء إلىٰ ان اغتربت فملكت امرا الله قد علمه و قدّره وقد كنت راضيا ان اعيش بحال خشونة وشظف معيشة۔

بين قاضٍ وَقور، وذباب جسُور

جاحظ

كـان لـنـا بـالبـصـرـة قاض يقال له عبد الله بن سوار، لم ير الناس حاكماً زميتاً ركيناً ولا وقوراً حليماً، ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك، كان يصلي الغداة في منزله وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكئ فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت ولا تحل حبوته، ولا يحمل رجلاً على أخرى، ولا يعتمد علي أحد شقيه، حتى كأنه بناء مبنى، أو صخرة منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر، ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة العصر، ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ثم ربما عاد إلى مجلسه، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقى عليه شئ من قراءة العهود والشروط والوثائق، ثم يصلي العشاء الآخرة وينصرف، فالحق يقال لم يقم فى طول تلك المدة والولاية مرة واحدة إلى الوضوء، ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب.

كـذلك كـان شـأنه فى طوال الأيام وفى قصارها، وفى صيفها وفـى شتائها، وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا عضواً ولا يشير برأسه، وليـس الاّ أن يتـكـلـم ثم يوجز ويبلغ باليسير من الكلام إلى المعانى الكبيرة.

فبيـنـا هـو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفى السماطين بيـن يـديـه، سـقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثم تحول إلى موق عيـنيـه، فـرام الـصبـر عـلـى سقوطه على الموق، وصبر على عضّته ونـفـاذ خـرطومه، كما رام الصبر على سقوطه على أنفه، من غير أن يحرك أرنبته أو يغضّن وجهه، أو يذب بأصبعه، فلما طال ذلك عليه مـن الـذبـاب، وشـغـلـه وأوجعه وأحرقه، وقصد إلى مكان لا يحتمل التـغـافـل، أطبـق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن يوالى بين الاطباق والفتح، فتنحى ريثما سكن جفنه، ثم عـاد إلـى موقه بأشد من مرته الأولى، فغمس خرطومه فى مكان كان قـد آذاه فيـه قبـل ذلك، فـكـان احتماله أقل، وعجزه عن الصبر عليه فـى الثـانية أقـوى، فـحـرك أجفانه، وزاد فى شدة الحركة، وألح فى

فتح العين، وفى تتابع الفتح والأطباق، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده، فلم يجد بداً من أن يذب عن عينه بيده ففعل، وعيون القوم ترمقه، وكأنهم لا يرونه فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه، بطرف كمه، ثم ألجأه إلى أن تابع ذلك، وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه، فلما نظروا إليه قال: اشهد أن الذباب ألجّ من الخنفساء وأزهى من الغراب، قال: وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً، وقد علمتم إنى عند نفسى وعند الناس من أرزن الناس، فقد غلبنى وفضحنى أضعف خلقه، ثم تلا قوله تعالى: "وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه ضعف الطالب والمطلوب"

وكان بيّن اللسان، قليل فضول الكلام، وكان مهيباً فى أصحابه، وكان أحد من لم يطعن عليه فى نفسه، ولا فى تعريض أصحابه للمنالة.

أشعَب وَالبخيل

لأبي الفرج الاصبهاني

حدث أشعب قال: ولي المدينة رجل من ولد عامر بن لُؤي وكان أبخل الناس وأنكدهم. وأغراه الله بي يطلبني في ليله ونهاره. فإن هربت منه هجم على منزلي بالشُّرَط وإن كنت في موضع بعث إلى من أكون معه أو عنده يطلبني منه فيطالبني بأن أحدّثه وأضحكه. ثم لا أسكت ولا أنام ولا يطعمني ولا يعطيني شيئاً. فلقيت منه جهداً عظيماً وبلاءاً شديداً. وحضر الحج فقال لي: يا أشعب كن معي. فقلت: بأبي أنت وأمي أنا عليل وليست لي نية في الحج. فقال: عليه وعليه: وقال: إن الكعبة بيت النار لئن لم تخرج معي لاودعنك الحبس حتى أقدم. فخرجت معه مكرَهاً فلما نزلنا منزلاً أظهرأنه صائم ونام حتى تشاغلت. ثم أكل ما في سفرته وأمر غلامه أن يطعمني رغيفين بملح. فجئت وعندي انه صائم ولم أزل انتظر المغرب أتوقع افطاره. فلما صُلّيت المغرب قلت لغلامه: ما يُنتَظر بالأكل؟ قال: قد أكل منذ زمان. قلت: أولم يكن صائماً ؟ قال:

لا. قلت: أفأطوَى أنا ؟ قال: قد أعدَّ لك ما تأكله فكل. وأخرج إليّ الرغيفين والملح. فأكلتهما وبت ميتاً جوعاً وأصبحت فسرنا حتى نزلنا المنزل فقال لغلامه: ابتع لنا لحماً بدرهم. فابتاعه فقال: كبِّب لي قطعاً. ففعل. فأكله ونصبُ القدر. فلما نَغِرت قال: اغرف لي منها قطعاً ففعل. فأكلها ثم قال: اطرح فيها دُقَّة وأطعمني منها. ففعل. ثم قال: الق توابلها وأطعمني منها. ففعل وأنا جالس أنظر إليه لا يدعوني. فلما استوفي اللحم كله قال: يا غلام أطعم أشعب. ورمي إليّ برغيفين فجئت إلى القدر وإذا ليس فيها إلا مرق وعظام. فأكلت الرغيفين. وأخرج له جراباً فيه فاكهة يابسة فأخذ منها حُفنة فأكلها وبقي في كفه كف لوز بقشره ولم يكن له فيه حيلة. فرمى به إليّ وقال: كل هذا يا أشعب. فذهبت أكسر واحدة منها فإذا بضرسي قد انكسرت منه قطعة فسقطت بين يديّ. وتباعدت أطلب حجراً أكسر به فوجدته فضربه به لوزة فطفرت يعلم الله مقدار رمية حجر. وعدوت في طلبها. فبينا أنا في ذلك إذ أقبل بنو مصعب (يعني ابن ثابت واخوته) يلبُّون بتلك الحلوق الجَهوَرية . فصِحت

بهم. الغوث الغوث العياذ بالله وبكم يا آل الزبير الحقوني ادركوني. فركضوا إليّ فلما رأوني قالوا: أشعب ما لك ويلك ؟ قلت: خذوني معكم تخلصوني من الموت. فحملوني معهم فجعلت أرفرف بيديّ كما يفعل الفرخ إذا طلب الزّق من أبويه. فقالوا: ما لك ويلك؟ قلت: ليس هذا وقت الحديث زقّوني مما معكم قد مت ضرّاً وجوعاً منذ ثلاث. (قال) فأطعموني حتى تراجعت نفسي وحملوني معهم في محمل ثم قالوا: أخبرنا بقصتك. فحدثتهم وأريتهم ضرسي المكسورة فجعلوا يضحكون ويُصفّقون وقالوا: ويلك من أين وقعت على هذا؟ هذا من أبخل خلق الله وأدنئهم نفساً. فحلفت بالطلاق أني لا أدخل المدينة ما دام له بها سلطان فلم أدخلها حتى عُزل.

القميص الأحمر

لإبن عبد ربه

بينما المنصور فى الطواف بالبيت ليلاً إذ سمع قائلاً يقول: اللهُم! إنى أشكو إليك ظهور البغى والفساد فى الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فجزع المنصور فجلس بناحية من المسجد وأرسل إلى الرجل فصلى ركعتين واستلم الركن وأقبل مع الرسول فسلم عليه بالخلافة. فقال المنصور: ما الذى سمعتُك تذكر من ظهور الفساد والبغى فى الأرض؟ وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوتَ مسامعى ما أمرضنى. فقال: إن أمّنتني يا أمير المؤمنين! أعلمتك بالأمور من أصولها وإلا احتجزت منك واقتصرتُ على نفسى فلى فيها شاغل. قال: فأنت آمن على نفسك فقل. فقال: يا أمير المؤمنين ! إن الذي دخله الطمع، وحال بينه وبين ما ظهر فى الأرض من الفساد والبغى لأنت. فقال: فكيف ذلك؟ ويحك يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عندى ؟

قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك، إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجَصِّ والآجُرِّ وأبواباً من الحديد، وحُرَّاساً معهم السلاح، ثم سجنت نفسك عنهم فيها، وبعثت عُمّالك فى جبايات الأموال وجمعها، وأمرت أن لا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلانٌ وفلانٌ نفراً سمّيتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم، ولا الملهوف ولا الجائع العارى إليك، ولا أحدٌ إلا وله فى هذا المال حق.

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيَّتك، وأمرت أن لا يُحجبوا دونك تَجبى الأموال وتجمعها، قالوا هذا قد خان الله فما لنا لانخُونه. فاتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شىء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل إلا خوَّنوه عندك ونفوه حتى تسقط منزلته عندك.

فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظَمهم الناس، وهابوهم وصانعوهم، فكان أول من صانعهم عُمَّالُك بالهدايا والأموال ليقووا بها على ظلم رعيَّتك. ثم فعل ذلك ذو المقدرة والثروة من رعيَّتك

لينالوا ظلم من دونهم. فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً. وصار هؤلاء القوم شركاء ك فى سلطانك وأنت غافل. فإن جاء متظلّم حيل بينك وبينه فإن أراد رفع قصّته إليك عند ظهورك وجدت قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلاً ينظر فى مظالمهم.

فإن جاء ذلك المتظلِّم فبلغ بطانتك خبره، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فلا يزال المظلوم يختلف إليه، ويلوذ به، ويشكو ويستغيث، وهو يدفعه. فإذا أُجهد وأُخرج ثم ظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً يكون نكالاً لغيره وأنت تنظر فما تنكر، فما بقاء الإسلام ؟

وقد كنت يا أمير المؤمنين ! أُسافر إلى الصين فقدمتها مَرَّة وقد أصيب ملكهم بسمعه فبكى يوماً بكاءاً شديداً فحثه جلساؤه على الصبر فقال: أما إنى لست أبكى للبلّية النازلة ولكنى أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذا قد ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب. نادوا فى الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر هل يرى مظلوماً.

فهذا يا أمير المؤمنين ! مشرك بالله بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك. فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبراً فى الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال. وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له ولست الذى تعطى بل الله تعالى يعطى من يشاء ما يشاء.

فإن قلت: إنما تجمع المال لشديد السلطان فقد أراك الله عبراً فى بنى أميّة ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب وما أعدُّوا من الرجال والسلاح والكُراع حين أراد الله بهم ما أراد.

وإن قلت: إنما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغابة التى أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه. يا أمير المؤمنين! هل يعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ فقال المنصور: لا، فقال: فكيف تصنع بالملك الذى خوّلك ملك الدنيا وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى

العذاب الأليم. قد رأى ما عقد عليه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشت إليه رجلاك، هل يغنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك، ودعاك إلى الحساب؟

قال: فبكى المنصور ثم قال: ليتنى لم أُخلق ويحك كيف أحتال لنفسي؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إن للناس أعلاماً يفزعون إليهم فى دينهم ويرضون بهم فى دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك. وشاورهم فى أمرك يسدّدوك قال: قد بعثت إليهم فهربوا منى. قال: خافوك أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك، وسهل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفئ والصدقات على حلّها. واقسمها بالحق والعدل على أهلها وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة وجاء المؤذّنون فآذنوه بالصلاة فصلى وعاد إلى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد.

إن حملة العلم فى الإسلام اكثرهم العجم

إبن خلدون

من الغريب الواقع انّ حملة العلم فى الملة الإسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية إلا فى القليل النادر وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمى فى لغته ومرياه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربى، والسبب فى ذلك أن الملة فى أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنما أحكام الشريعة التى هى أوامر الله ونواهيه كان الرجال ينقلونها فى صدورهم وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه، والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم و التأليف والتدوين ولا دفعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة، وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك ونقله القراء أى الذين يقرؤن الكتاب وليسوا أمّيّين لان الأمية يومئذ صفة عامة فى الصحابة بما كانوا عربا، فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء إشارة إلىٰ هذا. فهم قراء لكتاب الله والسنة المأثورة عن الله، لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه ومن

الحديث الذى هو فى غالب موارده تفسير له وشرح. قال صلى الله عليه وسلم. تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنتى. فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج إلىٰ وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعة، ثم احتيج إلىٰ معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه، ثم كثر استخراج أحكام الواقعات من الكتاب والسنة و فسد مع ذلك اللسان، فاحتيج إلىٰ وضع القوانين النحوية، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات فى الاستنباطات والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت إلىٰ علوم أخرى وهى وسائل لها من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذّبّ عن العقائد الإيمانية بالأدلة لكثرة البدع والالحاد. فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات. محتاجة إلىٰ التعليم، فاندرجت فى جملة الصنائع. وقد كنا قدمنا ان الصنائع من منتحل الحضر وان العرب ابعد الناس عنها. فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها. والحضر لذلك العهد هم العجم أو من فى معناهم من الموالى وأهل الحواضر الذين هم يومئذٍ تبع للعجم فى الحضارة وأحوالها من

الصنائع والحرف لأنهم أقْوَم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس. فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسيّ من بعده والزجاج من بعدهما. وكلهم عجم فى أنسابهم. وإنما ربوا فى اللسان العربى فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا لمن بعدهم. وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى. وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين و لم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم. وظهر مصداق قوله ﷺ: لو تعلّق العلم باكتاف السماء لنا له قوم من أهل فارس. وأما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها و خرجوا إليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة فى الدولة وحاميتها وأولى سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم، حينئذ بما صار من جملة الصنائع، والرؤساء أبداً يستنكفون عن الصنائع و المهن وما يجر إليها، ودفعوا ذلك إلىٰ من قام به من العجم والمولّدين. وما زالوا يرون لهم حق القيام به فإنه دينهم وعلومهم. ولا يحتقرون حملتها كل الاحتقار حتى إذا خرج الأمر من العرب جملة صار للعجم صارت العلوم الشرعية للعجم غريبةً

النسة عند أهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتهن حملتها بما يرون أنهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يغنى ولا يجدى عنهم فى الملك والسياسة كما ذكرناه فى نقل المراتب الدينية. فهذا الذى قررناه هو السبب فى ان حملة الشريعة أو عامتهم من العجم. وأما العلوم العقلية أيضا فلم تظهر فى الملة إلا بعد أن تميز حملة العلم ومولفوه واستقر العلم كله صناعة فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها. فلم يحملها إلا المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً. فلم يزل ذلك فى الأمصار ما دامت الحضارة فى العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر. فلما خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التى هى سر الله فى حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة. أولاً اوفر اليوم فى الحضارة من مصر. فهى أم العالم وايوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع وبقى بعض الحضارة فى ما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التى فيها فلهم بذلك حصة من العلوم والصنائع لا تنكر. وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم فى تاليف وصلت إلينا إلىٰ هذه البلاد وهو سعد

الـديـن التـفتا زانى. وأما غيره من العجم فلم نرلهم من بعد الإمام إبن الـخـطيـب ونصير الدين الطوسى كلاماً يعول علىٰ نهايته فى الإصابة فـاعتبر ذلك وتامله، تر عجبا فى أحوال الخليفة والله يخلق ما يشاء لا شـريك لـه. ولـه الـملك وله الحمد وهو علىٰ كل شئ قدير. وحسبنا الله ونعم الوكيل. والحمد لله.

Modern Prose

أول العهد بيثرب

محمد حسين هيكل بك

خرج أهل يثرب لإستقبال محمد زرافات و وحداناً رجالًا ونساء، بعد الذى ترامى إليهم من هجرته ومن ائتمار قريش به ومن احتماله فى أشد القيظ هذه الرحلة المضنية بين كثبان تهامة وصخورها التى ترد ضوء الشمس لظى وسعيراً. وخرجوا يثيرهم تطّلعهم، لما انتشر من خبر دعوته فى أنحاء شبه الجزيرة وما تقضى عليه هذه الدعوة من عقائد ورثها أهلها عن آبائهم وكانت عندهم موضع التقديس لكن خروجهم لم يكن راجعاً إلى هذه السببين وكفى بل كان راجعاً أكثر من ذلك إلى أنه هاجر من مكة إلى يثرب ليقيم بها. فكل طائفة وكل قبيلة من أهل يثرب كانت ترتب على هذا المقام، من الناحية السياسية و الإجتماعية آثاراً شتى هى التى استخفتهم أكثر مما استخفهم التطلع ليخرجوا فينظروا إلى هذا الرجل وليروا هل تؤيّد سيماء حدسهم أو هى تدعوهم إلى تعديله.

لـذلك لـم يـكـن الـمشـركـون ولا اليهـود أقـل إقبـالاً مـن المسلمين مهـاجـريهـم والأنصار على استقبال النبىّ - ولذلك أحاطوا به جميعا وكـل يـخـفـق قـلبـه خـفـقاناً مختلفاً عن صاحبه باختلاف ما يجول بـنـفسـه إزاء الـقـادم العظيم - وقد اتبعوه إذ ألقى بخطام ناقته على غـاربهـا فى شىء من عدم النظام أدى إليه حرص كل علىٰ أن يجتلى مـحيـاه، وأن يحيط نواحيه جميعاً بنظرة ترسم فى نفسه صورة من هذا الذى عقد بيعة العقبة الكبرى مع من بايعه من أهل هذه المدينة عـلـى حـرب الأسـود والأحمر من الناس، والذى هجر وطنه و فارق أهـلـه واحتـمـل عدوانهم وأذاهم ثلاث عشرة سنة متتابعة فى سبيل تـوحيـد الله تـوحيـداً أساسه النظر فى الكون و اجتلاء الحقيقة من طريق هذا النظر.

وبركت ناقة النبىّ عليه السلام على مربد سهل وسهيل ابنى عـمـرو، فـاتبـاعـه ليبـنـيـه مسجداً له - وأقام أثناء بنائه فى دار أبى أيـوب خـالد بن زيد الأنصارى - وعمل محمد فى بناء المسجد بيديه ودأب الـمسـلـمـون مـن المهاجرين والأنصار على مشاركته فى بنائه

حتى أتموه وأقاموا من حوله مساكن الرسول. وما كان بناء المسجد ولا كان بناء المساكن ليرهق أحداً وقد كانت كلها من البساطة بما يتفق تعاليم محمد. كان المسجد فناء فسيحاً بنيت جدرانه الأربعة من الأجر و التراب وسقف جزء منه بسعف النخل وترك الجزء الأخر مكشوفاً وخصصت إحدى نواحيه لا يواء الفقراء الذين لم يكونوا يملكون سكناً. ولم يكن المسجد يضاء ليلاً إلاساعة صلاة العشاء إذ توقد فيه انوار من القش أثنائها وكذلك ظل تسع سنوات متتابعة شدت بعدها مصابيح إلى جزوع النخل التى كان يعتمد سقفه عليها. ولم تكن مساكن الذين أكثر من المسجد ترفاً وأن كانت بطبعيتها أكثر منه استتاراً.

بنىٰ محمد مسجده ومساكنه وأوى من بيت أبى أيوب إليها. ثم جعل يفكر فى هذه الحياة الجديدة التى استفتح والتى نقلته ونقلت و دعوته خطوة جديدة واسعة. فقد الفى هذه المدينه و بين عشائرها من التنافر ما لم تعرف مكة؛ لكنّه ألفى قبائلها وبطونها تصبوا إلى حيلة فيها من السكينة ما يجنبها الخلاف والحزازات

التى مزقتها فى الماضى شر ممزق، وما يُهيئ لها فى المستقبل طمأنينة تطمع معها أن تكون أوفر من مكة ثروة و أعظم جاهاً. وما كانت ثروة يثرب ولا كان جاهها أول ما يعنى محمداً وأن كان بعض ما يعنيه. إنما كان همه الأول والأخر هذه الرسالة التى عهد الله إليه فى تبليغها والدعوة إليها و الانذار بها. لقد حاربها أهل مكة من يوم بعثه إلى يوم هجرته أهول الحرب، فحال ذلك دون امتلاء كل القلوب بنورها وكل الأنفس إيماناً من خوف أذىٰ قريش وعنتها. والأذىٰ والعنت يحولان بين الإيمان والقلوب التى لما يدخل الإيمان فيها. فيجب أن يؤمن المسلمون وأن يؤمن غيرهم بأن من اتبع الهدى ودخل فى دين الله بمأمن من أن يصيبه الأذىٰ، ليزداد المؤمنون إيماناً، وليقبل على الإيمان المتردد و الخائف و الضعيف. فى هذا كان يفكر محمد أول ظمأنينته إلى مسكنه بيثرب، وإلى هذا كانت تتبعه سياسته. وفى هذا الإتجاه يجب أن يترجم لحياته. هو لم يكن يفكر فى ملك ولا فى مال ولا فى تجارة، بل كان كل همه توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته و كفالة الحرية لهم فى عقيدتهم ككفالتها لغيرهم فى عقيدتهم. يجب أن يكون المسلم و

اليهودى والنصرانى سواء فى حرية العقيدة و فى حرية الرأى وحرية الدعوة إليه. فالحرية وحدها هى الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحوالكمال فى وحدتها العليا. وكل حرب على الحرية تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام لتقضى على جذوة النور المضيَّة فى النفس الإنسانية والتى تصل بينها وبين الكون كله، من أزله إلى أبده صلة اتساق ومحبة و وحدة، لا صلة نفور و حرب وفناء.

هذه الوجهة فى التفكير هى التى نزل بها الوحى على محمد منذ الهجرة، وهى التى جعلته جنوحاً للمسلم، راغباً عن القتال مقتصداً طول حياته أشد القصد فيه، غير لاجئ إليه إلا لضرورة تقتضيه الدفاع عن الحرية دفاعاً عن الدين وعن العقيدة ألم يقل له أهل يثرب ممن بايعوه فى العقبة الثانية حين سمعوا المتجسس عليهم يصيح بقريش ينبهها لأمرهم : والله الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا. فكان جوابه : لم تؤمر بذلك. ألم تكن أول أية نزلت فى القتال: أذن للذين يقاتلون بأنهم

ظلموا و أن الله على نصرهم لقدير. ألم تكن الآية التى تلت هذه فى أمر القتال قوله تعالى: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله. فتفكير محمد إذاً إنما كان متجهاً إلى غاية واحدة عليا هى كفالة حرية العقيدة و الرأى كفالة فى سبيلها وحدها أحل القتال، ودفاعاً عنها أبيح دفع المعتدى حتى لا يفتن أحد عن دينه، ولا يظلم أحد بسبب عقيدته أو رأيه. بينما كانت هذه وجهة محمد فى التفكير فى أمر يثرب وما يجب لكفالة الحرية فيها، كان أهل هذه المدينة ممن استقبلوه يفكرون، وإن كان كل فريق يفكر على نحو يخالف تفكير غيره فقد كان بيثرب يومئذ المسلمون من مهاجرين وأنصار؛ وكان بها المشركون من سائر الأوس والخزرج، وكان بين هؤلاء وأولئك ما علمت ؛ ثم كان بها اليهود، يقيم منهم بنو قينقاع فى داخلها، ويقيم بنو قريظة فى فدك، وبنو النضير على مقربة منها، ويهود خيبر فى شمالها. أما المهاجرون و الأنصار فقد ألف الدين الجديد بينهم بأوثق رباط، وأن بقيت فى نفس محمد بعض المخاوف أن تثور البغضاء القديمة بينهم يوماً، مما جعل يفكر فى وسيلة للقضاء على

كل شبهة من هذا النوع تفكيراً كان له من بعد أثره. وأما المشركون و سائر الأوس و الخزرج، فقد ألفوا أنفسهم بين المسلمين و اليهود ضعافاً نهكتهم الحروب الماضية، فاتجه همهم للوقيعة بين هؤلاء و أولئك. وأما اليهود فبادروا بادئ الرأى إلى حسن استقبال محمد ظناً منهم أن فى مقدورهم استمالته إليهم ادخاله فى حلفهم، و الاستعانة به على تأليف جزيرة العرب حتى تحقق فى وجه النصرانية التى أجلت اليهود، شعب الله المختار، عن فلسطين أرض الميعاد و وطنهم القومى، و انطلق كل على أساس تفكيره يمهد أسباب النجاح لبلوغ غايته.

هذا يبدأ طور جديد من أطوار حياة محمد لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء والرسل. هذا يبدأ الطور السياسى الذى أبدى محمد فيه من المهادة و المقدرة و الحنكة ما يجعل الإنسان يقف دهشاً ثم يطأطئ الرأس اجلالاً و إكباراً. كان أكبر همه أن يصل بيثرب، موطنه الجديد، إلى وحدة سياسية و نظامية لم تكن معروفة من قبل فى سائر أنحاء الحجاز، و إن كانت قد عرفت إلى ما قبل

ذلك بكثير ببلاد اليمن. فتشاور هو و وزيراه أبو بكر وعمر، فكذلك كان يسميها. وقد كان أول ما انصرف إليه تفكيره بطبيعة الحال تنظيم صفوف المسلمين و توكيد وحدتهم، للقضاء على كل شبهة فى أن تثور العداوة القديمة بينهم. ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتاخوا فى الله أخوين أخوين. فكان هو و على بن أبى طالب أخوين. وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين وكان أبو بكر وخارجة بن زيد أخوين. وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجى أخوين. وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين الذين كثر عددهم بيثرب، بعد أن تلاحق إليها سائر من كان بمكة فى أعقاب هجرة الرسول إياه، مع واحد من الأنصار أخاء جعل له الرسول حكم أخاء الدم و النسب، وبهذه المواخاة ازدادت وحدة المسلمين توكيداً.

و أظهر الأنصار من كرم الضيافة لإخوانهم المهاجرين ما تقبله هؤلاء أول الأمر مغتبطين. ذلك بأنهم تركوا ورائهم ما يملكون فيها من مال و متاع، ودخلوا المدينة ولا يكاد الكثيرون منهم يجدون قوتهم. ولم يكن منهم على جانب من الثراء و النعمة غير

عثمان بن عفان؛ أما الآخرون فقليل منهم مَن احتمل من مكة شيء ينفعه. وقد ذهب حمزة عم الرسول يوماً يطلب إليه أن يجد له ما يقتات به. وكان عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، ولم يكن عبد الرحمن يملك بيثرب شيئاً. فعرض سعد عليه أن يشاطره ما له. فأبى عبد الرحمن وطلب إليه أن يدلّه على السوق، وفيها بدأ ببيع الزبد والجبن، واستطاع بمهارة التجارية أن يصل إلى الثروة فى زمن قصير وأن يمهر إحدىٰ نساء المدينة، و أن تكون له قوافل تذهب فى التجارة وتجيء. وصنع غير عبد الرحمٰن من بعض المهاجرين صنيعه؛ فقد كان لهؤلاء المكيين من الدراية فى شؤون التجارة ما قيل معه عن أحدهم: أن يحيل بالتجارة رمل الصحراء ذهباً.

أما الذين لم يشتغلوا بالتجارة، ومن بينهم أبوبكر وعمر وعلى بن أبى طالب وغيرهم، فقد عملت أسرهم في الزراعة فى أراضى الأنصار مزارعة مع ملاكها. وكان غير هولاء وأولئك يلقون من الحياة شدة وبأساً؛ لكنهم كانوا يأبون أن يعيشوا كلّا على

غيرهم؛ فكانوا يجهدون أنفسهم فى العمل أشد الجهد، ويجدون فى ذلك من لذة الطمانينة لأنفسهم و لعقيدتهم ما لم يكونوا يجدونه بمكة. على أن جماعة من العرب الذين و وفدوا على المدينة واسلموا، كانوا فى حال من العوز و المتربة، حتى لم يكن لأحدهم سكن يلجأ إليه. هؤلاء أفرد محمد لهم صفّة المسجد (وهى المكان المسقوف منه) يبيتون بها ويأوون إليها، ولذلك سموا أهل الصفّة، وجعل لهم رزقاً من مال المسلمين من المهاجرين و الانصار الذين اتاهم الله رزقاً حسناً.

اطمأن محمد إلى وحدة المسلمين بهذه الموآخات. وهى لا ريب حكمة سياسية تدل على سلامة تقدير وبعد نظر، نتبين مقدارهما حين نقف على ما كان من محاولة المنافقين الوقيعة بين الأوس و الخزرج من المسلمين وبين المهاجرين و الأنصار لإفساد أمرهم. لكن العمل السياسى الجليل حقاً و الذى يدل على أعظم الإقتدار، ذلك ما وصل به محمد إلى تحقيق وحدة يثرب وإلى وضع نظامها السياسى بالاتفاق مع اليهود على أساس متين من الحرية و

التحـالف. وقـد رأيـت اليهـود كيف أحسـنـوا استـقبـالـه أملا فـى استـدراجـه إلـى صفوفهم. وقد بادر هو إلى رد تحيتهم بمثلها، وإلى توثيق صلاته بهم؛ فتحدث إلى رؤسائهم وتقرب إليه كبرائهم، وربط بيـنـه وبينهم برابطة المودة باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون. وبلغ من ذلك إن كان يصوم يوم صومهم، وكانت قبلته فى الصلاه ما تزال إلـى بيـت الـمـقـدس قبـلة أنظارهم ومثابة بنى اسرائيل جميعاً. وما كانت الأيام لتزيده با ليهود أو لتزيد اليهود به إلا مودةً و قربى. كما أن سيـرتـه وعـظيـم تواضعه، وجميل عطفه و حسن وفائه، وفيض بـره بـالـفـقـر والبائس و المحروم، وما أورثه ذلك من قوة السلطان عـلـى أهـل يثـرب كل ذلك وصل بالأمر بينه وبينهم إلى عقد معاهدة صـداقة وتـحـالف و تقرير لحرية الاعتقاد. معاهدة هى فى اعتقادنا، مـن الـوثـائـق السيـاسية الجديرة بالاعجاب على ممر التاريخ. وهذا الـطور من حياة الـرسـول لـم يسبـقـه اليله نبى أو رسول. فقد كان عيسى وكان موسى و كان من سبقهما من الأنبياء يقفون عند الدعوة الـديـنية يبـلـغـونها للناس من طريق الجدل ومن طريق المعجزة، ثم

يتركون لمن بعدهم من الساسة و ذوى السلطان أن ينشروا هذه الدعوة با لمقدرة السياسية و بالدفاع عن حرية إيمان الناس بها، ولو دفاعاً مسلحاً فيه الحرب و القتال. انتشر المسيحية على يد الحواريين من بعد عيسى، فظلوا ومن تبعهم يعذبون، حتى جاء من المَلوك من لان قلبه لهذا الدين فأواه ونشره. وكذلك كان أمر سائر الأديان فى شرق العالم وغربه. فأما محمد فقد أراد الله أن يتم نشر الإسلام و انتصار كلمة الحق على يديه وأن يكون الرسول والسياسى والمجاهد و الفاتح، كل ذلك فى سبيل الله وفى سبيل كلمة الحق بعث بها وهو قد كان فى ذلك كله عظيماً، وكان مثل الكمال الإنسانى على ما يجب أن يكون. كتب محمد بين المهاجرين و الأنصار كتاباً و أعد فيه اليهود وعاهدهم و أقرهم على دينهم وأموالهم و اشترط عليهم وشرط لهم ..... هذه هى الوثيقة السياسية التى وضعها محمد منذ ألف وثلاثمأة وخمسين سنة، والتى تقرر العقيدة وحرية الرأى وحرمة المدينة وحرمة المال وتحريم الجريمة. وهى فتح جديد فى الحياه السياسية و الحياة المدينة فى

عـالـم يومئذ ؟ هذا العالم الذى كانت تعبث به يد الإستبداد و تعيث فيـه يـد الـظـلـم فسـاداً. ولـئـن لم يشترك فى توقيع هذه الوثيقة من اليهـود بـنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع إنهم ما لبثوا بعد قليل أن وقـعـوا ان بيـنهـم وبيـن الـنبـىّ صـحـفاً مثلها. و كذلك اصبحت الـمـديـنة وما ورائها حرماً لإهلها، عليهم أن يـنـضحوا عنها ويدفعوا كـل عادية عليها، و أن يتـكـافـلوا فيما بينهم لاحترام ما قررت هذه الوثيقة فيها من الحقوق ومن صور الحرية.

فى هذه الفترة التـى سـكـن فيها المسلمون إلي دينهم فرضت الـزكـاة وفـرض الـصيـام و قـامـت الـحدود، وتمكنت بيثرب شوكة الإسـلام. وكـان مـحـمـد حيـن قـدم الـمـدينة إنما يجتمع إليه الناس لـلصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة؛ ففكر أن يدعوا للصلاة ببوق كا لبـوق الذى دعو به اليهود لـصـلاة، لـكنه كره البوق فأمر بالناقوس، فنحت ليضرب كـما تفعل النصارى. على انه بعد مشورة عمر و طائفة مـن الـمسـلـمـيـن عـلـى رواية وبـأمر الله على لسان الوحى فى رواية أخـرى، عدل عن الناقوس أيـضا إلي الأذان، وقال لعبد الله بن زيد

بـن ثـعلبة: قم مع بلال فألقها عليه أى صيـغة الأذان فيؤذن بها فإنه انـدى صـوتـا مـنك. وكـان لإمـرلـة مـن بـنى النجار منزل إلي جانب المسجد أعـلـى مـنه، فكان بلال يرقاء فيؤذن عليه. وكذلك صار أهل يثرب جميعاً يسمعون منذ الفجر من كل يوم دعوة إلي الإسلام مرتلةً ترتيلًا حسناً بصوت رطب يوجهها بلال مع كل ريح إلي كل النواحى ويـلـقـى فى اذن الحياة ندائه: الله اكبر، الله اكبر. اشهد أن لا اله إلا الله. اشهد أن مـحـمدا رسول الله. حى على الصلاة. حى على الفلاح. الله اكبـر. الله اكبـر. لا الـه إلا الله. وكذلك انقلبت مخاوف المسلمين امـنـا، واصبـحـت يثـرب مدينة الرسول، واصبح غير المسلمين قوة مـنبـعثة مـن اعـمـاق قـلوب عرفت التضحية فى سبيل الإيمان ذاقت الأذى بسببه ألواناً. وها هى ذى اليوم تحصد ثمرة الصبر وتسمع من حـرية الـعـقـيـدة بـمـا قـرر الإسلام من أن ليس لانسان على إنسان سيادة ، ومـن أن الـديـن لله وحده و العبودية له وحده و الناس امام وجهـه الاكـرم سـوا سية لا يـجزون إلا باعمالهم وبالنيّة التى تصدر هذه الأعمال عنها.

وانفسح المجال امام محمد ليعلن تعاليمه وليكون بذاته وتبصر فاته المثل الاسمى لهذه التعاليم، وليضع بذلك حجر الأساس للحضارة الإسلامية.

و حجر الأساس هذا هو الاخاء الإنسانى، اخاء يجعل المرء لا يكمل ايمانه حتى يجب لنفسه، وحتى يصل به هذا الإخاء إلي غاية البر والرحمة من غير ضعف ولا استكالة. سأل رجل محمداً: أى الإسلام خير؟ فقال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف. وفى أول خطبة ألقاها بالمدينة قال : "من استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشقة من تمر فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فإن بها تجزى الحسنة عشر امثالها". وفى خطبة الثانية قال: "اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، واتقوه حق تقاته، و اصدقوا الله صالح ما تقولون، وتحابوا بروح الله بينكم، أن الله يغضب ان ينكث عهده". بهذا وبمثله كان يحدث اصحابه وكان يخطب الناس فى مسجده. مستنداً إلي جذع من جذوع النخل التى يعتمد عليها سقفه، حتى أمر فصنع له منبر من ثلاث درجات الثانية، كان يقوم على

درجته الأولى خطيباً، وكان يجلس على درجته الثانية.

ولم تكن أقواله وحدها دعامة الدعوة إلي هذا الإخاء الذى جعل منه حجر الزاوية فى حضارة الإسلام، بل كانت اعماله وكان مثله هو هذا الأخ فى اسمى صور كماله كان رسول الله؛ لكنه كان يأبى أن يُظهر فى أى من مظاهر السلطان أو لملك أو الرياسة الزمانية. وكان يقول لأصحابه: " لا تطرونى كما اطرت النصارى إبن مريم؛ إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله" وخرج على جماعة من أصحابه متوكئاً على عصا فقاموا له، فقال: "لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً" وكان إذا بلغ فى مسيرة أصحابه جلس منهم حيث انتهى به المجلس. وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم، و يداعب صبيانهم و يجلسهم فى حجره، ويجيب دعوة الحر و العبد والأمة والمسكين ويعود المرضى فى اقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر، و يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلي صلاته. وكان أكثر الناس تبسماً

واطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن و يعظ أو يخطب. وكان فى بيته فى مهنة أهله يطهر ثوبه و يرقعه، ويحلب شاته، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم ويقضى حاجة الضعيف و البائس والمسكين. وكان إذا رأى أحداً فى حجة أثره على نفسه و أهله ولو كان بهم خصاصة. وكان لذلك لا يدخر شيئاً لغده؛ حتى لقد توفى ودرعه مرهو نة عند يهودى فى قوت عياله. وكان جمّ التواضع، شديد الوفاء، حتى لقد وفد للنجاشى وفد فقام يخدمهم؛ فقال له أصحابه: يكفيك. فقال: إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإنى أحب أن اكافئهم. وبلغ من وفائه انه ما ذكرت خديجة إلا ذكرها اطيب الذكر؛ حتى كانت عائشة تقول: ما غرت من امرأة ما غرت من خديجة، لما كنت أسمعه يذكرها. ودخلت عليه امرأة فهش لها واحسن السوأل عنها؛ فلما خرجت: انها كانت تأتينا أيام خديجة، وان حسن العهد من الإيمان. ويبلغ من طيبة نفسه ورقة قلبه انه كان يدع بنى بناقه يداعبونه أثناء صلاته. بل لقد صلى بأمامة بنت زينب يحملها على عاتقه، فإذا سجد وضعها وإذا قام

حملها.

ولم يقف بالبر و الرحمة الذين جعلهما دعامة الإخاء الذى قامت الحضارة الجديدة على أساسه عند الإنسان ، بل عدا هما إلي الحيوان كذلك؛ كان يقوم بنفسه فيفتح بابه لهرة تلتمس عند ملجأ وكان يقوم بنفسه على تمريض ديك مريض، وكان يمسح لجواده بكم قميصه. وركبت عائشة بعيرا فيه صعوبة فجعلت تردده؛ فقال لها: عليك بالرفق. وكذلك شملت رحمته كل ما اتصل بها. و اظلت كل من كان فى حجة إلي تفيؤ ظلالها.

وهى لم تكن رحمة ضعف ولا استكالة، ولم تشبها شائبه منّ ولا استعلاء؛ إنما كانت أخاء فى الله بين محمد و الذين اتصلوا به جميعاً. ومن ثم يفترق أساس حضارة الإسلام عن كثير من سائر الحضارات. الإسلام يضع العدل إلي جانب الإخاء، ويرى أن الإخاء لايكون أخاء إلا به. فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم. ولكم فى القصاص حياة يا أولى ا لالباب. يجب أن يكون الدافع النفسانى وحده الارادة الحرة المطلقة و ابتغاء وجه الله دون

أى اعتبار اخر، مصدر الإخاء ولا يدعو إليه من بر ورحمة. و يجب أن يصدر ذلك عن نفس قوية لا تعرف لغير الله اسلاماً، ولا تضعف ولا تكون النفس قوية لذا كانت فى حكم غيرها، ولا تكون النفس قوية إذا خضعت لحكم اهوائها وشهواتها. وقد هاجر محمد و أصحابه من مكة حتى لا يكونوا فى حكم قريش ولا يوهن آذاها نفس أحد منهم. و النفس إنما تخضع لحكم الأهواء و الشهوات تحكم الجسد فى الروح وغلبت الشهوة العقل، و أصحابنا نقيم للحياة الخرجة عنا سلطاناً على حياتنا نحن، على حين أنا فى غنى عنها وأنا أصحاب السلطان عليها.

وكان محمد المثل الاعلى فى القوة على الحياة قوة جعلته لا يأبى أن يعطى غيره كل ما عنده، حتى قال أحدهم: ان محمد يعطى عطاء من لا يخشى فاقة. ولكن لا يكون لشئ مما فى الحياة سلطان عليه، وليكون له هوكل السلطان عليها، كان شديد الزهد فى مادتها، على شدة رغبته فى الاحاطة بها وفى معرفة اسرارها، وتوقه إلي غاية الحقيقه من أمرها. بلغ من زهده فيها إن كان فراشه الذى ينام

عليه أدما حشوة ليف، وإنه لم يشبع قط، ولم يطعم خبز الشعير يومين متوالين. وكان السويق طعام أكلته الكبرى، وكان التمر طعام سائر يومه. وكان الثريد مما لا يكثر له ولا هله تناوله. ولقد عانى الجوع غير مرة، حتى كان يشد على بطنه حجراً يكظم به على صيحات معدته. ذلك كان المعروف عنه فى طعامه، وإن لم يمنعه ذلك من أن ينال فى بعض الاحايين من اطايب الرزق، و أن يعرف عنه حبه زند الخروف والقرع والعسل و الحلوى.

وكان زهده فى اللباس كزهده فى الطعام. اعطته إمراة يوماً ثوباً كان فى حاجة إليه، فطلب إليه أحدهم ما يصلح كفناً لميت فأعطاه الثوب. وكان معروف ثياب القميص و الكساء ، وكانا من صوف أو قطن أو تيل. على أنه فى بعض الاحيان لم يكن يأبى أن يلبس من انسجة اليمن لباساً فخماً يناسب المقام إذا اقتضاه المقام ذلك. وكان يحتذى حذاء بسيطا، ولم يلبس خفاً إلا حين اهدى إليه النجاشى خفين وسراويل.

لم يكن هذا الزهد ولا هذه الرغبة عن الدنيا تقشفاً للتقشف،

ولا كـانـا من فرائض الدين. فقد جاء فى القرآن: "كلوا من طيبات ما رزقـنـاكم" وجاء : وابتغ فيما اتاك الله الدار الأخرة ولا تنس نصيبك مـن الـدنيـا و احسـن كما احسن الله إليك. و فى الاثر: احرث لدنياك كـأنك تعيش ابداً، و اعمل لاخرتك كأنك تموت غداً. لكن محمداً أراد أن يـضرب للناس المثل الاعلى فى القوة على الحياة قوة لا يتطرق إليهـا ضعف، ولا يستعبد صاحبها متاع أو مال أو سلطان أو أى مما يجعل لغير الله عليه سيادة. و الاخاء الذى يستند إلي هذه القوة و يـكون له من المظهر ما ضرب محمد له المثل الاعلى فيما رأيت، أخاء مـحـض بـالـغ غـاية الإخـلاص و السمو، أخاء لا تشوبه شائبة، لان الـعـدل يتـاضـفـر فيه مع الرحمة، ولان صاحبه لا يرضى أن تـحمله عـليـه إلا أرادتـه الـحـرة المطلقة ، لكن الإسلام إذ يضع العدل على جانب الرحمة يضع العفو إلي جانب العدل. على أن عفوا عن مقدرة، ليـكـون مـظهـر الـرحـمة صـريـحاً صحيحاً، وليكون القصد منه إلي الإصلاح صادقاً.

هـذا الأسـاس الـذى وضـعـه مـحـمد للحضارة الجديدة التى

بقيمها يتخلص بصورة واضحة فيها روى عن على بن أبى طالب انه سأل رسول الله عن سنته فقال: المعرفة رأس مالى و العقل اصل دينى، و الحب أساسى، و الشوق مركبى ذكر الله أنيسى، و الثقة كنزى، و الحزن رفيقى، و العلم سلاحى، و الصبر ردائى، و الرضا غنيمتى، و الفقر فخرى، و الزهد حرفتى، و اليقين قوتى، و الصدق شفيعى، و الطاعة حسبى، والجهاد خلقى، وقرة عينى فى الصلاة.

مرتا البانية

جبران خليل جبران

مـات والدها وهى فى المهد، وماتت أمها قبل بلوغها العاشرة. فتـركـت يتيـمة فـى بيـت جـار فـقير يعيش مع رفيقته، وصغاره من بـذور الأرض وثـمـارهـا فى تلك المزرعة المنفردة بين أودية لبنان الجميلة .

مـات والـدهـا، ولـم يـورثها غير إسمه، وكوخ حقير قائم بين أشـجـار الجوز والحور. وماتت أمها ولم تترك لها سوى دموع الأسى وذل التيتّم. فبـاتـت غـريبة فـي أرض مولدهـا، وحيـدة بيـن تلك الـصـخـور الـعـالية والأشجار المحتبكة. وكانت تسير فى كل صباح عـارية الـقدمين، رثة الثوب، وراء بـقرة حـلـوب إلي طرف الوادى، حيـث الـمـرعـى الـخـصيـب. وتـجـلـس بـظل الأغصان، مترنمة مع العصافير باكية مع الجداول، حاسدة البقرة على وفرة الأكل، متأملة بـنـمـو الـزهـور، ورفـرفة الـفـراش. وعند ما تغيب الشمس ويضنيها الـجـوع ترجع نحو ذلك الكوخ وتجلس مع صبية وليها، ملتهمة خبز

الذرة، مع قليل من الثمار المجففة والبقول المغموسة بالخل والزيت. ثم تفترش القش اليابس مسندة رأسها بساعديها. وتنام منهد ء متمنية لو كانت الحياة كلها نوماً عميقاً، لا تقطعه الأحلام ولا تليه اليقظة. وعند مجيء الفجر ينتهرها وليها لقضاء حاجة، فتهب من رقادها مرتعدة خائفةً من سخطه وتعنيفه.

كذا مرت الأعوام على مرتا المسكينة بين تلك الروابى، والأودية البعيدة. فكانت تمنو بنموالأغصان، وتتولد فى قلبها العواطف على غير معرفة منها، مثلما يتولّد العطر فى أعماق الزهرة وتنتابها الأحلام والهواجس مثلما تنتاب القطعان مجارى المياه. فصارت صبية ذات فكرة تشابه تربة جيدة عذراء لم تلق بها المعرفة بذوراً ولا مشت عليها أقدام الإختبار، وذات نفس كبيرة طاهرة منفية بحكم القدر إلي تلك المزرعة، حيث تتقلب الحياة مع الفصول، فصول السنة كأنها ظل إله غير معروف جالس بين الأرض والسماء والشمس.

نحن الذين صرفوا معظم العمر فى المدن الآهلة نكاد لا

نـعـرف شيـئاً عن معيشة سكان القرى والمزارع المنزوية فى لبنان، قـد سرنا مع تيار المدنية الحديثة حتى نسينا أو تناسينا فلسفة تلك الـحيـاة الجميلة البسيطة المملوئة طهراً ونقاوةً، تلك الحياة التي إذا مـا تـأملناها وجدناها مبتسمةً فى الربيع، مثقلة فى الصيف، مستغلة فـى الـخـريف، مـرتـاحة فـى الشتـاء، متشبهة بـأمـنـا الطبيعة فى كل أدوارهـا. نحن أكثر من القرويين مالاً، وهم أشرف منا نفوساً. نحن نـزرع كثيـراً ولا نـحصد شيئاً، أما هم فيحصدون ما يزرعون. نحن عبيد مطامعنا، وهم أبناء قناعتهم. نحن نشرب كأس الحياة ممزوجة بمرارة اليأس والخوف والملل وهم يرتشفونها صافية.

بـلغت مرتا السادسة عشرة، وصارت نفسها مثل مرآة صقلية تـعـكـس محاسن الحقول، وقلبها شبيها بخلايا الوادى يرجع صدى كل الأصوات.

فـفـى يـوم مـن أيـام الخريف المملوء ة بتأوه الطبيعة جلست بـقـرب الـعُيـن الـمـنـعـتـقة من أسر الأرض انعتاق الأفكار من مخيلة الشـاعـر، تتـأمل باضطراب أوراق الأشجار المصفرة وتلاعب الهواء

بها مثلما يتلاعب الموت بأرواح البشر. ثم تنظر نحو الزهور فتراها، قد ذبلت ويبست قلوبها، حتى تشققت وأصحت تستودع التراب بذورها، مثلما تفعل النساء بالجواهر والحلى أيام الثورات والحروب.

وبينما هى تنظر إلي الزهور والأشجار، وتشعر معها بألم فراق الصيف، سمعت وقع حوافر على حصباء الوادى، فالتفتت وإذا بفارس يتقدم نحوها ببطء. ولما اقترب من العين وقد دلت ملامحه وملابسه على ترف وكياسة. ترجل عن ظهر جواده، وحياها بلطف ما تعودته من رجل قط، ثم سألها قائلًا: قد تهت عن الطريق المؤدية إلي الساحل، فهل لك أن تهدينى أيتها الفتاة ؟ فأجابت وقد وقفت منتصبة كالغصن على حافة العين: لست أدرى يا سيدى، ولكنى أذهب وأسأل وليّيى فهو يعلم: قالت هذه الكلمات بوجل ظاهر وقد أكسبها الحياء جمالًا ورقةً. وإذ همت بالذهاب أوقفها الرجل وقد سرت فى عروقه خمرة الشبيبة، وتغيرت نظراته وقال: لا. لا تذهبى. فوقفت فى مكانها مستغربة شاعرة بوجود قوة فى صوته تمنعها من

الحراك، ولما اختلست من الحياء نظرة إليه رأته يتأمل بها باهتمام لم تفقه له معنى ويبتسم لها بلطف سحرى يكاد يبكيها لعذوبته، و ينظر مودة وميل إلى قدميها العاريتين، ومعصميها، وعنقها الأملس، وشعرها الكثيف الناعم، ويتأمل بها بافتنان وشغف كيف قد لوحت الشمس بشرتها وقوت الطبيعة ساعديها. أما هى فكانت مطرقة خجلًا لا تريد الإنصراف ولا تقوى على الكلام لأسباب لاتدركها.

فى ذلك المساء رجعت البقرة الحلوب وحدها إلي الحظيرة. أما مارتا فلم ترجع. ولما عاد وليها من الحقل بحث عنها بين تلك الوهاد فلم يجدها. فكان يناديها باسمها، ولا تجيبه غير الكهوف، وتأوهات الهواء بين الأشجار. فرجع مكتئباً إلي كوخه. وأخبر زوجته فبكت المسكينة طول ذلك الليل. وكانت تقول فى سرها رأيتها مرة فى الحلم بين أظافير وحش كاسر يمزق جسدها، وهى تبتسم وتبكى.

هذا إجمال ما عرفته عن حياة مرتا فى تلك المزرعة الجميلة. وقد تخبرته عن قروى شيخ عرفها منذ كانت طفلة حتى شبت

واختفت من تلك الأماكن غير تاركة خلفها سوى دموع قليلة فى عينى إمرأة وليها، وذكرى رقيقة مؤثرة تسيل مع نسيمات الصباح فى ذلك الوادى. ثم تضمحل كأنها لهاث طفل على بلور النافذة.

(٢)

جاء خريف سنة ١٩٠٠ فعدت إلي بيروت بعد أن صرفت العطلة المدرسية فى شمال لبنان. وقبل دخولى إلي المدرسة قضيت أسبوعاً كاملًا أتجول مع أتراب فى المدينة، متمتعين بغبطة الحرية التى تعشقها الشبيبة وتحترمها فى منازل الأهل، وبين جدران المدرسة. فكنّا أشبه بعصافير رأت أبواب الأقفاص مفتوحة أمامها فطارت تشبع القلب من لذة التنقل، وغبطة التغريد. والشبيبة حلم جميل تسترق عذوبته معميات الكتب وتجعلها يقظةً قاسيةً. فهل يجئ يوم يجمع فيه الحكماء بين أحلام الشبيبة ولذة المعرفة مثلما يجمع العتاب بين القلوب المتنافرة ؟ هل يجئ يوم تصبح فيه الطبيعة معلمة إبن آدم، والإنسانية كتابه و الحياة مدرسته؟ هل يجئ ذلك اليوم؟ لاندرى ولكننا نشعربسيرنا الحثيث نحو الإرتقاء

الـروحـى وذلك الإرتـقاء هو إدراك جمال الكائنات بواسطة عوارف نفوسنا، واستدرار السعادة بمحبتنا ذلك الجمال.

فـفى عشية يوم، وقد جلست على شرفة المنزل أتأمل العراك الـمستمر فى ساحة المدينة، وأسمع جلبة باعة الشوارع ومناداة كل مـنهـم عـلـى طيـب ما لديه من السلع و المأكل، اقترب منى صبي إبن خـمـس، يـرتـدى أطماراً باليةً ويحمل على منكبيه طبقاً عليه طاقات الـزهـور وبـصـوت ضـعيف يـخفضه الذل الموروث والإنكسار الأليم قال: أتشترى زهراً يا سيدى ؟

فـنـظـرت إلـي وجهـه الـصـغيـر الـمـصـفـر، وتـأملت بعينـه الـمـكـحـولتيـن بـخيالات التعاسة والفاقة، وفمه المفتوح قليلًا كأنه جـرح عـميـق فـى صـدر متـوجـع، وذراعيـه العاريتين النحيلتين، وقامته الصغيرة المهزولة المنحنية على طبق الزهور كأنها غصن من الورد الأصفر الذليل بين الأعشاب النضرة، تأملت بكل هذه الأشياء بـلـمـحة مـظهـراً شـفـقتـى بـابتسـامـات هـى أمـر من الدموع، تلك الابتسـامـات التـى تـنشـق مـن أعـمـاق قـلوبنا وتظهر على شفاهنا،

ولوتركناها وشأنها لتصاعدت وانسكبت من مآقينا، ثم ابتعت بعض زهوره، وبغيتى أن ابتاع محادثته، لأننى شعرت بأن وراء نظراته المحزنة قلباً صغيراً تنطوى على فصل من مأساة الفقراء الدائم تمثيلها على ملعب الأيام. وقل من يهم بمشاهدتها لأنها موجعة. ولما خاطبته بكلمات لطيفة واستأمن واستأنس ونظر إلىّ مستغربا لأنه مثل أترابه الفقراء. لم يتعود غير خشن الكلام من أولئك الذين ينظرون غالبا إلي صبية الأزقة كأشياء قذرة لاشأن لها، وليست كنفوس صغيرة مكلومة بأسهم الدهر وسألته إذ ذاك قائلًا: ما إسمك؟ فأجاب وعيناه مطرقتان إلي الأرض.

إسمى فؤاد. قلت : إبن من أنت، وأين أهلك؟ قال أنا إبن مرتا البانية. قلت: وأين والدك ؟ فهز رأسه الصغير كمن يجهل معنى الوالد. فقلت: وأين أمك يا فؤاد ؟ قال: مريضية فى البيت.

تجرعت مسامعى هذه الكلمات القليلة من فم الصبى، وامتصتها عواطفى مبتدعة سوراً وأشباحاً عربيةً محزنةً لأنى عرفت بلحظة أن مرتا المسكينة التى سمعت حكايتها من ذلك

القروى هى الآن فى بيروت مريضة، تلك الصبية التى كانت بالأمس مستأمنة بين أشجار الأودية هى اليوم فى المدينة تعانى مضض الفقر و الأوجاع، تلك اليتيمة التى صرفت شبيبتها على أكف الطبيعة ترعى البقر فى الحقول الجميلة قد انحدرت مع الجرف، جرف نهر المدنية الفاسدة وصارت فريسة بين أظفار التعاسة و الشقاء.

كنت أفكر و أتخيل هذه الأشياء، و الصبى ينظر إلىّ كأنه رأى بعين نفسه الطاهرة انسحاق قلبى. ولما أراد الإنصراف أمسكت بيده قائلًا: سر بى إلى أمك لأنى أريد أن أراها.

فسار أمامى صامتاً معجباً. ومن حين إلى آخر كان ينظر إلى الوراء ليرى إذا كنت بالحقيقة متبعاً خطواته.

فى تلك الأزقة القذرة حيث يختمر الهواء بأنفاس الموت، بين تلك المنازل البالية حيث يرتكب الأشرار جرائمهم مختبئين بستائر الظلمة، وفى تلك المنعطفات الملتوية إلي اليمين وإلي الشمال التواء الأفاعى السوداء، كنت أسير بخوف وتهيّب وراء صبى له من حداثته

ونقاوة قلبه شجاعة لايشعر بها من كان خبيراً بمكايد أجلاف القوم، فى مدينة يدعوها الشرقيون عروس سوريا، ودرة تاج السلاطين، حتى إذا ما بلغنا أذيال الحى، دخل الصبى بيتاً حقيراً لم تبق منه السنون غير جانب متداع. فدخلت خلفه وطرقات قلبى تتسارع كلما اقتربت حتى صرت فى وسط غرفة رطبة الهواء، ليس فيها من الأثاث غير سراج ضعيف يغالب الظلمة بسهام أشعته الصفراء، وسرير حقير يدل على عوز مبرح وفقر مدقع، منطرحة عليه امرأة نائمة، قد حولت وجهها نحو الحائط كأنها تحتمى به من مظالم العالم أو كأنها وجدت بين جدرانه قلباً أرق وألين من قلوب البشر. ولما اقترب الصبى منها منادياً يا أماه ... التفتت إليه فرأته يومئ نحوى فتحركت إذ ذاك بين اللحف الرثة وبصوت موجع يلاحقه ألم النفس والتنهدات المرة قالت :

ماذا تريد يا رجل ؟ هل جئت لتبتاع حياتى الأخيرة، وتجعلها دنسة بشهواتك ؟ إذهب عنى فالأزقة مشحونة بالنساء اللواتى يبعنك أجسامهن ونفوسهن بأبخس الأثمان. أما فلم يبق لى

ما أبيعه غير فضلات أنفاس متقطعة عما قريب يشتريها الموت براحة القبر.

فاقتربت من سريرها، وقد آلمت كلماتها قلبى، لأنها مختصر حياتها التعسة، وقلت، متمنياً لو كانت عواطفى تسيل مع الكلام: لا تخافى مني يا مرتا، فأنا لم أجئ إليك كحيوان جائع بل كإنسان متوجع، أنا لبنانى عشت زمناً فى تلك الأودية والقرى القريبة من غابة الأرز، سمعت كلماتي وشعرت بأنها صادرة من أعماق نفس تتألم معها، فاهتزت على مضجعها مثل القضبان العارية أمام رياح الشتاء، و وضعت يدها على وجهها كأنها تريد أن تستر ذاتها من أمام الذكرى الهائلة بحلاوتها المرة بجمالها. وبعد سكينة ممزوجة بالتأوه ظهر وجهها من بين كفيها المرتجفتين فرأيت عينين غائرتين محدقتين بشئ غير منظور، منتصب فى فضاء الغرفة، وشفتين يابستين تحركهما ارتعاشات اليأس، وعنقاً تتردد فيه حشرجة النزع المصحوبة بأنين عميق منقطع، وبصوت يبثه الإلتماس والإستعطاف، ويسترجعه الضعف والألم قالت: جئت محسناً مشفقاً فلتجزك السماء عنى إن كان الإحسان على الخطيئة

بـرآ، والشـفـقة على المرذولين صلاحاً. ولكننى أطلب إليك أن تعود مـن حيـث أتيـت لأن وقـوفك فـى هـذا الـمـكان يكسبك عاراً ومذمةً، وحـنانك عليّ يثمر لك عيباً ومهانةً. ارجع قبل أن يراك أحد فى هذه الغرفة الدنسة المملؤة بـأقـذار الخنازير. وسر مسرعاً ساتراً وجهك بـأثـوابك كيلّا يـعرفك عابرو الطريق. أن الشفقة التى تملأ نفسك لا تـعيـد إلي طهارتى، ولا تمحو عيوبى، ولا تزيل يد الموت القوية عن قلبى. أنا منفية بحكم تعاستى وذنوبى إلي هذه الأعماق المظلمة. فلا تـدع شـفـقتك تـدنيك من العيوب. أنا كالأبرص الساكن بين القبور فـلاتقترب منى لأن الجماعة تحسبك دنساً، وتقصيك عنها إذا فعلت. إرجـع الآن ولا تـذكـر إسـمـى فـى تـلك الأودية المقدسة لأن النعجة الـجـرباء ينكرها راعيها خوفاً على قطيعه. وإذا ذكرتنى قل قد ماتت مـرتـا البـانية ولا تـقـل غيـر ذلك. ثـم أخذت يدى إبنها الصغيرتين، وقبـلتهـمـا بـلهفة وقالت متنهدة: سوف ينظر الناس إلي ولدى بعين السـخـرية والإحـتـقـار قـائلين: هذا ثمرة الإثم. هذا إبن مرتا الزانية. هـذا إبـن الـعـار. هذا إبن الصدف. سوف يقولون عنه أكثر من ذلك لأنهم عميان لايبصرون، وجهلاء لا يدرون أن أمه قد طهرت طفولته

بـأوجـاعهـا ودمـوعها، وكفرت عن حياته بتعاستها وشقائها، سوف أمـوت وأتـركـه يتيمـاً بين صبيـان الأزقة وحيداً فى هذه الـحيـاة الـقـاسية، غيـر تـاركة لـه سـوى ذكـرى هـائلة تخجله إن كان جباناً خـاملًا. وتهيـج دمه إذا كان شجاعاً عادلًا. فإن حفظته السماء، وشب رجلًا قـويـاً سـاعد السماء على الذى جنى عليه، وعلى أمه. وإن مات وتـمـلص من شبكة السنين وجدنى مترقبة قدومه هناك حيث النور و الراحة.

فـقلت وقلبى يوحى إلي: لست كالأبرص يا مرتا، وإن سكنت بيـن الـقبـور ولسـتِ دنسة وإن وضـعتك الـحيـاة بين الدنسين. إن أدران الـجسـد لاتمس النفس النقية، والثلوج لا تميت البذور الحية. وما هذه الحياة سـوى بيـدر أحزان تدرس عليه أغمارالنفوس قبل أن تـعطى غلتها، ولكن ويل للسنابل المتروكة خارج البيدر لأن نمل الأرض يـحملها، وطيور السماء تلتقطها، فلا تدخل أهراء رب الحقل. أنـت مـظـلـومةيـا مـرتـا وظـالـمك هـو إبـن القصور ذو المال الكثير والـنـفـس الصغير أنت مظلومة ومحتقرة. وخير للإنسان أن يكون مظلوماً من أن يكون ظالماً وأخلق به أن يكون شهيد ضعف الغريزة

الترابية من أن يكون قوياً ساحقاً بمقابضه زهور الحياة، مشوهاً بميله محاسن العواطف. النفس يا مرتا هى حلقة ذهبية مفروطة من السلاسل، سلسلة الألوهية. فقد تصهر النار هذه الحلقة وتغير صورتها وتمحو جمال استدارتها، لكنها لاتحيل ذهبها إلي مادة أخرى، بل تزيده لمعاناً. ولكن ويل للهشيَّم إذ تأتى النار وتلتهصُه وتجعله رماداً ثم تهب الرياح وتذريه على وجه الصحراء ... أى مرتا أنت زهرة مسحوقة تحت أقدام الحيوان المختبئ فى الهياكل البشرية. قد داستك تلك النعال بقساوة، لكنها لم تخف عطرك المتصاعد مع نواح الأرامل وصراخ اليتامى وتنهدات الفقراء نحو السماء، مصدر العدل والرحمة. تعزى يا مرتا بكونك زهرة مسحوقة ولست قدماً ساحقةً.

كنت أتكلم وهى مصغية. وقد أنارت التعزية وجهها المصفر مثلما تنير أشعة الشمس المغربة اللطيفة خلايا الغيوم، ثم أومأت إلىّ أن أجلس على جانب السرير. ففعلت سائلًا ملامحها المتكلمة عن مخبيئات نفسها الحزينة، ملامح من عرف أنه مائت، ملامح

صبية فى ربيع العمر، قد شعرت بوقع أقدام الموت حول فراشها البالى. ملامح امرأة متروكة، كانت بالأمس بين أودية لبنان الجميلة مملوءة حياة وقوة، فصارت اليوم مهزولة تترقب الانعتاق من قيود الحياة. وبعد سكينة مؤثرة جمعت فضلات قواها، وقالت ودموعها تتكلم معها ونفسها تتصاعد مع أنفاسها:

نعم أنا مظلومة .أنا شهيدة الحيوان المختبىء فى الإنسان. أنا زهرة مسحوقة تحت الأقدام. كنت جالسة على حافة ذلك الينبوع عند ما مرّ راكباً ... قد خاطبنى بلطف ورقة، وقال لى إنى جميلة، وإنه قد أحبنى فلا يتركنى. وإن البرية مملة وحشة، والأودية هى مساكن الطيور وبنات آوى... ثم ألوى على وضمنى إلي صدره وقبلنى. وكنت لم أذق حتى تلك الساعة طعم القبلة لأنى كنت يتيمة متروكة، أردفنى خلفه على ظهر الجواد، وجاء بى إلى بيت جميل منفردة. ثم أتى بالملابس الحريرية، والعطور الزكية، والمآكل اللذيذة والمشارب الطيبة... فعل كل ذلك مبتسماً ساتراً بشاعة ميوله وحيوانية مرامه بالكلام اللطيف والإشارات المستخبة ...وبعد أن أشبع شهواته من جسمى، وأثقل بالذل نفسى، غادرنى تاركاً فى

أحشائى شعلة حية ملهبة تغذت فى كبدى ونمت بسرعة. ثم خرجت إلي هذه الظلمة من بين دخان الأوجاع ومرارة العويل ... وهكذا قسمت حياتى إلي شطرين شطر ضعيف متألم، وشطر صغير يصرخ فى هدوء الليل طالباً الرجوع إلي الفضاء الوسيع. فى ذلك البيت المنفرد تركنى الظلوم ورضيعى، نقاسى مضض الجوع والبرد والوحدة لا معين لنا غير البكاء والنحيب، ولا سمير سوى الخوف والهواجس.

وعلم رفاقه بمكانى، وعرفوا بعوزى وضعفى. فجاء الواحد بعد الآخر، وكل يبتغى ابتياع العرض بالمال وإعطاء الخبز لقاء شرف الجسد ...آه كم قبضت على روحى بيدى لتقدمها للأبدية، ثم أفلتها لأنها لم تكن لى وحدى فشريكى بها كان ولدى الذى أبعدته السماء عنها إلي هذه الحياة مثلما اقصتنى عن الحياة وألقتنى فى أعماق هذه الهاوية... والآن ها هى الساعة قد دنت وعريسى الموت قد جاء بعد هجرانه، ليقودنى إلي مضجعه الناعم.

وبعد سكينة عميقة تشابه مس الأرواح المتطايرة رفعت عينها المحجوبتين بظل المنية، وقالت بهدوء : أيها العدل الخفى

الكامن وراء هذه الصور المخيفة ! أنت، أنت السامع عويل نفسى المودعة. ونداء قلبى المتهامل. منك وحدك أطلب وإليك أتضرع، فارحمنى وارع بيمناك ولدى، وتسلم، بيسراك روحى.

وخارت قواها، وضعفت تنهداتها، ونظرت إلي إبنها نظرة حزن وحنو، ثم ميلت عينيها. وبصوت يكاد يكون سكينة قالت: أبانا الذى فى السموات... ليتقدس إسمك ... ليأت ملكوتك ... لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض. اغفرلنا ذنوبنا.

وانقطع صوتها وبقيت شفتاها متحركتين هنيهة، وبوقوفهما همدت كل حركة فى جسمها. ثم اختلجت وتأوهت وابيض وجهها، وفاضت روحها، وظلت عيناها محدقتين بما لايرى.

عند ما جاء الفجر وضعت جثة مرتا البانية فى تابوت، وحملت على كتفى فقرين، ودفنت فى حقل مهجور بعيد عن المدينة وقد رفض الكهان الصلاة على بقاياها، ولم يقبلوا أن ترتاح عظامها فى الحبانة حيث الصليب يحفر القبور. ولم يشيعها إلي تلك الحفرة البعيدة غير إبنها، وفتى آخر كانت مصائب هذه الحياة قد علمته الشفقة.

حنان أب

محمد الحبيب معلى التونسي

عجبت سعاد من أن العاصفة الهائجة فى قرارة نفسها لا تبدو آثارها لأصدقائها وزائريها بل انهم على العكس لا يفتأون يحدثونها عن حسن صحتها، ويحمدون لها دوام سرورها وبهجتها. فهل يستطيع هدوء الملامح أن يخفى كل تلك النار المشتعلة؟ ألا ينظر هؤلاء إلى ماتم عنه عيناها من عميق الحزن وشديد الألم؟ إنها لتضحك فى حضرتهم مرغمة، ولكن ضحكتها ترنّ فى أذنيها كأنها خارجة من شخص آخر سواها، بل تكاد تنقلب فى سمعها أنة طويلة موجعة. وإنها لتبتسم أمامهم مجبرة كذلك، ولكن يخيل إليها أن ابتسامتها إنما هى انفراج الشفتين عن زفرة واختلاجهما عند غزارة البكاء.

وما رأت نفسها وحيدة حتى ذهبت إلى المرآة فراعها من نفسها وجه تمثل فيه الألم والعذاب، وإن كان الناس لا يفهمون ملامحه. وقد بان عليها أثر الشهور الستة التى قضتها فى ألم مبرح

وهـم وقـلق. وكادت نفسها فى أثنائها تتمزق من جراء المعركة القائمة فيهـا بين القلب والضمير أو بين العاطفة والواجب. لقد وقفت موقعاً حـرجـاً بيـن زوج لاتحبه ولا تحترمه وبين حبيب كأنما كان وكانت جسما واحداً روحاً واحدة فانفصما فى غابر الدهور.

إن زوجها محمود شاب جميل الطعلة، رحيم القلب وقد تحابا فـى بـداية زواجهـمـا، ولـكـن معاشرتها إياه هذه السنوات الاربع قد أطـلـعتهـا على عيوب فيه كانت مجهولة، واتضح لها جليا أن زوجها ليـس المحامى العظيم الذى كانت تظن بل إن إلهامه محدود وكفايته قـصيـرة الـمـدى، ومـن ثـم لـم يستطع أن يكون له اسما منشوراً فى سـنـوات طـويـلة. وهـا هـو مستـقبـلـه ينبئ عن أسواء من حاضره وماضيه، وها هو ينفق الثروة التى ورثها عن أبيه دون حساب، ولن تلبث أن تنفد، ولو كان هذا كل ما يعيبه لهان ولكن بينه وبين سعاد زوجتـه كـل خـلاف طبيـعى مستطاع. لقد أصبح مدمنا على الشراب فـى الأشهـر الأخيرة إذ صار يذهب إلى إحدى الحانات كل مساء فلا يـعـود إلا قبيـل الـفـجر، وهو يترنح فى مشيته لا يكاد يدرى موضع

المفتاح من قفل الباب. وهذا الذى نفد له صبر سعاد، ولم يبق على ذرة من احترامها لزوجها. وإنما ربطتها به علاقة لا تسطيع أن تفصمها إذ أنسلها "أمين" وهو الطفل البديع الذى لا تحسب أن له مثيلا فى الأطفال، وقد بلغ الثالثة من عمره وجمع بين الذكاء الخارق والرشاقة.

ذلك زوجها، أما حبيبها الدكتور أحمد فقد خلقه الله مخالفاً له فى كل شىء، وموافقاً لها فى كل ما تحس وتشعر، فهو أولا دل على همة وكفاءة ونجح فى الحياة نجاحاً باهراً، ولم يتخط الثلاثين من عمره، فهو الطبيب صاحب الشهرة التى حجبت شهرة كل طبيب آخر. وقد كان أول عهد سعاد به أن مرضت يوماً فاستدعى لعلاجها جعل ويعاودها مراراً، وهى ترى فى كل مرة جديداً من الرقة والوداعة وسمو الفكر. ثم صار المرض عندها عادة تنتابها. فكلما شعرت بالوحدة وساءها من زوجها خموله وإدمانه استدعت الدكتور أحمد ليعالجها. وإنها لمعالجة نفسية تصعد بروحها إلى سماء عالية. وما كان الحديث يدور بينها إلا حول أشعار الفحول

المعاصرين والماضين وحول التمثيل والتأليف وحول النفس والشعور. فإذا بكل منهما بعد حين وقد وجد فى الآخر صورة من نفسه وشطراً من رأيه ومبدئه، حتى جاء يوم قال الطبيب فيه بغتة: سعاد..... لماذا نخدع أنفسنا؟ إن كلا منا يحب الآخر فما فائدة الكتمان؟ فأومأت برأسها فى خجل وحياء، ثم سقطت من عينيها عبرتان كانتا أبلغ جواب. وكذلك ظل الدكتور أحمد يزور سعاد ولا يكاد ينقطع عن الزيارة يوما، وزوجها غافل عن العاطفة النامية بينهما. وإنما كان يبدى النفور منه إذا رآه أو تحدث عنه. فلا تجيبه زوجته بموافقة أو معارضة. ثم بلغ الحب من الدكتور أحمد مبلغاً لم يستطع الصبر بعده. فصارح سعاد برغبته فى الفرار معها، ليعيشا بعد ذلك كل للآخر، لا يعنيهما من العالم شىء. وما سمعت منه ذلك حتى جاشت بنفسها العواطف المختلفة ما بين حبها لابنها وواجبها نحو زوجها، وما بين غرامها بهذا الطبيب الذى ملك عليها قلبها، وصار لها الحيلة بكل ما فيها من سعادة ونعيم. فلما أنبأته بعظم التضحية التى يطلبها منها، قال إنه هو أيضاً إذ يفر معها يضحى

بسمعته وشهرته.

وأخيراً استطاع أن يغريها بالفرار، وحدد لذلك الساعة الرابعة صباحاً بينما يكون زوجها غائباً فى ناديه، لا يدرى من أمور العالم غير كؤوس الخمر التى يحتسيها.

عاد محمود من سهرته ثم ذهب توّاً إليك مكان المائدة حسب عادته، يريد أن يتجرع من زجاجة الخمر، فوجد بجانبها خطاباً تركته له زوجته. قرأه فلم يستطع أن يفهمه لأول مرة. ولكنه لما قرأه مرة ثانية وثالثة ذهبت نشوته وأفاق من السكر. وكان الشعور الذى غمره فى هذه اللحظة شعور الحزن والألم لفقده زوجته التى يعبدها فى قرارة قلبه.

بعد مضى ثلاثة أشهر على هذه الحادثة المؤلمة اهتدى محمود إلى منزل زوجته، وعزم على زيارتها، لا لينتقم منها، أو من حبيبها ولكن ليؤنبها علىٰ فعلتها الشنعاء وسفالتها الدنيئة. رأته فجأة واقفاً أمامها فى وسط الغرفة، وهى التى لم تكن تتصور أنها ستراه. فذعرت واصفر لونها، ولكنها نكست بصرها وطأطأت

رأسها أمامه. ووقفا برهة صامتين صمتاً رهيبا. وأخيراً تكلم بصوت وهو يرتجف.

أظنك لم تكوني لتنتظري أن ترى أمامك ذلك الرجل الذى ملأته خزياً وكسوته عارا ؟ لقد كان فى إمكانك أن تبعدى أكثر من ذلك، وتختجىء فى ملجأ لا أصل إليه، ولكنك قربت إلىّ الطريق فشكراً لك.

تخاذلت ساقاها وكادت ترتمى على الأرض ولكنه أتم حديثه وقال: أراك خائفة ولكن لا داعى للخوف فلا أروم اعتداء على حياتك. أنا زوجك ويحق لى قتلك بعد ما فعلته، ولكنى لست من القتلة. وماذا يعود علىّ من قتلك ؟ أيكون ذلك انتقاما ؟ كلا فلست أميل إلى مثل هذا الانتقام، ولذا سأتركك حية. ولتفهمى أننى لم آت إلى هنا بسببك أنت.

يحق لك أن تلعنى وتحتقرنى. نعم أنا امرأة ساقطة. فلقد أذنبت فى حقك كما أذنبت فى حق نفسى، ولا يوجد سبيل لإصلاح هذا الإثم. وربما كان فى وسعى أن أدافع عن نفسى، ولكننى لن

أفعل، ولن أعتذر لأن غلطتى هائلة، ولأننى مجرمة ولأننى عالمة بعارى، وأننى عالمة بحلمك وكرمك، ولكننى لن أسأل الصفح والمغفرة فذنبى عظيم لا يصفح عنه شريف مثلك.

–لقد أخبرتك أنه ليس ما يدعو إلى الخوف. فأنت فى مأمن على حياتك. ولو أنه يجب علىّ أن أناقشك الحساب على هذا الجرم الهائل إلا أن ذلك لا يفيد، فإننى أوثر تركك لضميرك يؤنبك كما يشاء.

–ولكن ما الدافع إذاً لمجيئك الآن ؟

–أريد ابنى.

– ابنك.....

–نعم ابنى أين هو ؟

–ولكنه ابنى أيضاً.

صمتاً يا هذه..... فالمرأة المجرمة والزوجة الخائنة لا يجب أن تكون أمّاً.

–وهل فى نيتك أن تأخذ منى ولدى...؟

–ولأجل ذلك جئت.

اكفهر وجهها وصاحت: ولكنى أحب ولدى أمين.

–وكيف تزعمين أنك تحبينه وأنت بإبقائه معك يشاطرك خزيك وعارك؟

توبى إلى رشدك فالطفل ابنى وليس ابنك.

–ولكنى أحبه.

– أولم أكن أحبك أنا بل أعبدك ؟

وكانت تنظر إليه بعينين شاردتين، وهى مذعورة وشعرها منسدل على كتفيها، وقلبها حزين مكلوم، فأتم زوجها كلامه وقال: إننى لا أريد أن يوصم جبين هذا الطفل المسكين البرىء بطابع إثمك وجريمتك. وإننى أقسم أنه لولا أخذك إياه لما تبعتك ولكنتُ تركتك للقدر، ولكنت نسيتك على مر الأيام كما نسيت حبك. ولولا ابنى أيضاً لما بقيت حيّاً بعد تلك الضربة التى سددتماها إلىّ. إننى راغب فى الحياة لا للانتقام منك–وهو انتقام عادل– إنما لأجل ولدى. أفاهمة أنت؟ لأجله فقط عشت ولأجله سأعيش..... إنك

دست على واجبك بقدمك فانتهى كل شىء بيننا وانقطعت صلاتنا.

اجيبى أين ولدى ؟

– كلا لا يمكننى أن أقول.

– أجيبى أين هو ؟

تمالكت نفسها، وشمخت بأنفها، ونظرت إليه نظرة مرعبة وقالت:

– كلا لن أسلمك إياه.

– إذن فسأبحث عنه بنفسى.

وتقدم نحو باب مغلق، فهرولت معارضة، ووقفت بينه وبين الباب. فرمقها بنظرة احتقار وقال: الآن علمت أنه هنا. وتقدم نحوها فصرخت:

– لا تدخل.

– اتركينى أدخل.

– لا.

فقبض على كتفيها وطرحها على الأرض وتقدم، إلا أنها نهضت فى الحال، وتعلقت بثيابه قائلة:

– اقتلنى بربك قبل أن تأخذ منى ولدى.

– أولم تأخذيه أنت منى ؟ ابتعدى.

– لا. أى انتقام أفظع من هذا ؟ هل تظن أن المرأة المذنبة لا قلب لها، حتى تمتنع عن حب ولدها. أجل إنى امرأة مذنبة لأننى خنتك، ولكننى أقسم بأن الذنب ليس ذنبى. ولكننى أحتمل الجزاء لما كبدته لك من الشقاء. فاقتلنى اقتلنى، فأموت وأستريح من عذابى.

– لا رغبة لى فى قتلك. إن انتقامى هو بتركك حية. إنك ستعيشين ولكنك لن ترى ابنك بعد الآن. هذا هو انتقامى. ودفعها عنه فعادت وتعلقت به فصاح:

اغربى عن وجهى.

ودفعها بقوة وعنف، ودنا من الحجرة، ودخل فوقع نظره على مهد ابنه، فانحنى عليه وحمله بحنو فاستيقظ الطفل. ولما رأى وجه أبيه تبسم، وصفق بيديه سروراً وفرحا: بابا.....بابا. وكرر هذه اللفظة بصوت حلو جعل الرجل يقف صامتاً خاشعا. وأخيراً ضمه إلى صدره بقوة وأخذ يقبله بشوق وطرب حتى أنه لم يشعر

بدخول زوجته الحجرة واستمر يلثم ابنه كالمجنون.

– لأجلك عشت يابنى. لأجلك فقط..... وتريد هى أن تأخذك منى أبداً أبداً. كفى أنها أخذت قبلى منى وحطمتنى. أواه يا ولدى.

فلم يفهم الطفل كلامه ولكنه طوق عنق أبيه بساعديه الصغيرين وأخذ يضحك بسرور زائد، ووقع نظره بغتة على وجه أمه وهى واقفة بالباب فصاح: ماما .....ماما. ها هو أبى. تعالى تعالى.

اكفهر وجه الرجل، وقطب حاجبيه، وأدار وجهه نحوها وهم باكلام، ولكنها ركعت تحت قدميه، وقالت الرحمة الرحمة!

فرشقها بنظرة شرسة وقال: كلا أبداً.

– أقسم لك أن الذنب ليس ذنبى. بل ذنبه هو، ذنب ذلك السافل. إنه أراد أن ينتقم منك أنت عدوه. فلم يجد غيرى أمامه. فأعد لى مكيدة فوقعت فيها رغماً عنى. ولما أفقت إلى رشدى وأدركت عمق الهوة التى سقطت فيها كان عذابى أليما. فخجلت من نفسى. أنا زوجتك التى ما زالت تعبدك. لقد ساورنى يومئذ عارض يأس هائل عندما فكرت فيما ألحقت بك من الخزى والعار والمذلة،

أنت الرجل الفاضل الكريم. علمت أن ذنبى عظيم وزلتى أكبر من أن تغفر. فبرح بى الندم وشعرت بوطأة الذل وزاد شجنى وغمى لأجل ولدى، وقد لطخت مهده الأبيض بفعلتى الشنعاء. نعم لقد خنتك ودست شرفك رغماً عنى ثم قلت لنفسى أأندم ؟ ولكن ماذا يجدى الندم ؟ وهل يمحو إساءتى الكبرى. وهل يمكننى أن أجرؤ على مقابلتك ؟ فألقى وجهك الكريم بوجهى الذى يعلوه الإثم. أنا المجرمةوأنت الشريف. ولقد كان بإمكانى أن أقابلك وأقر لك بالحقيقة. ولكنى خفت ألا تصدقنى ولا تصفح عنه. بل ظننت أنك ستهينى. وذلك ما يزيد عذابى. فآثرت الصمت. ولو لم ينادنى ابنك الآن لما صرحت لك بشىء. زوجى، أنا المنكودة الشقية التعسة، أرجوك وأتوسل إليك أن تترك لى ولدى وأنا أتعهد لك أنه لن يمكث عندى طويلا. وكفانى فى هذه الأيام القليلة عذاب قلبى وعذاب ضميرى.

سقطت من عينى الرجل دمعتان على خديه وتمتم:

– كفى. قفى وخذى ابنك. وإن شئت فاتبعينى.

تجارة رابحة

طه حسين

بلغ النبى ﷺ وصاحبه أبو بكر قباء، نزلًا فيها بين جماعة من المسلمين من المهاجرين والأنصار، وقد فرح النبيُّ بهجرته إلي المدينة وفرحتِ المدينة بهجرته إليها، فهى فى عيدٍ متصل، والأنصار يستبقون إلى برّ النبىّ وأصحابه من المهاجرين، يؤوونهم، ويقومون بحاجاتهم، ويُطرِفونهم بما يستطيعون أن يُطرفوهم به من الطيبات، وقد تقدّم النهار وصُليتِ الظهر، وأقبل رجلٌ من الأنصار فوضع بين يدى النبى رُطَباً، وجعل النبىُ وصاحباه أبو بكر وعمر يُصيبون من هذا الرطب، وإنهم لفى ذلك فإذا شخص يرفع لهم، ثم يدنو منهم، ثم يُسلم عليهم، ثم يجلس إليهم وإذا هو صهيب، سابقُ الروم إلى الإسلام كما قال فيه رسول الله ﷺ.

وقد أقبل صُهيبٌ مجهوداً مكدوداً قد بلغ منه الإعياء وكاد يأتي عليه الجوع، وقد أصابه في طريقه رَمدٌ، فهو لا يكاد يرى إلا في مشقة أي مشقة، وقد ألقىٰ تحيةً إلى أصحابه، ثم ألقى نفسه على

الأرض ثم نظر فرأى الرُطب فانكبّ عليه، وجعل يأكل منه أكلاً غير رفيق، يقول عمر بن الخطاب للنبيﷺ: ألا ترىٰ يا رسول الله إلى صُهيب يأكل الرُّطب وهو رمد؟ فيقول له النبيّ: أتأكل الرطب وأنتَ رمد؟ فيقول صهيب وهو يُمعن في الأكل: إنما آكلُه بشق عيني الذي لم يَرمد، فيبتسمُ رسول الله ويضحك القوم، ويَمضي صهيب في أكل غير رفيق، حتى إذا أرضى حاجته إلى الطعام جعل يُعاتب أبا بكر فيقول: وعدتني الصّحبة ثم تركتني، ثم يُعاتب النبيَّ فيقول: ووَعدتني يا رسول الله الصحبة ثم تركتني، والله ما خلصتُ إليك حتى اشتريتُ نفسي من قريش بما لي أجمعَ، وما تركتُ مكة إلا بمُدّ من دقيق عجنتُه بالأبواء، وعِشتُ عليه حتى انتهيتُ إليك، فيُجيبه رسولُ الله: ربحَ البيع أبا يحيىٰ! ربح البيع! ويُنزل الله هذه الآية الكريمة: "ومنَ الناسِ مَن يشترِى نفسَه ابتِغاءَ مرضَاتِ اللهِ والله رؤفٌ بالعبادِ" (البقرة: ٢٠٧) وقد أوجز صُهيبٌ قِصة هذا البيع الرابح.

وقد كان من أخلاقِ المسلمين الصادقين ألا يتكثّروا ولا يمُنُّوا إسلامهم، وقد ثابت قريش بعضَ الشئ إلى نفسها بعد أن

فاتها محمدٌ وأبو بكر، وجعلتُ تتّبعُ من لقي من أصحاب محمد، تحبِسهُم عن الهجرة، وتُمسِكهم في العذاب، وتَفْتِنهُم فى دينهم وتَصدُّهم عن سبيل الله، وكان صُهيبٌ من الذي حَبَسَتهم قريش، يقول له أبوجهل وقد وَرِمَ أنفهُ وذهب به الغيظ كل مذهب: أتيتنا صُعلوكاً حقيراً لا تملك من الدنيا شيئاً، فأثريتَ عندنا وأصبحت ذا مال، ثم أنتَ تريد أن تفوتنا بمالكِ ونفسك إلى محمد وأصحابه ! قال صهيب: فإن خَلَّيتُ بينكم وبين مالي أتُخلُّون بيني وبين ما أريد من الهجرة. قال قومٌ: نعم، وقال أبو جهل: هيهات ! إنَّ حاجتنا إلى مالك ليست أقلّ من حاجتنا إلى نفسك، فلَنمسِكنَّك فى العذاب حتى نأخذَ مالك ثم نأتى على نفسك أو تعودَ من دينك إلى ما كنت عليه، قال صهيب وفى صوته حزنٌ مرٌّ: لو عاش عبدُ الله بن جُدعان لما بلغتَ منى ما ترىٰ، قال أبو جهل: سنلحقكَ بعبد الله بنِ جدعان فأشكنُا إليه إن شئتَ، ألستم تزعمون أن الناسَ يحيون حياةً ثانيةً بعد حياتهم هذه الأولىٰ، فالقى عبدَ الله بن جدعان هناكَ إن شئتَ فاشكنا إليه، قال صهيب: هيهات! لن ألقاه قد وعدنى رسولُ الله

الجنةَ وهو فى النار، قال أبو جهل: وقد استأثر به الغيظ، فسطا على صهيب وضرب فى وجهه ضرباً عنيفاً– ألا تسمعون يا معشر تَيم إنّ سيدكم عبد الله بن جدعان في النار، وإن عبدَه هذا الرومىّ سيصيرُ إلى الجنة ! ما رأيتُ كاليوم حُمقاً ولا خُرقاً.

ولبِثَ صُهيب في حبسه أياماً لا يُرزق من الطعام إلا ما يعصمه من الموت، ولكنّ الإسلام كان في ذلك الوقت قد فشا في أحرار مكة ورقيقها، فيحتالُ بعض أولئك وهؤلاء، وإذا صهيبٌ قد انسلّ من مَحبسِه وركب راحلته، وأخذ طريقه إلى المدينة.

وعلمتْ قريشٌ بأن صُهيباً قد انسلّ من محبسه، بأنه يوشك أن يَفوتها، فتُرسل في أثره الخيلَ، ويُدركُ القومُ صهيباً ولم يَمض في طريقه إلا قليلاً، فلما رآهم قد أقبلوا، وعلم أنهم يوشكون أن يأخذوه وأن يردُّوه إلى الفتنة والعذاب وقفَ لهم، ونثر ما في كنانته من السِّهام، وقال لهم في صوت الحازم المصمم: علمتُم يا معشر قريشٍ أني من أرماكم رجلاً، وأنكم والله لا تصلون إليَّ حتى أرميكم بكل ما بين يديَّ من سهم، ثم أضربكم بسيفي ما بقي منه شئ في يدي، فاختاروا بين الموت وبين مالي أدلُكم عليه فتأخذونه

وتُـخـلُّـون بيـني وبين الطريق، ولم يَطُل تفكير قريش ولا ائتمارُها، وإنـمـا آثروا العافية والسلامة والمال، فقالوا: قد رضينا، فدلَّنا على مالك، فأنبأهم بمكانه وانصرفوا عنه، ومضى هو في طريقه حتى بلغ رسـولَ الله وقـد أدركـه مـن الـجَهد والكَدّ ومن الظمأ والـجوع ما كاد يأتي عليه.

مَنهجُ الأنبياء في الإصلاح والتغيير

سيد أبو الحسن علي الندوي

العالم الذي واجهه محمد ﷺ :

بعث محمد بن عبد الله ﷺ والعالم بناء أصيب بزلزال شديد هزه هزاً عنيفاً؛ فإذا كل شيٌ فيه في غير محله، فمن أساسه ومتاعه ما تكسر، ومنه ما التوى وانعطف، ومنه ما فارق محله اللائق به وشغل مكاناً آخر، ومنه ما تكدس وتكوم.

نظر إلى العالم بعين الأنبياء فرأى إنساناً قد هانت عليه إنسانيته، رآه يسجد للحجر والشجر والنهر، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر.

رأى إنساناً معكوساً قد فسدت عقليته، فلم تعد تسيغ البديهيات، وتعقل الجليات، وفسد نظام فكره، فإذا النظري عنده بديهي وبالعكس، يستريب في موضع الجزم، ويؤمن في موضع الشك. وفسد ذوقه فصار يستحلي المر ويستطيب الخبيث، ويستمرئ الوخيم؛ وبطل حسه فأصبح لا يبغض العدو الظالم، ولا

يحب الصديق الناصح.

رأى مجتمعاً هو الصورة المصغرة للعالم، كل شيٌ فيه في غير شكله أو في غير محله، قد أصبح فيه الذئب راعياً والخصم الجائر قاضياً، وأصبح المجرم فيه سعيداً حظياً، والصالح محروماً شقياً! لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف، ولا أعرف من المنكر. ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية، وتسوقها إلى هوة الهلاك.

رأى معاقرة الخمر إلى حد الإدمان، والخلاعة والفجور إلى حد الإستهتار، وتعاطي الربا إلى حد الاغتصاب واستلاب الأموال، ورأى الطمع وشهوة المال إلى حد الجشع والنهم، ورأى القسوة والظلم إلى حد الوأد وقتل الأولاد.

رأى ملوكاً اتخذوا بلاد الله دولاً، وعباد الله خولاً، ورأى أحباراً ورهباناً أصبحوا أرباباً من دون الله، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله.

رأى المواهب البشرية ضائعة أو زائغة لم ينتفع بها ولم توجه التوجيه الصحيح، فعادت وبالاً على أصحابها وعلى الإنسانية، فقد

تحولت الشجاعة فتكاً وهمجيةً، والجود تبذيراً وإسرافاً، والأنفة حمية جاهلية، والذكاء شطارة وخديعة، والعقل وسيلة لابتكار الجنايات، والإبداع في إرضاء الشهوات.

رأى أفراد البشر والهيئات البشرية كخامات لم تحظ بصانع حاذق، ينتفع بها في هيكل الحضارة، وكألواح الخشب لم تسعد بنجار يركب منها سفينة تشق بحر الحياة.

رأى الأمم قطعاناً من الغنم ليس لها راع، والسياسة كجمل هائج حبله على غاربه، والسلطان كسيف في يد سكران يجرح به نفسه، ويجرح به أولاده وإخوانه.

نواحي الحياة الفاسدة :

إن كل ناحية من نواحي هذه الحياة الفاسدة تسترعي اهتمام المصلح وتشغل باله، فلو كان رجل من عامة رجال الإصلاح لتوفر على إصلاح ناحية من نواحيها، وظل طول عمره يعالج عيباً من عيوب المجتمع ويعانيه، ولكن نفسية الإنسان معقدة التركيب دقيقة النسج كثيرة المنافذ والأبواب خفية التخلص والتنصل، وإنها إذا

زاغت أو اعوجت لا يؤثر فيها إصلاح عيب من عيوبها وتغيير عادة من عاداتها، حتى يغير اتجاهها من الشر إلى الخير ومن الفساد إلى الصلاح، وتقتلع جرثومة الفساد من النفس البشرية التي قد تنبت بفساد المجتمع واختلال التربية كما تنبت الحشائش الشيطانية في أرض كريمة، وتحسم مادة الشر ويغرس فيها حب الخير والفضيلة ومخافة الله عزوجل.

وكل داء من أدواء المجتمع الإنساني وكل عيب من عيوب الجيل الحاضر يتطلب إصلاحه حياة كاملة، ويستغرق عمر إنسان بطوله، وقد يستغرق أعمار طائفة من المصلحين ولا يزول، فإذا ذهب أحد يطارد الخمر في بلاد قد نشأت على حياة الترف والبذخ ودانت باللهو واللذة، أعياه أمرها وحبطت جهوده، لأن شرب الخمر ليس إلا نتيجة نفسية تعشق اللذة حتى في السم، وتبتغي النشوة حتى في الإثم، فلا تهجره بمجرد الدعاية والنشر والكتب والخطب وبيان مضاره الطبية ومفاسده الخلقية، وبسن القوانين الشديدة والعقوبات الصارمة لا تهجره إلا بتغيير نفسي عميق، وإذا أرغمت

علـى تـركه بغير هذا التغيير تسللت إلى غيره من أنواع الجريمة أو استباحته بتغيير الأسماء والصور.

لم يكن الرسول رجلاً إقليمياً أو زعيماً وطنياً :

وكـان مـجـال الـعـمل في بلاد العرب فسيحاً إذا كان الرسول ﷺ رجلاً إقـليمياً وسار في قومه سيرة القادة السياسيين والزعماء الـوطـنيين، كـان لـه أن يـعـقـد للأمة العربية لواء تنضم إليه قريش والـقبـائل العربية، ويكوّن إمارة عربية قوية موحدة يكون رئيسها، ولا شك أن أبـا جهـل بـن هشـام وعتبة بن ربيعة وغيرهما كانوا في مـقـدمة مـن يـنـضم إلى هذا اللواء القومي، ويقاتلون تحته ويقلدونه الـزعـامة. أمـا كـانـوا يشهدون بصدقه وأمانته؟ أما حكموه في أكبر حادث من حوادث حياتهم المكية ومنحوه أكبر شرف، إذ حكموه في وضـع الـحـجـر الأسـود في مكانه من البيت؟ أما قالوا له على لسان عتبة، وهـم مـا عـرفـوا الإغـراء السياسي: "إن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأساً ما بقيت"، وإذا صار له ذلك كان يمكنه أن يـرمـي الـدولة الـفـارسية بـفـرسـان العرب وشجعانهم، وينتصر

للعروبة المهضومة، وينتصر من العجم الظالمين، ويغرز علم الفتح العربي والمجد القومي على هضاب الروم وفارس، وإذا لم يكن من حكمة السياسة أن يناجز إحدى الإمبراطوريتين في ذلك الحين، فكان يمكنه أن يغير على اليمين أو الحبشة وجارة أخرى ويضمها إلى الإمارة العربية الوليدة.

وكانت في الحياة العربية نواح اجتماعية واقتصادية كثيرة تحتاج إلى حنكة سياسي وكفاية إداري وعزيمة عصامي وابتكار عبقري، فلو قيض لها رجل من هؤلاء الرجال لكان للعرب شأن كبير وتاريخ جديد.

لم يبعث لينسخ باطلاً بباطل :

ولكن محمداً ﷺ لم يبعث لينسخ باطلاً بباطل، ويبدل عدواناً بعدوان، ويحرم شيئاً في مكان ويحله في مكان آخر، ويبدل أثرة أمة بأثرة أمة أخرى، لم يبعث زعيماً وطنياً أو قائداً سياسياً، يجر النار إلى قرصه ويصغي الإناء إلى شقه، ويخرج الناس من حكم الفرس والرومان إلى حكم عدنان وقحطان. وإنما أرسل إلى الناس

كافةً بشيراً و نذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، إنما أرسل ليخرج عباد الله جميعاً من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ويخرج الناس جميعاً من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والاخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وينحل لهم الطيبات، ويحرّم عليهم الخبائث، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم.

فلم يكن خطابه لأمة دون أمة ووطن دون وطن، ولكن كان خطابه للنفس البشرية وللضمير الإنساني، وكانت أمته العربية لإنحطاطها وبؤسها أحق من يبدأ به مهمته الإصلاحية وجهاده العظيم، وكانت أم القرى و الجزيرة العربية لموقعها الجغرافي واستقلالها السياسي خير مركز لرسالته، وكانت الأمة العربية بخصائصها النفسية ومزاياها الأدبية خير محل لدعوته وخير داعية لرسالته.

قفل الطبيعة البشرية ومفتاحها :

ولم يكن ﷺ من عامة المصلحين الذين يأتون البيوت من

ظهورها، أو يتسللون إليها من نوافذها، ويكافحون بعض الأدواء الإجتماعية والعيوب الخلقية فحسب، فمنهم من يوفق لإزالة بعضها بعضاً مؤقتاً في بعض نواحي البلاد، ومنهم من يموت ولم ينجح في مهمته.

أتى النبيﷺ بيت الدعوة والإصلاح من بابه، ووضع على قفل الطبيعة البشرية مفتاحه، ذلك القفل المعقد الذي أعيا فتحه جميع المصلحين في عهد الفترة؛ وكل من حاول فتحه من بعده بغير مفتاحه. ودعا الناس إلى الإيمان بالله وحده، ورفض الأوثان والعبادات والكفر بالطاغوت بكل معاني الكلمة، وقام في القوم ينادي: يا أيها الناس "قولوا لا إله إلا الله تفلحون !" ودعاهم إلى الإيمان برسالته، والإيمان بالآخرة.

إلي ولدى

احمد أمين

أى بنى!

إنى لأعلم أنك قد خلقت لزمن غير زمنى، وربيت تربية غير تربيتى، ونشأت فى بيئة غير بيئتى، لقد كنت فى زمنى عبد التقاليد و الأوضاع، وأنت فى زمن يُكسر التقاليد والأوضاع، وكنتُ فى زمن شعاره الطاعة، الطاعة لأبى ولأولياء أمرى، وأنت فى زمن شعاره التمرد، التمرد على سلطة الآباء وعلى المعلمين وعلى أولى الأمر. وتعلمتُ أول أمرى فى كُتّاب حقير، نجلس فيه على الحصير، ويعلمنا مدرس جبار، يضرب على الهفوة وعدم الهفوة، ويعاقب على الخطأ و الصواب، ويمرن يده بالعصا فينا كما تمرنون أيديكم على الألعاب الرياضية، وأنت تعلمت فى روضة الأطفال، حيث تشرف عليك آنسة رقيقة مهذبة وتقدم لك تعليم القراءة والكتابة فى اطار من الصور و الرسوم و الأغانى وما إلي ذلك. وكنت أعيش فى كتابى على الفول النابت والفول المدمس، وأنت تعيش فى روضتك

علـى الـلبن و الشاى والبسكويت، وما إلي ذلك أيضا، ثم لما صبوت تـعـلـمـت فـى الـمـدارس الـفـرنسية حيث تنقل إليك فى تعاليمها كل أسـاليـب الـمـدنية الـغـربية. وتربيت أنا فى وسط كله دين. دين فى الـكـتـب، ودين فـى الـحـيـلـة الإجتـمـاعية ودين فـى أوساطى كلها. وتـربيـت أنـت فـى مـدارس أو جـامعـات لا يذكـر فيهـا الدين إلا بـمـنـاسبـات، وكان بذكر الدين فى وسطنا دائماً ليحترم، وكثيراً ما يـذكـر الـديـن فـى وسـطك ليهـاجـم. ونشـأتُ فى وسط لا تذكر فيـه السيـاسة إلا لماماً، ونشأت فى وسط كله سياسة واضراب وأكثر من الاضـراب. ونشـأت فـى وسط لا يعرف المرأة إلا محجبة، ولا يعرف فتاة إلا أن تـكـون قريبة، و نشأت أنت فى وسط تجالسك الفتاة فى جـامـعتك وتشـاهـدهـا فـى أوسـاطك وقـد أخذت من الحرية مثل ما أخـذت. ولـو عـددت لك الـفـروق بيـنـى وبيـنك، فـى زمنى وزمنك، وتعليمي وتعليمك، وبيئتى وبيئتك، لطال الأمر.

ولـكـن بـرغـم كـل هذا فالفروق مهما كانت فروق جزئية، ولا يزال بينى وبينك وجوه شبه أعمق من هذه المظاهر، فالتغيرات بين

الناس مهما اختلفت الأزمنة و الأمكنة تغيرات سطحية وأمور عرضية، أما الإنسان فى جوهره و الجمعيات البشرية فى نزعاتها الأصيلة فترجع إلي أصول واحدة، ومن أجل هذا كانت تجارب السلف تفيد الخلف. فلأقص عليك شيئاً من تجاربى التى أعتقد أنها تفيدك، مهما اختلفت بيئاتنا ومدارسنا وثقافتنا.

أهم ما جربت فى حياتى أنى رأيت قول الحق والتزامه، وتحرى العدل وعمله، يكسب الإنسان من المزايا ما لا يقدر. لقد احتملت فى سبيل ذلك بعض الآلام، وأغضبت بعض الأنام، وضاعت على من أجله بعض المصالح، ولكنى برغم ذلك كله قد استفدت منه أكثر مما خسرت، لقد استفدت منه راحة الضمير، واستفدت منه ثقة الناس بما أقول و ما أعمل واستفدت منه حسن ظنهم بما يصدر عنى ولو لم يفهموا سببه، ومع هذا فقد استفدت منه أيضا ماديًا أكثر مما استفاد غيرى، ممن لم يلتزموا الحق ولم يراعوا الصدق و العدل. لقد وجدت فى أوساط كثيرة وعاشرت زملاء كانوا يرضون رؤسائهم أكثر مما يرضون ضمائرهم، ويقولون ما يعجب

الـنـاس لا مـا يـعتقدون أنه الصدق، ويرتكبون الظلم طلباً للجاه أو الـعـلـو فـى الـمنصب، ومع هذا فقد ربحوا قليلاً وخسروا كثيراً. لقد خسـروا الـفـضيلة وخسروا الضمير، وفازوا بقليل من الحظ العاجل تبـعــه كثيـر مـن الـفشـل الآجـل، فـلـو حسبت بالدقة ما كسبت وما خسـرت، ومـا كسـب هـولاء وما خسروا لوجدتنى أسعد حالاً وأوفر حـظـاً. فإذا أردت أن تنتفع بتجربتى فالتزم الحق والصدق و العدل فى جميع أعمالك مهما تكن النتيجة.

نـعـم رأيـت مـن زمـلائـى من تمسكوا بهذه الفضيلة فخسروا كثيـراً وفشـلوا فشلاً ذريعاً، ولكن لم يكن عيبهم أنهم التزموا الحق و الـصـدق و الـعـدل، بـل عيبهم أنهم التزموا هذه الصفات فى سماجة. فـقـالـوا الـحـق فى غير أدب والتزموا الصدق فى غير لباقة، وتحروا الـعـدل فـى غيـر لياقة، فلم يلن الذنب ذنب الحق، ولكن الذنب ذنب السـمـاجة. فتـعـلَّـم من هذا أن تقول الحق فى أدب وتتحرى العدل و الـصـدق فـى لبـاقة وليـاقة. فمن غضب بعد ذلك كان الذنب ذنبه إلا ذنـب عـليك. ولا تتـعـجـلـن النتيجة، فقد تمس من الحق ناراً، ويهب

عليك من العدل لفحة جحيم، ولكن ذلك أشبه ما يكون بالإمتحان، إن صبرت له انقلبت النار جنّة، واللفحة الحارة نسيماً عليلاً.

ومن أهم تجاربى أيضا أنى رأيت كثيراً من الناس يخطئون فيظنون أن المال، هو كل شىء فى الحياة، يبيعون أنفسهم للمال ويحاولون أن يتزوجوا للمال ويضعون أعمارهم للمال، ويفرطون فى الفضيلة للمال. وقد أقنعتنى التجارب أن المال وسيلة من وسائل السعادة حقاً. بشرط أن يطلب باعتدال وينفق فى اعتدال، وبشرط ألا يكون ما تحصله كثيراً جماً، فتنقلب عبداً له، وبشرط أن يبقى المال وسيلة أبداً ولا ينقلب غاية أبداً. فإن أكثر الناس وقعوا فى متاعب شتى من هذه الأخطاء.

فمنهم من بدأ حياته يطلب المال على أنه وسيلة، ثم استمر فى طلبه بعد أن استوفى حاجته منه فانقلب غاية، ومنهم من صرف حياته وتفكيره فى المال وفى الاستزادة منه حتى فقد سعادته بل وفقد نفسه، وقد دلتنى التجارب على أن أسعد الناس من وضع المال فى موضعه اللائق به، فلم يرفضه رفضاً باتاً، ولم يذل له ذلاً

تـامـاً، ونـظـر إلـي الـمـال على أنه وسيلة من وسائل السعادة لا كل السعادة، ولم يطلبه إلا مع الشرف و العزة و الاباء، فان تعارض معها ضحى المال للفضيلة و الغنى للضمير.

ودلتـنـى التـجـارب عـلى أن عنصر الدين فى الحياة من أهم أسباب السعادة، ولـكـن أصـدقك أنـه لـم يعجبنى موقف زماننا من الدين، ولا موقف زمانك، فقد كان الدين فى زماننا متزمتاً لا سماحة فيـه، متشـدداً لا ليـن فيـه، مـغـلـقـاً لا عـقـل فيه، والدين فى زمانكم متـضـائـل لا حيـاة فيه، منسى لا ذكر له، موضوع على الرف لا يُؤبه بـه، و الـحيـاة السعيدة كما دلتنى التجربة حياة ترتكز على الاعتقاد بـإلـه يـركـن إليـه ويـعتـمـد عـليه، وتستمد منه المعونة ويطلب إليه التـوفيـق فى الحياة ويملأ القلب رحمة وعطفاً وحباً لخير الإنسانية. يـعـجـبـنـى مـن الدين أن يكون سمحاً لا غلظة فيه، وألا يكون ضيق الأفـق فيـنـاهـض العلم، بل يؤمن صاحبه أن له مجاله وللعلم مجاله، وأن الدين الصحيح لا يناقض العلم الصحيح، وأن لا بد منهما جميعاً للإنسانية، فالعلم لحياة العقل، والدين لحياة القلب.

هـذه، يـا بـنـى، بعض تـجاربى فى الحياة وما أكثرها، ولكنى أخشـى أن أطيـل عليك فتمل، وأحب أن أقدمها إليك جرعة فجرعة لتستسيـغها وتتذوقها وتأخذ نفسك بتشربها رشفة فرشفة، أذكر لى رأيك فيهـا ومـوقـعهـا عندك ومبلغ استعدادك لقبولها ، وفى ضوء ما أسـمـع مـنك ستتـوالـي عـليك كتبـى إليك، تقدم إليك تجاربى كأساً فكأساً.

و السلام عليك ممن يحب لك الخير ويود أن تكون خيراً منه، ويتمنى أن يحيا فيك خيراً مما حيي فى نفسه، و السلام ..

(٢)

أى بنى،

إنك الآن تدرس فى انجلترا بعد أن أتممت دراستك فى مصر. والـذيـن درسـوا قبـلك فـى أوربـا أشكال وألوان، اختلفت منازعهم واختـلـفـت اتـجـاهاتهم، واختلفوا فى مقدار نجاحهم وفشلهم، ولكن يمكن تقسيمهم إلي مجموعات محددة واتجاهات معينة.

فـمنهم من شعر بأن حريته فى مصر كانت مفقودة، فرآها فى

أوربا موفورة، فقد تحرر من رقابة الأبوين ورقابة المدرسة، أصبح أمير نفسه ليس عليه رقيب ولا حسيب، ورأى مجال اللهو في أوربا واسعاً فسيحاً (وأوربا على العموم كفيلة أن تحقق كل رغبة وتوفر كل اتجاه، فمن شاء الجد فالأبواب أمامه مفتحة ومجال الجد لا حد له، ومن شاء اللهو فلأبواب أمامه مفتحة ومجال اللهو لا حد له) فانغمس في وسائل اللهو، ووهبها كل ماله وكل تفكيره وكل وقته. نهاره نائم، وليله عابث، ولا يرى جامعته ولا تراه إلا محافظة على الشكل، وحرصاً على استجلاب المال من أبيه أو من حكومته أو منهما معا، وهو يلهو ويوهم أباه أنه يجد، ويعبث ويخدع من في مصر بأنه دائب في طلب العلم، ويحتال على أبويه في تحصيل المال بكل وسيلة، فهو من فرط جده محتاج إلي شراء كثير من الكتب، ومن فرط البرد محتاج إلي كثير من الملابس، ومن فرط مذاكرته محتاج إلي التردد على الطبيب، وكل ما يأتيه من هذه الحيل مصروف في شهواته ولذاته، وأخيراً تنكشف الأمور عن مأسلة، ويعود إلي بلده ولا علم وخلق، وقلما يصلح في مصر لعمل

بعد أن فسدت نفسه ومات ضميره وذهب علمه وانحط خلقه.

ومن الدارسين فى أوربا من كانوا على العكس من ذلك وهم أقل عدداً. هؤلاء عكفوا على دروسهم بكل جد، ولم يعرفوا غير حجرتهم وكتبهم وجامعتهم وطريقهم من البيت إلي الجامعة، قد نقلوا حجرتهم فى مصر إلي حجرة فى انجلترا وفرنسا، وغيروا كتبهم فى مصر إلي كتبهم فى انجلترا وفرنسا، وعملهم فى مصر إلي عملهم هناك من غير فرق، وظلوا يعملون ويكدون حتى نالوا الدرجة العلمية وأتت التقارير عنهم إلي وزارة المعارف وإلي آبائهم بأنهم مثال الجد والنشاط والنجاح العلمى، ثم عادوا يحملون شهادتهم ويعملون فيها عُهد إليهم أن يعملوا. هؤلاء قد نمت عقولهم وغزر علمهم، ولكنهم لم تتفتح قلوبهم ولم ترق نفوسهم. وهؤلاء الآخرون لا يعجبوننى كما لم يعجبنى الأولون.

وهناك طائفة ثالثة هى التى تعجبنى وهى التى أحب أن تسير على منهجها. هؤلاء قد فهموا رسالتهم من بعثتهم على الوجه الأكمل. فهموا أنهم إنما سافروا ليدرسوا علماً وليدرسوا خلقاً

يـحـضـرون لـنيل الدكتوراة ويحضرون لشيء أسمى من الدكتوراة، وهـو دراسة الـحيـلـة الإجتماعية فى انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا أو أمـريكا، ويبحثون عن سر عظمة هذه الأمة ومواطن قوتها وضعفها، والـفـروق بيـنها وبين مصر، وما يحسن أن تقتبسه مصر وما يحسن ألا تـقتبســه. يتـعـمـلون هذه الدروس من الـحيـاة الإجتـمـاعية فى الـجـامعة. ومن الحياة العائلية فى البيت، ومن الرحلات التى تنظمها الهيـئـات، ومـن الـحـفـلات التـى تقام فى المناسبات، ومما تقع عليه الـعيـن الـمـفتـوحة والـقـلب الواعى فى الشوارع والحدائق والأمكنة الـعـامة ونـحـو ذلك، فهو يرى أن فى كل منظر درساً وفى كل خطوة يخطوها فائدة. إذ ذاك تتـجـدد نفسه ويحي قلبه وترتقى كل ملكاته ويـصبح مخلوقا آخر جديداً ويعود إلي بلده وقد اكتسب علماً كثيراً وخبرة فـائـقة. تـعلم من جامعته إلي جانب دروسه الخاصة أساليب التـعـليم فى البلد الذى سافر إليه فى مراحل التعليم المختلفة. وتعلم نظام الأسرة مـن البيـت الـذى نزل فيه وما دار فيه من أحاديث وما حـدث فيـه مـن أحـداث. وعـرف الشـعب الإنـجليزى أو الفرنسى مما

شاهده فى الشارع ودور السينما والتمثيل وما اشترك فيه من رحلات ومن معاملاته اليومية مع الناس. وهكذا أمتع نفسه وقلبه وعينه فى حدود المعقول، وأمتع عقله فى حدود المعقول أيضا.

وكما اختلف المتعلمون فى أوربا هذا الإختلاف الذى شرحته اختلفوا كذلك فى مسلكهم بعد عودتهم إلي بلادهم.

فمنهم الذى عاد إلي بلاده يشيد بمجال اللهو فى أوربا ويفيض فى وصف مغامراته النسائية ويعرج على النماذج الوضيعة من ذلك كله فى بلاده فيحتقرها، ويعلن أنه يتمنى العودة إلي النعيم الذى كان ينعم به فى انجلترا أو فرنسا أما وقد حالت الحوائل بينه وبين عودته فهو ينتهب اللذائذ فى بلاده على وضاعتها. ما أمكنه. مترقباً اليوم السعيد الذى تتاح فيه الفرصة للسفر إلي الخارج حتى يعب من لذائذها وينهل، فالحياة فى نظرة لذة منتهزة ولذة مرتقبة ولذة مأسوف على ضياعها ولا شيء غير ذلك، فان كلف عملا جديا فعلى هامش الحياة.

ومنهم من عاد وكأنه لم يخرج من بلده. إلا علماً حصله

أوشهادة نالها، أما نظرته إلي الحياة وانسجامه مع الحياة الأولى التى كان يحياها قبل سفره فلم يتغيرمنها شيء.

ومنهم من استفاد فائدة كبرى من أوربا فى علمه ونظرته الإجتماعية ومعرفته بكثير من دقائق الحياة فى البلاد التى رحل إليها، ولكنه لما عاد إلي مصر فسرعان ما دب إليه اليأس..اصطدم بالفوضى فى ادارة البعثات وفى وزارة المعارف وفى وزارة المالية، وتذكرماكان قد نسيه من، ورق يغيب بين الادارات أشهرا من غير أن يبت فيه، وورق يسار فيه بسرعة البرق لأن صاحبه(محسوب) ورأى مستحقا يهمل وغير مستحق يكافأ، ورأى البيوت وهرجلتها والشوارع وفوضاها والناس وقذارتهم والفقراء وبؤسهم، وقارن بين ماكان يعيش فيه من نظام وعدالة ونظافة وأناقة، وما أصبح يعيش فيه فى بلده من اضطراب وارتباك وظلم و قذارة. وحاول أول الأمر أن يغير شيئاً من ذلك فلم يستطع، فيئس واستسلم وطوى نفسه على حزن عميق، وأصبحت حالته حالة من فقد عزيزاً عليه لا أمل فى عودته وإنما يتسلى بذكراه.

كل هؤلاء – يا بنى – قد رأيت نماذج منهم ،ولا أحب أن تكون أحدهم، إنما أحب إذا عدت وقد اكتسبت علماً ونفساً وقلباً. أن تنظر إلى عيوب قومك فترحمهم، ونقائصهم فتشفق عليهم وتجتهد ما أمكنك. فى إصلاحهم فإن لم يمكنك الإصلاح العام، فحاول الإصلاح فى بيئتك الخاصة. فى طلبتك الذين تعلمهم والأساتذة الذين تخالطهم والبيت الذى تنشئه والصديق الذى تجالسه، وفى هذا القدر كفاية للرجل الطيب المحدود الإرادة، فإذا اتسعت إرادتك وقويت عزيمتك وشغلت بعد منصباً رئيساً استطعت أن تنشر نفوذك وتعمم إصلاحك.

لو أن كل مبعوث إلى أوربا تعلم ونضج، ثم عاد ويئس لكان من الخير ألا يبعث. لأنا بذلك نخلق جواً من اليأس خانقاً، وقلة العلم مع الأمل و الطموح خير من كثرته مع اليأس و القنوط .

إن الأمة ترسل مبعوثيها ليكونوا خير ذخيرة لها وقادة إصلاحها ومتزعمى نهضتها، فان هم استولى عليهم (القرف) واقتصروا على التقزز مما يرون وإطلاق ألسنتهم بالعيب فى أمتهم

والإشادة بذكر أوربا ومحاسنها كانت خسارتنا فيهم مضاعفة خسارة فى الأرواح وخسارة فى الأموال وخسارة فى خلق أعداء للأمة من ذاتها.

إن كل مبعوث فبعثته دين عليه لأمته لأنها ربته أولاً فى أحضانها ثم أنفقت عليه من مالها لينضج فى خارجها، فإن هو جحد الدين فتجهم لها وأنكر صنيعها كان أكبر غادر وأخس جاحد.

إن أكثر هؤلاء - يا بنىّ - يتعللون بأنهم حَاوَلوا الإصلاح فلم يفلحوا. وجدوا فى تنظيم ما فسد فلم ينجحوا ثم لم يجدوا أمامهم إلا أن يرضوا بحالهم. أو أن يسيروا مع التيار فيفسدوا مع المفسدين ويشيعوا الفوضى مع المشيعين، ويطلقوا مثلهم الأعلى ويقتصروا على التملق لأخذ درجة أو الحصول على منصب، ولكنى أعيذك بالله أن تكون واحداً من هؤلاء الممسوخين الذين ردوا أسفل سافلين، إن هؤلاء إنما جرفهم التيار لضعف قوتهم ونكصوا على أعقابهم لانعدام شخصيتهم والرجل القوى الإرادة العظيم الشخصية يفرض إرادته ويحقق شخصيته، ويحول التيار ولا يجرفه التيار.

وهـذا مـا حدث فعلًا من أشخاص تعلموا فى أوربا ثم عادوا فصبروا على ما أوذوا وعاندوا فى محاربة الرذيلة و الإنتصار للفضيلة حتى أدركوا بعض غايتهم وحققوا شيئاً من أملهم.

ومـع الأسف كـان عـدد هـؤلاء الـمـتـازين قليلًا، بل أقل من الـقـلـيـل، فـلـو نـظـرنـا إلي عدد المبعوثين من عهد محمد على للآن لـوجـدنـا هـم يـعـدون بـالآلاف ولـوجـدنـا مـن أفاد منهم لا يعد إلا بـالـعشـرات، وإنـى أرجـو لك أن تـكـون من هذا القليل النافع لا من الكثير الفاشل.

إن أكثر من كانوا قبلك قد فسدوا لأنهم سافروا لأخذ شهادة، وعـادوا لأخـذ درجة. فـلـيـكـن سفرك أنت للمعرفة و العلم، وعودتك للإصلاح والنفع. والله يوفقك.

(٣)

أى بنى،

أكتـب إليك هـذا فـى أواخـر مـارس، مـوسـم الربيع، وموسم الجمال، وموسم البهجة، والدنيا. كما قال أبو تمام:

دنيا معاش للورى حتى إذا جاء الربيع فإنما هى منظر

ولشد ما آسف إذ أرى مدارسكم وجامعاتكم تعنى بالعقل فتضع له المناهج الطويلة العريضة فى مختلف العلوم، وتمعن فى الاجرام فتقلب الآداب والفنون إلي علوم عقلية، أو نظريات فلسفية، وتعنى بالجسم فتنظم له الألعاب الرياضة، وتقيم له مباريات السباق وكرة القدم ورفع الأثقال. ثم لا تقيم وزناً ولا تضع منهجاً للذوق وتربيته، وهو الأحق بالعناية والأجدر بالرعاية، فإن قصرت مدارسك وجامعاتك فى ذلك، فتول أنت تربية ذوقك بنفسك، ووجه إليه كل همتك، فما الحياة بلاذوق، وما الدنيا بلاجمالَ؟ وجزى الله خيراً من وجهنى إلي الجمال فهويته، ورتبت فى شبابى بائع الزهور بجانب بائع الخبز واللبن، فأعجبت بالورد وجماله، وبديع ألوانه، وبالزهور على اختلاف أنواعها، فى تناسقها انسجامها، فكان هذا متعة لنفسى وحياة لروحى بجانب متعة عقلى.

أى بنى !

إن الذوق عمل فى ترقية الأفراد و الجماعات أكثر مما عمل

العقل. فالفرق بين انسان وضيع وانسان رفيع، ليس فرقاً فى العقل وحده. بل أكثر من ذلك فرق فى الذوق. ولئن كان العقل أسس المدن، ووضع تصميمها، فالذوق جمّلها وزينها. إن شئت أن تعرف قيمة الذوق فى الفرد، فجرده من الطرب بالموسيقى والغناء، وجرده من الإستمتاع بمناظر الطبيعة وجمال الأزهار، وجرده من أن يهتز للشعر الجميل، و الأدب الرفيع، والصورة الرائعة، وجرده من الحب فى جميع أشكاله ومناحيه، ثم انظر بعد ذلك ماذا عسى أن يكون وماذا عسى أن تكون حياته.

وإن شئت أن تعرف قيمة الذوق فى الأمة، فجردها من دور فنونها، وجردها من حدائقها وبساتينها. وجردها من مساجدها الجميلة والجليلة وكنائسها الفخمة، وعمائرها الضخمة، وجردها من نظافة شوارعها، وتنظيم متاحفها، ثم انظر بعد ذلك فى قيمتها، وفيما يميزها عن غيرها من الأمم المتوحشة والأمم البدائية.

أى بنى !

إنى لأرثى لحال كثير من شبان اليوم، لا يعرفون الجمال إلا

فى وجـه فتـلـة، ولا يـعـرفـون الـذوق إلا فـى أنـاقة الحديث معها، والتـظـرف إليها، مع أن فى الدنيا جمالًا يفوق هذا بمراحل، وللذوق مـجـالًا يـجـد فيـه مـن الـمتـعة ما يقصر عنه الوصف، ولكنهم عدموا الـذوق وتـربيتـه فـلـم يـلـقـفوا معانيه ونواحيه ومداه إلا فى حدود ضيقة.

أى بنى!

إن للذوق مراحل كمراحل الطريق، ودرجات كدرجات السلم. فهـو يبـدأ بـادراك الـجـمـال الحسى: من صورة جميلة، ووجه جميل وزهرة جميلة، و بستان جميل، ومنظر طبيعي جميل. ثم إذا أحسنت تربيته ارتقى إلي ادراك جمال المعانى:

فهـو يـكـره الـقبـح فـى الـضـعة و الـذلة، ويعشق الجمـال فى الـكرامة والعزة، وينفر من أن يظلم أو يظلم ويحب أن يعدل ويعدل مـعـه، ثـم إذا هـو ارتقى فى الذوق كره القبح فى أمته و أحب الجمال فيهـا، فهـو يـنـفـر مـن قبـح البـؤس والفقر والظلم فيها وينشد جمال الرخاء والعدل فى معاملتها، فيصعد به ذوقه إلي مستوى المصلحين.

فالاصلاح المؤسس على العقل وحده لا يجدى، وإنما يجدى الإصلاح المؤسس على العقل و الذوق جميعاً. ثم لا يزال الذوق يرقى إلي أن يبلغ درجة عبادة الجمال المطلق والفناء فيه.

فعلى هذا الأساس نظم ذوقك: استشعر الجمال فى مأكلك وملبسك ومسكنك، وصادق الزهور وتعشقها، ثم انشد الجمال فى مجال الطبيعة ومد بين قلبك ومناظر البساتين و الحدائق. والسماء ونجومها، والشمس ومطلعها ومغيبها، والبحار وأمواجها، والجبال وجلالها. خيوطاً حريرية دقيقة تتموج بموجاتها، وتهتز بهزاتها، ثم انظر إلي الأخلاق على أن فضائلها جمال. ورذائلها قبح، لا على أن فضائلها منفعة ورذائلها متلفة، ثم غن للجمال و اهتف به حيثما كان، واعبده وافن فيه وأنا واثق أن ستسعد بذلك سعادة لا يتذوقها ذوو الشهوات، ولا أصحاب رؤوس الأموال، بل و لا الفلاسفة والعلماء.

بل إنى أجزم لو وجدت طائفة كبيرة من أمثال هؤلاء الذين رقى ذوقهم إلي هذا الحد فى أمة، لنهضوا بها وأعلوا شأنها، إن أمثال هؤلاء من أصحاب الذوق الرفيع لو تولوا شؤون السياسة

ورياسة الأحزاب لكانوا مثلاً فى حب الخير، ورقة القلب وإدراك ما يجب أن يعمل وكيف يعمل، وما يجب أن يترك وكيف يترك. ولو كان أمثال هؤلاء رؤساء مصالح، أو مديري أعمال، لوجهوا همتهم لاتقان عملهم، وإيصال الخير لذويهم، وتحرى وجوه النفع لمن يلوذ بهم. و إنما أفسد هؤلاء جميعاً قلة الذوق لا قلة العقل. فأنت إذا رأيت الشوارع لا منظمة ولا نظيفة، و الأمور الصحية مهملة لا يعنى بها، والفلاح بائساً فقيراً، أو رأيت معاملة الناس بعضهم بعضاً جافة سيئة، تحدث ضوضاء وجلبة، كالآلة لم تزيت، أو رأيت العداوة والحقد والخصومة بين رجال الأحزاب السياسية، أو رأيت رجال الحكومات تعنى بمناصبها أكثر مما تعنى بمصالح رعيتها، فاعلم أن منشأ ذلك فقدان الذوق الرفيع لا العقل النابه.

أى بنى!

أنك محتاج إلي مجهود جبار، وإرادة قوية لتربية ذوقك، وارهاف شعورك بالجمال، فكل ما حولك مفسد للذوق، متلف للمشاعر السامية: بيوت لم يعن فيها بالجمال، وشوارع لم يعن فيها

بـنـظـافة ولا نظام، وترام تكدس فيه الناس أسوأ مما تكدست علب السـردين، وهـرجـلة وفـوضـى وضوضـاء فـى دور المحـاضـرات والسيـنـمـا والتـمثيـل، ومهـاتـره غيـر نبيـلة بيـن الجرائد الحزبية، وارتبـاك واضـطـراب وسـوء مـعـاملات فى المكاتب الحكومية وغير الـحـكـومية، ورؤية البـؤس والمرض والفقر والجهل و الـقذارة على الأرصـفة فـى الـمـدن، وبيـن الـفـلاحين فى القرى، وبين العمال فى الـمصانع، ونبّو فى أحاديث المتحدثين وفى النكت بين المتنادرين، ومـئـات ومـئات غير ذلك، وكلها كفيلة أن تفسد الذوق وتقضى عليه فتـربيتك لـذوقك واحتـفـاظك بـه سامياً لا يتأثر بهذه المفاسد، أمر عسير لا ينال إلا ببذل الجهد وقوة العزم.

أى بنى !

أتذكر يوم كنت تشكو لى من شدة غضبك، وهياج أعصابك، وكثرة احتكاكك ومصادماتك، إذا ركبت السيارة العامة أو الترام، أو ذهبـت إلـي السيـنـمـا، أو أردت قضاء مصلحة فى ديوان من دواوين الـحـكومة ، يوم كنت في مصر ثم كتبت إلي من سويسرة تذكر أن قد

هدأت أعصابك، وزال غضبك، ولم تجد ما يسبب إلاحتكاك والاصطدام؟ إن كنت تذكر ذلك فالآن أذكر لك أن مرده كله للذق، فإن الذوق إذا شاع فى مكان، شاعت فيه السكينة و الطمأنينة، ونعومة المعاملة، وجمال السلوك. وإن انعدم أو قل فى مكان خشنت المعاملة، وساء السلوك، وكثر هياج الأعصاب واضطرابها وارتباكها.

أى بنى !

لقد جربت الناس فوجدتهم يخضعون للذوق أكثر مما يخضعون للمنطق، فبالذوق لا بالعقل تستطيع أن تستميلهم، وأن تأسرهم، وأن توجههم وأن تصلحهم إن شئت، أما العقل وحده فلا يستطيع أن يأسر إلا الفلاسفة وقليل ما هم.

أى بنى !

ليس عندى نصيحة لك أغلى من أن تكوّن ذوقك ثم تنميه وترقيه. فإن فعلت ذلك ضمنت لك سعادة الحياة والإستمتاع بها، وضمنت لك سمو أخلاقك ونبل عواطفك، وضمنت لك نجاحك على قدر كفايتك، والله يوفقك.

(٤)

أى بنى !

أشد ما يقلقنى عليك فى هذه الأيام وجودك وسط تيارات تتنازعك، وأمواج تتقاذفك، وأخشى أن تتغلب عليك فتغرقك، وأن تنال منك فتميتك فكم رأيت لها من ضحايا أزعجتنى، ومن مشاهد غرقى أفزعتنى. وإنى أرجو لك من صميم قلبى السلامة من هذه التيارات، و النجاة من هذه الأمواج.

فأول هذه التيارات، التيارات السياسية. وهى فى نظرى نوعان: سياسة قومية، وسياسية حزبية. فالسياسة القومية كالتى يكون الجهاد فيها ضد المستعمر و المحتل و الغاصب. وقد قام الطلبة فيها بأدوار رائعة أفادت البلاد وقربتها من الإستقلال كاضرابهم يوم اعتقل سعد باشا، ونفى إلي سيشل، ونحو ذلك، و السياسة الحزبية كأن يعمل بعض الطلبة لنصرة حزب على حزب. وإثارة الشغب لعرقلة سير الحكم. فإذا جاء الحزب السعدى فى الحكم مثلاً، انتهز الطلبة الوفديون أية فرصة للشغب عليه. وإذا جاء الطلبة الوفديون فى الحكم شغب عليها الطلبة السعديون، وهكذا من غير

منفعة وقومية واضحة، ولا نتيجة مفيدة بينة، إلا الرغبة فى تولية حزب وتنحية حزب. و الطلبة فى مثل هذه الحال، إنما يهدم بعضهم بعضاً من غير كسب واضح للأمة، ولا تحقيق مصلحة عامة. وقد كثر ــ مع الأسف ــ هذا النوع من الاضراب حتى شل حركة التعليم بأجمعها، وأفسد الحياة العلمية من أساسها، فلو حسبنا أوقات انتظام الدراسة فى الجامعات والمعاهد العالية لما حصلنا على دراسة منتظمة تستغرق ثلاثة أشهر كاملة وحسبك هذا نتيجة مرعبة. فما معنى هذا ؟. أليس معناه أن الطلبة إما أن يرسبوا فى الإمتحان، فنكون قد أضعنا على كل طالب رسب سنه من حياته، وأضعنا على الأمة عدداً كبيراً من السنين يساوى عدد الراسبين. وإما أن ينجحوا بسبب التساهل فى الإمتحان فنكون قد منحنا الشهادات للعاجزين وأخرجنا للأمة طبيباً عاجزاً ومهندساً غير ناضجٍ وزراعياً غير مستأهلٍ، وفى هذا أكبر الضرر على الأمة. ولو نحن تحملنا هذه التضحية لتحقيق فائدة للأمة أكبر منها لهان الأمر، ولكنا نبذلها لقيام حزب فى الحكم مكان حزب، وما أقل ذلك مكسباً !

خطبة طارق بن زياد عند فتح الأندلس

طارق بن زياد

أيها الناس ! أين المفرّ؟ البحر من ورائكم والعدوّ أمامكم. وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا انكم فى هذه الجزيرة. أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحتُه وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم. فادعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية. فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة. وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن أن سمحتم لأنفسكم بالموت. وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ولا حملتكم دونى على خطة أرخص متاع فيها النفوس، أبدأ بنفسى. واعلموا ان صبرتم على الأشق قليلًا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلًا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظّكم فيه بأوفر من حظّى. وقد بلغكم ما

أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان وسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى ولىّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً فى الدارين. واعلموا إنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تُسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه، واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا اللهم من فتح هذه الجزيرة بقتله.

الدّفينُ الصّغيرُ

المنفلوطي

الآن نفضتُ يدي من تراب قبرك يا بنيّ وعدت إلى منزلي كما يعود القائد المنكسر من ساحة الحرب لا أملك إلا دمعة لا أستطيع أرسالها وزفرة لا استطيع تصعيدها.

ذلك لأنّ الله الذي كتب لي في لوح مقاديره هذا الشقاء في أمرك فرزقنى بك قبل أن أسأله إياك ثم استلبك منّي قبل أن أستعفيه منك، قد أراد أن يتمم قضاء ه فيّ وأن يجرّ عنيّ الكأس حتىّ ثمالتها فحرّمني حتى دمعة أرسلها، أو زفرة أصعدها حتى لا أجد في هذه ولا تلك ما أتفرّج به مما أنا فيه، فله الحمد راضيا وغاضبا، وله الثناء منعما وسالبا وله منيّ ما يشاء من الرضى بقضائه، والصبر على بلائه.

رأيتك يا بنيّ في فراشك عليلاً فجزعت ثمّ خفت عليك الموت ففزعت، وكأنما كان يخيّل إليّ أنّ الموت والحياة شأن من شئون الناس وعمل من الأعمال التي تملكها أيديهم

فـاستشـرت الـطبيـب فـي أمـرك فكتـب لي الدواء، ووعدني بـالشـفـاء فـجلستُ بجانبك أصبّ في فمك ذلك السائل الاصفر قـطـرةً قطرةً والقدر ينتزع من بين جنبيك الحياة قطعة قطعة حتـى نـظـرتُ فـإذا أنت فى ديدىّ جُثّة باردة لا حراك بها وإذا قـارورـة الـدواء، لا تـزال فـي يـدي فعلمت أني قد ثكلتك، وإنّ الأمر أمرا لقضاء لا أمر الدّواء.

سـأنـام يـا بـنـىّ بـعـد قـليل علىٰ فراش مثل فراشك، سيُعـالـج مني المقدار ما عالج منك، واحسب إن آخر ما سيبق فـي ذاكـرتـي فـي تـلك السـاعة مـن شئون الحيـاة وأطوارهـا وخـطـوبهـا واحداثها هو الندم العظيم الذي لاازال اكابد اليوم عـلىٰ تـلك الجرع المريرة التي كنت اجرّعك ايّاها بيدي وأنت تجود بنفسك فيربّد وجهك، وتختلج أعضاؤك، وتدمع عيناك، ومـالك يـدٌ فتستـطيـع أن تمدّها إلىّ فتدفعني عنك، ولا لسان، فتستطيع أن تشكو إلىّ مرارة ماتذوق.

لـقـد كـان خيراً لي ولك يا بنىّ أن اكل إلي الله أمرك في

شـفـائك ومـرضك، وحيـاتك وموتك، وأن لا يكون آخر عهدك بي يوم وداعك لهذه الدنيا تلك الالام التي كنت اجشّمك إياها، فلقد أصبحت أعتقد إنني كنتُ عوناً للقضاء عليك، وأنّ كاس الـمـنيّة التي كان يحملها لك القدر في يده لم تكن أمرّ مذاقا في فمك من قارورة الدواء التي كنت أحملها لك في يدي.

مـا أسمج وجه الحياة من بعدك يا بنيّ، وما أقبح صورة هذه الكائنات في نظري وما أشدّ ظلمة البيت الذي اسكنه بعد فـراقك إيـاه! فـلقد كنت تطلع في أرجائه شمسا مُشرقةً تضيء لـي كـل شـيء فيـه، أما اليوم فلا ترىٰ عيني مما حولي اكثر مما ترىٰ عينك الآن فى ظلمات قبرك.

بـكى الباكون والباكيات عليك ما شاؤا، وتفجعوا، حتى إذا استنفدوا ما شؤونهم، وضعفت قواهم عن احتمال اكثر مما احتملوا، لجاوا إلىٰ مضاجعهم فسكنوا اليها ولم يبق ساهراً في ظـلـمة هـذا الـلـيـل وسـكـونه غير عينين قريحتين، عين ابيك الثاكل المسكين، وعين اخرىٰ أنت تعلمها.

لـقد طال عليّ الليل حتى مللته ولكنني لا أسأل الله أن ينفرج لي سواده عن بياض النهار لأن الفجيعة التي فجعتُها بك يا بنيّ لم تبق بين جنبييّ بقية اقوى بها على روية اثر من آثار حياتك فليت الليل باقٍ حتى لا أرى وجه النهار بل ليت النهار يضيء فقد مللت هذا الظلام !

دفنتُك اليوم يا بنيّ ودفنتُ اخاك من قبلك، ودفنتُ من قبلكما اخويكما، فأنا في كل يوم استقبل زائراً جديداً. وأودّع ضيفا راحلاً فيالله لقلبٍ قد لاقىٰ فوق ما تُلاقي القلوب، واحتمل فوق ما تحتمل من فوادح الخطوب !

لقد افتلذ كلّ منكم يا بنيّ من كبدي فلذة، فاصبحت هذه الكبد الخرقاء مزقا مبعثرة في زوايا القبور، ولم يبق منها الّا ذماء قليل لا احسبه باقيا على الدهر ولا أحسب الدهر تاركه دوق أن يذهب به كما ذهب باخواته من قبل، لما ذا ذهبتم يا بني بعد ما جئتم ؟ ولماذا تجيئون إن كتنم تعلمون إنكم لا تقيمون؟

ولولا مجيئكم ما اسفت على خلو يدي منكم، لأنني ما تعودت نفسي أن تمتدّ عيني إليْ ما ليس في يدي، ولو أنكم بقيتم بعد ما جئتم ما تجرعت هذه الكأس المريرة في سبيلكم.

لقد كنتُ أرضى من الدهر في امركم أن ينتزحزح لي عن طريقي التى واسير فيها وأن يزوي وجهه عني فلا أراه ولا يراني، ولا يُحسن إليّ ولا يُسيئ ولا يتقدّم إليّ بخير ولا شرّ. ولا يترأىٰ لي مبتسما ولا مقطِّبا، ولاضاحكاً ولا باكيا، لو أنه رضي منّي بذلك ولكنّه كان أذكىٰ قلبا، وأنفذ بصراً من أن يفوته العلم بأنني ما كنت أبكي علي النعمة لو لم تكن في يدي وما كنت أجد مرارة فقد إنها ولو لم أذق حلاوة وجدانها فكان لا بدّله أن يجري في سنة الشقاء الذي أخذ علىٰ نفسه أمام الله أن يجريها بين عباده، فلما عجز عن أن يدخل إليّ من باب الطمع دخل إليّ من باب الأمل فهو يمنحني المتحة، فاغتبط بها حقبة من الدهر حتى إذا علم أنّ بذرة الأمل التي غرسها في نفسي قد نمت وازهرت وإنّني قد استعذبت طعم

النّعمة التي أتاني و كرّ عليّ فانتزعها من يدي أنعم ما اكون بها، كما تنتزع الكأس الباردة من يدي الظامىء الهيمان ليعظم وقع السهم في كبدي، ويفدح سلب النّعمة من يدي، ولولا ذلك ما نال منّي منالا، ولا وجد إليّ سبيلا.

يا بني إن قدّر الله لكم أن تتلاقوا في روضة من رياض الجنة، أو علىٰ شاطئ غدير من غدرانها، أو تحت ظلال قصر من قصورها، فاذكروني مثل ما أذكركم، وقِفوا بين يَدي رَبّكم صفّا واحدا كما يقف بين يديه المصلّون، ومدّوا اليه أكفّكم الصغيرة كما يمدّها السّائلون، وقولوا له: "اللّهم إنّك تعلم إنّ هذا الرجل المسكين يحبّنا وكنّا نحبه، وقد فرّقت الأيام بيننا وبينه، فهو لا يزال يُلاقي من بعدنا من شقاء الحياة و بأسائها ما لاطاقة له باحتماله، ولا نزال نجد بين جوانحنا من الوجد به، والحنين إليه ما ينغّص، علينا هناء هذه النعمة التي ننعم بها في جوارك بين سمعك وبصرك، وأنت ارحم بنا و به من أن تعذّبنا عذاباً كثيراً فاما أن تأخذنا إليه أو أن تأتي به

إلينا". لا بل لا تطلبوا منه الاّ أن ياتي بي إليكم، فإنّ الحياة التي كرهتها لنفسي لا أرضاها لكم فعسىٰ أن يستجيب الله من دعائكم ما لم يستجب من دعائي فيرفع هذا الستار المسبل بيني وبينكم فنلتقي كما كُنّا.

حادثة (دنيا الله)

نجيب محفوظ

كان يتكلم فى تليفون الدكان بصوت مرتفع ليسمع صوته رغم ضوضاء شارع الجيش الصاخبة. وجعل يميل بنصفه الأعلى داخل الدكان ليبتعد ما أمكن عن الضوضاء، ثم ختم حديثه بقوله "انتظرنى، سأحضر فوراً" وأعاد السماعة إلى موضعها وتناول علبة سجائر هو ليود من فوق الطاولة ونقد البائع نقوده –ثمن العلبة والمكالمة– واستدار فوق الطوار متجهاً نحو الطريق. كان فى الستين أو نحوها، طويل القامة نحيلها، كروى الجبهة والعينين، مكور الذقن، وأما صلعته فلم يبق فوق مرآتها إلا جذور شعر أبيض مثل منابت شعر ذقنه. وقد أفصح مظهره عن إهمال صريح نتيجة للسن أو الطبع أو نسيان الذات. على ذلك كان يتمتع بحيوية مرحة، وتلتمع عيناه بنشاط وابتهاج، فأشعل سيجارة وأخذ نفساً عميقاً، وبدأ أنه ينظر إلى الداخل لا إلى الطريق، ثم مال يمنة بمحاذاة صف من اللوريات والواقفة لصق الطوار حتى وجد منفذاً إلى الشارع. ونفض السيجارة وهو يبتسم، ثم مرق من المنفذ ليعبر الشارع إلى ضفته الأخرى. وما كاد يجاوز مقدمة اللورى الأخير حتى شعر

بإندفاع سيارة فورد نحوه بسرعة فائقة. وقال أحد الشهود فيما بعد إنه كان عليه أن يتراجع بسرعةٍ، وإنه لو فعل ذلك لنجا رغم سرعة السيارة، لكنّه لسبب ما – لعله المفاجأة أو سوء التقدير أو القضاء– وثب إلى الأمام وهو يهتف " يا ساتر يا رب" وجرت الحوادث متلاحقة. ندت عن الرجل صرخة كالعواء، وفى ذات الوقت انطلقت صرخات الفزع من المارة والواقفين على الطوار وفوق إفريز محطة التزام. ورئى الرجل وهو يرتفع فى الفضاء أمتاراً ثم يهوى فوق الأرض كشئ غير آدمى. وصدر عن فرملة الفورد صوت محشرج متشنج ممزق وهى تزحف على الأرض بعجلات متوقفة جامدة. وهرع نحو الضحية فى ثوان عشرات وعشرات كأسراب الحمام حتى تكون منهم سور غليظ منيع وانتشر فى المطنقة الهرج. ولم ينبض جسم الرجل بحركة واحدة، وكان منكفئاً على وجهه ولا يجرؤ أحد على لمسه، وإحدى رجليه ممدودة إلى آخرها، والأخرى منثنية منحسرة البنطلون عن ساق نحيلة غزيرة الشعر وقد فقدت فردة حذائها، وتغشاه صمت بخلاف كل شئ حوله كأن الأمر لا يعنيه ألبتة. وألصق سائق الفورد ظهره بالسيارة من باب الحيطة وراح يخاطب مجموعة من الحفاة أحدقت به على سبيل المراقبة:

– لا ذنب لى، اندفع هو من أمام اللورى فجأة، وبسرعة، ودون أن ينظر إلى يساره كما يجب..

وإذ لم يجد وجهاً مستجيباً عاد يقول بلهجة خطابية:

– لم يكن فى الإمكان أن أتجنب صدمه..

وند عن المصاب صوت كالزفير المكتوم، وتحرك حركة شاملة مباغتة، ثانية واحدة، ثم غرق فى اللامبالاة..

– لم يمت، حى.

– لعلها إصابة بسيطة..

– لكنه طار فى الهواء والعياذ بالله!

– ولو، عفو ربنا كبير..

– لا يوجد دم ؟

– عند فمه، انظر..

– كل ساعة حادث من هذا النوع..

وجاء شرطى مسرعاً ففتح له وقع قدميه ثغرة فى السور الآدمى نفذ منها وهو يصيح بالناس أن يبتعدوا. فابتعدوا خطوات، خطوات فقط، وعينهم لا تتحول عن الرجل ولا تخف حدة تطلعها وإشفاقها. وقال إنسان:

– سيبقى هكذا حتى يموت ونحن لا نفعل شيئاً..

فأجابه الشرطى بلهجة رادعة:

– أقل لمسة قد تقتله، وبوليس النجدة والإسعاف فى الطريق إليه..

واعترض الحادث جانب الطريق فاضطرت السيارات إلى الالتفاف حول السور البشرى مشاركة الترام فى ممشاه فضاق بها حتى تحركت فى بطء شديد وتجمعت فى صفوف ممتدة ومتداخلة وهى تصرخ وتعوى بلا فائدة، ومن ركابها تطلعت أعين إلى الضحية فى اهتمام، وأعين تجنبت النظر فى جزع. وجاء بوليس النجدة وراء صفارته الحلزونية فاتسعت الحلقة، وغادرت القوة السيارة إلى الرجل الملقى، وكان الضابط حاسماً وحازماً فأصدر أمراً بتفريق المتجمعين، وتفحص الرجل بنظرة شاملة، وسأل الشرطى:

– ألم تحضر الإسعاف.. ؟

وإذا لم تكن ثمة ضرورة إلى السؤال فإنه لم يلق بالاً إلى الجواب، وتساءل مرة أخرى:

– هل من شهود؟!

فتقدم ماسح أحذية وسائق لورى وصبى كبابجى كان عائداً

بصينية فارغة. وأعادوا على مسمع الضابط ما حدث منذ كان الرجل المجهول يتكلم فى التليفون. وجاء ت سيارة الإسعاف، وأحاط رجالها بالرجل، وتفحصه رئيسهم بعناية وحذر وهو يجلس القرفصاء، ثم نهض متوجها إلى الضابط فبادره هذا قائلاً:

– أظن يجب نقله إلى الإسعاف.. ؟

فقال الآخر بلهجة ذات أثر لا يختلف عن الأثر الذى يحدثه عادة جرس سيارته:

– بل يجب نقله إلى مستشفىٰ الدمرداش..

وأدرك الضابط ما يعنيه ذلك على حين استطرد رجل الإسعاف قائلاً:

– أعتقد أن الحالة خطيرة جداً..

وعند ما أرقد الرجل بحجرة الفحص بمستشفى الدمرداش كانت طلائع الليل تزحف كالجبال. وفحصه مدير القسم بنفسه، ثم التفت إلى مساعده قائلا:

– إصابة خطيرة فى الرئة اليسرى، تهدد القلب مباشرة..

– عملية ؟

فهز رأسه قائلاً:

– إنه يحتضر..

وصدقت فراسة الطبيب فقد تحرك الرجل حركة شاملة كالرعشة، واضطرب صدره اضطراباً متلاحقاً محشرجاً، ثم شهق شهقة خفيفة واستكن. وكان الطبيبان يراقبانه فالتفت المدير نحو مساعده وهو يقول:

– انتهى..

وجاء ضابط النقطة وكان الرجل ما يزال راقداً بكامل ملابسه عدا فردة الحذاء المفقودة. وقال الطبيب:

– هذه الحوادث لاتنتهى..

فقال الضابط وهو يومئ إلى الفقيد:

– وشهادة الشهود ليست فى صالحة !

ثم وهو يقترب من السرير:

– أرجو أن نستدل على شخصيته..

وشرع فى عمله على حين بسط الشاويش المرافق له ورقة فوق منضدة وتأهب بدوره لتسجيل المحضر. ودس الضابط يده برفق فى جيب الجاكتة الداخلى فاستخرج حافظة نقود قديمة متوسطة الحجم ومضى يُفتشها جيباً جيباً ويملى على الشاويش:

– خمسة وأربعون قرشاً من العملة الورقية..

روشتة للدكتور فوزى سليمان..

وألقى نظرة عابرة على أسماء الأدوية ولكنه لاحظ وجود كتابه على ظهرها أيضا فجرى بصره عليها بلا إرادة فإذا بها المواد الكحولية والبيض والدهنيات ممنوعة، ويستحسن تجنب المنبهات كالشاى والقهوة والشيكولاتة. وابتسم الضابط ابتسامة باطنية إذ أن تعليمات مماثلة صدرت إليه من طبيبه فى نفس الشهر، ثم واصل إملاء ه وأصابعه تستخرج من الحافظة محفوظاتها:

– مجلد صغير من السور القرآنية..

ولما لم يجد شيئا آخر فى الحافظة قال بضيق:

– لا توجد بطاقة تحقيق شخصية !

وانتقل إلى الجيب الداخلى الصغير وما لبث أن قال بفتور:

– ثلاثة قروش ونصف عملة معدنية..

ووجد أيضا حقاً صغيراً فرفع غطاء ه المحكم فرأى مادة غريبة كالبن المسحوق،وامتلأ أنفه برائحة مسكية، ثم ما لبث أن عطس عطسة من الأعماق، فأعاد الغطاء إلى موضعه وقال بعين دامعة:

– حق نشوق..

وتوالى التفتيش وتتابع الإملاء:

– منديل، علبة سجائر هوليود، سلسلة مفاتيح،ساعة يد..

وكان آخر ما عثر عليه صفحة مطوية من كراسة فبسطها فوجدها رسالة لم تغلف بمظروف بعد، فأمل أن يصادف فيها ما يمكن أن يستدل به على شخصية الرجل. نظر أول ما نظر إلى الإمضاء ولكنه لم تزدعن " أخوك عبد الله" فعاد إلى رأس الصفحة ولكن الرسالة كانت موجهة " أخى العزيز أدامه الله"، فاستاء من هذه المعاندة ولم يجد بدا من قراء تها.

أخى العزيز أدامه الله :

اليوم تحقق أكبر أمل لى فى الحياة.

اضطر إلى التوقف رافعاً عينيه إلى تاريخ الرسالة، وكان تاريخ اليوم نفسه ٢٠ فبراير، وامتد بصره فوق الأسطر إلى الوجه الباهت المشوب بزرقة مخيفة، المغلق كسر، الجامد كتمثال، ذلك الذى تحقق أكبر أمل له فى الحياة. وتساء ل الطبيب:

– عثرت على شئ،؟

فانتبه إلى نفسه وابتسم استهانة ليدل على اعتياده أى شئ

وقال:

– اليوم تحقق أكبر أمل لى فى الحياة، بذلك بدأت الرسالة !

وعاد إليك القراءة متجنباً النظر إلى عينى الطبيب: " فقد انزاحت عن صدرى الأعباء المريرة، انزاحت جميعاً والحمد لله، أمينة وبهية وزينب فى بيوتهن، وها هو على يتوظف، وكلما ذكرت الماضى بمتاعبه وكدحه وقلقه وشقائه أحمد الله المنان، وهذا هو النصر المبين".

واسترق النظر مرة أخرى إلى الإنسان الراحل، الذى لا يدرى أحد مقره، الذى يثير الدهشة بصمته وانغزاله وارتداده العميق إلى المجهول. المتاعب والقلق والشقاء والأمل الكبير والنصر المبين !

" وبعد تفكير طويل قر رأى على ترك الخدمة". فعلاً. "فهيهات أن تتحسن صحتى طالما بقيت فى المدينة، وحسبت الحسبة فوجدتنى أخدم فى الحكومة بثلاثة جنيهات هى الفرق بين المرتب والمعاش، لذلك قررت أن أطلب إحالتى على المعاش، وقريباً أعود إلى البلدة إن شاء الله، وسوف أنضم إلى مجلسك الظريف عند عبد التواب شيخ الخفر، أما الآن فكل شئ بخير وليس فى الإمكان خير

مما كان".

وطوى الضابط الرسالة وهو يقول:

– إنه موظف كما يفهم من خطابة ولكن ليس به ما يمكن الاستدلال على هويته.

فقال الطبيب:

– ستتخذ الإجراءات المألوفة وغالبا ما يجئ أهله فى الوقت المناسب فيتسلمون الجثة من المشرحة.

داء النسيان

توفيق الحكيم

في عيادة الدكتور براك العالم النفساني المعروف..

يدخل حجرة الفحص رجل في العقد الرابع من عمره.

لأشخاص:

الدكتور براك

المريض

الممرضة

الطبيب: أهلا بك أيها السيد.

الزبون: عمت صباحا يا سيدي، هل لي أن أعرف السبب الذي من أجله تشرفني بزيارتك؟

الطبيب: (بدهشة) ماذا تقول؟ ينبغي لي أن أطرح عليك هذا لسؤال.

لزبون: وكيف ذلك ؟

لطبيب : أنت الذي تزورني.. إنك الآن في عيادتي الطبية.

الـزبـون: آه..آه.. أنـا عـنـدك إذن، اسـمـح لي أن أهنئك بهذه العيادة أنه مكان جميل منظم.

الطبيب: هذا لطف منك. والآن ما الذي حملك على استشارتي.

الزبون: استشارتك؟ هذا ما كنت أتسآء ل عنه.

الـطبيـب: مـاذا ؟ مـاذا ؟ أنـت الـذي آت لاستشارتي وبالتالي للتحدث عن صحتك.

الزبون: عن صحتي؟ هذا ممكن.. لأنك طبيب.

الطبيب: طبعاء طبعا.

الـزبون: آه.. آه.. إذن ينبغي أن يكون هناك مريض في البيت فدعيت لمعالجته فشكرا لمجيئك أيها الدكتور، هلا جلست.

الـطبيـب: هـا أنـت عـدت إلـي قـلب الأدوار أيها السيد العزيز، أنت الذي جئت إلي، أنت عندي الآن.

الزبون: أصحيح ما تقول؟ إذن أنا عندك حسنا حسناء منزلك جميل تهاني القلبية والآن في اية قضية جئت تستشيرني ؟

الـطبيـب: اسـمع يا هذا.. أعتقد أننا لن نتوصل إلى أية نتيجة

إذا بقينا على هذه الحال.

الزبون: عزيب أمرك.. تأتي إلي بكل طيبة خاطر، ولكنك ترفض أن تطلعني على سبب زيارتك، غريب والله أمرك.

الطبيب: اسمع ما هذا الظرف الذي تحمله.

الزبون: أأنا أحمل ظرفا آه.. أجل صحيح.

الطبيب: أتسمح لي به ؟

الزبون: أرجوك.

الطبيب: إنها رسالة لي ولا بد أن تلقي الضوء على ما نحن فيه.

الزبون: أمتأكد أنت أنها رسالة لك ؟ وهل هذا اسمك ؟

الطبيب: أجل اسمي وعنواني كما ترى أتسمح لي بأن أفضها واطلع على مضمونها (يفضها ويقرأفيها)

"سيدي الطبيب إني موفدة اليك زوجي وهو مصاب بداء النسيان منذ مدة غير قصيرة وهو ينسي كل شي بين دقيقة وأخرى فانا لاأدعه يخرج بمفرده من البيت خوفا من

أن ينسي طريق العودة. ولما كانت مشاغلي تحول بيني و بين مرافقته إلي عيادتك فقد احتطت للامر وأوفدته في سيارة "تاكسي" أعطيت سائقها عنوانك، وستنتظره هذه السيارة خارج العيادة لتنقله إلي البيت. فالرجاء أن تفحصه فحصا دقيقا لأن حالته تقلقني"

الآن فهمت كل شئ .. لقد أو فدتك إلي السيدة بولاركى أفحصك.

الزبون: السيدة بولار ؟ أنا لا أعرف سيدة تحمل هذا الإسم.

الطبيب: ماذا تقول إنها زوجتك.

الزبون. زوجتي ؟ ومن قال إنها زوجتي ما اسمها ؟

الطبيب: السيدة بولار. ألست أنت السيد بولار؟

الزبون: أمهلني.. سأقول لك الحقيقة. لا شك أنني أحمل في جيبي بطاقات زيارة (يدس يده في جيبه) هاهي ذي بطاقة تحمل إسم سليستان بولار... صحيح ولكن التي تحدثت عنها ما إسمها؟

الطبيب: السيدة بولار طبعا.

الـزبـون: حـقـا إنها صدفة غريبة. السيدة بولار لا يستبعد أن تكون

احدى نسيباتي (يقهقة لهذه الفكرة)

الطبيب: من الطبيعي أن تحمل الإسم الذي تحمله أنت ما دمت أقول لك إنها زوجتك.

الـزبـون: صـحـيـح. ولكن لماذا تحدثني عن زوجتي أستميحك عـذراء فـأنـا مشتـت الأفـكـار، لـقد جاء ت هي بنفسها لرؤيتك. سـانـاديهـا. ولكن ما اسمها؟ الظوانيت.. جوليت.. كلا.. إسمها قـصيـر مثـل رز. اسـمهـا يبـدأ بـحرف "ب" أجل فظننت اسمها كليمنتين.. كلا كلنمتين..أواه.

الـطبيـب: لا تتـعـب نـفسك خرجت عن الموضوع. أنا الدكتور بـراك الـطبيـب الـنفساني. أما أنت فلست في بيتك ولكنك في عيادتي. وقد أوفدتك زوجتك السيدة بولاركى أفحصك.

الزبون: آه.. إنها قضية لعقدة غريبة، فما علتي.

الـطبيـب: أنت مصاب بداء النسيان أي أنك ضعيف الذاكرة... تنسى كل شئ بين دقيقه ودقيقة.

الـزبـون: أنـا مـصـاب بـداء الـنسيـان؟ أجل صحيح، لم أكن لأتوهم ذلك حقا انه أمر مزعج ينبغي لي أن أستشير طبيبا في يوم من الأيام.

الـطبيـب: هـا أنـت لـدى الـطبيـب. إنـي اكـرر عليك أنك عند الدكتور براك، وأنك جئت تستشيره في قضية ضعف الذاكرة.

الـزبـون: صـحيـح. ولكن.. إنها صدفة سعيدة ، ما علينا سوى إنتظاره بفارغ الصبر.

الطبيب: إنتظار من بفارغ الصبر ؟

الزبون: الدكتور براك، هل جئت قبلي أو بعدي ؟

الـطبيب: أنا هو الدكتور براك. وقد مضى على وجودك هنافي عيـادتـي عشـر دقـائـق أحاول عبثا أن استجوبك عن حالتك. اسـمـع سـأكـتـب لك "روشتة" وكل ما هنالك أن تعنى بتحسين صـحتك الـعامة قبل أي شئ آخر (يكتب) هناك "رحيم" يجب

أن تتبعه. وعلاج سأصفه لك ينشط الذاكرة. وهكذا تتحسن حالتك ويصبح في وسعنا درس قضيتك درسا مفيدا. أما الآن فمن العبث المحاولة.. خذ.

الزبون: شكرا يادكتور، ماذا تريد مني ؟

الطبيب: الفافرنك.

الزبون: اليك المبلغ.. لست أريد وصلا بذلك أني شديد الثقة بك.

الطبيب: ليس هذا وصلا إنما هو "الروشتة"

الزبون: الروشتة؟ إذن أنت طبيب لماذا لم تقل ذلك؟

الطبيب:شئ مزعم للغاية مزعج جدا أنا لم أرقط مثل هذه القضية حذار أن تفقدها.

الزبون: أفقد ماذا ؟

الطبيب: الروشتة، هذه الورقة التي بين يديك هي "الروشتة"

الزبون: "الروشتة" عدم المؤاخذة– كنت على وشك أن أحملها معي خطأ، خذها.

الطبيب: كلا يا سيدي، لا تزدها لي، احملها وإذهب إلي احدى الصيدليات واشتر الدواء الموصوف فيها. أتعرف صيدليا ؟

الزبون: لا أعرف أحدا.

الطبيب: حسنا، سأضع هذه الروشتة داخل الظرف و سأكتب على الظرف عنوان أقرب صيدلية وليس عليك الا أن تقصدها بعد خروجك من هنا. (يكتب)

الزبون: شكرا ألف مرة. لن أبقيك أطول من ذلك. اسمح لي بأن أشيعك إلي الباب.

الطبيب: كلا، كلا، سأشيعك أنا من هناسيدي.

الزبون: آه، أنت.. حسنا. إلي اللقاء يا سيدي العزيز.

الطبيب: إلي اللقاء، ولا تضع الظرف، احملها حالا إلي الصيدلية.

الزبون: أطمئن..لايمكن أبدا سأتبعك تفضل.

الطبيب: أرجوك.

الزبون: إني أكرر شكوى على مجيئك لرؤيتي.

الطبيب: حسناء، حسنا مع السلامة (يقفل الباب) أوف. مسكين هذا الرجل. لايرجى منه أية فائدة ولكن لعل هذا العلاج يفيده بعض الشئ (يقرع الباب) أدخل.. أهذه أنت يا سيدوني ليدخل المريض التالي.

سيدوني: إن الرجل الذي خرج اللحظة قال لي إنه سيعود على الأثر.

الطبيب: ماذا تقولين ؟

سيدوني: هذه هي الحقيقة، يا سيدي. لقد ذهب دون أن يأخذ قبعته، فذكرته بها وكان يحمل ظرفا.

الطبيب: أجل إنها الروشتة.. ماذا حدث؟

سيدوني: قال لي اطمئنى فأنا ذاهب لأضع هذا الظرف في صندوق البريد وسأعود.

الطبيب: ماذا ؟ يضع الروشتة في البريد.. ياالله.. لافائدة. لافائدة أدخلي الزبون التالي يا سيدوني، الزبون التالي.. ياالله.

بين الأمس واليوم

سيد على الطنطاوي

وقلت للغلام:

ألا تمشى معي أريك دمشق؟

قال: أنا أرى دمشق كل يوم: ولا أريد أن أمشي معك؛ إنني لا أمشي مع هو أكبر مني؛ ولا أمشي مع من لا أعرف.

قلت: ولوكان قريبك ؟

قال: فهل أنت قريبي؟

قالت: أنا أقرب الناس إليك!

قال: وما تكون مني؟

قلت: أنا أنت ؛ فضحك الخبيث وقال:

رحم الله هبنّقة أنت أنا فمن أنت؟

فكدت أقول له، أنت أنا ثم خفت أن يجترئ على بالقول الجارح، لأنه بدالي سليط اللسان، فسكت عنه، ومازلت به حتى رضى أن يمشى معي؛

قال: ولكني لا اجاوز آخر الشارع.

فقلتُ: وأيّ شارع ؟

قال: وهل في دمشق مأة شارع؟ الشارع الذي فتحه جمال باشا و أنا أعرفه من قبل طريقاً ضيقاً. يمتد من بعد المشيرية إلى محطة الحجاز، يقطعه هذا الزقاق الذي يصل من (المرجة) إلى الشابكلية زقاق رامي.

قلت: لقد تغيرت الأرض ومن عليها يا ولدي، وفتحت مئات من الشوارع وصارت (المرجة) لب البلد وقد كانت في آخره، وقامت وراء (شركة الكهرباء) حيث المزابل التي تعرفها العمارات الضخمة والحدائق الواسعة، وطريق الصالحية الذي كان يمتد وحده بين البساتين ما على طرفيه إلا بيوت قليلة تقوم صفا واحدا وراء ه الفضاء. صار اليوم سوق المدينة، وقامت على جانبيه أحياء إذا جئتها حسبت نفسك في (باريز) وحى (المهاجرين) الفقراء من أهل جزيرة (كريت) اقريطس، صارحى الأغنياء والمترفين، وصارت البقعة الواحدة منه، التي لاتذرع مئة متر مربعة؛ أغلى من أرض

الحي كلها، (والبوابة للصالحية) حيث يمر الترام بين (الخستة خانه) وبستان الكركة في طريق ضيق كان منذ غروب الشمس مربط قطاع الطريق.. لقد صارت (بوابة الصالحية) ميدانا فسيحا فيه العمارات العالية والشوارع الفسيحة، شارع بغداد؛ وشارع الأركان.. والبساتين صارت أحياء عامرة، بستان الاعجام صارحى الحلبوني وبستان السبكى وبستان الحبوبي صار أضخم أحياء الشام.. لقد دار الفلك ثمانا وأربعين دورة على دمشق التي تعرفها، قال: إذن يجب أن تكون ابن ثمان وأربعين.

قال: ألا تراني أمامك صبيّاً ؟

قلت: وأنت ألا تراني أمامك كهلا ؟!

قال: أرجو ألا تلقي علىٰ هذهِ الفلسفة الجنونية ؟

قلت: ويحك، ماألقيتها عليك، وهل أنت شئ له (وجود)؟

إنما ألقيتها على نفسي، وسحبت الغلام: وسرت به وهو مشدوه مما يسمع، ورأى السيارات الكثيرة، وهي تتعادي و تتسابق مسرعة مجنونة كأنها راكبة على جناح شيطان، من كل لون وجنس، من

الصغيرة التي تشبه صندوق اللعب، إلى الكبيرة التي تسع سبعين راكبا، تخرج عن يمينه وعن شماله، ومن خلفه، كأنها العفاريت في قصة (الملك سيف) تتلاطم أصواتها في الأذن كأنها عزيف الجن..... فارتاع ووقف حائراً، فقلت له: مالك؟ ألا تعرف السيارات؟ فلم يشأ أن يظهر الجهل وقال: وهل تظنني آتيا من الصحراء؟ كيف لا أعرفها؟ لقد فاخرت التلاميذ بأن والدي ركب فيها؟

قلت وهل كان مثل هذى ؟

لا؛ كانت سيارة واحدة لجمال باشا، لم يأت دمشق غيرها، فكان الناس يخرجون لرؤيتها، وأنا أعرف الطيارة أيضاً، صغيرة لها جناحان، واحد فوق الآخر، يركب فيها رجلان..

قلت: إن من الطيارات اليوم ما يركب فيه مأية، يحملهم من دمشق إلى الهند بقفزة واحدة، فنظر إلى مفتوح الفم شاحص العنيين، كأنه لا يصدق !

قلت: وهل تعرف الكهرباء ؟

قال: نعم وادخلناها درارنا منذ أيام، وضربني المعلم من أجلها..

قلت: ولما ذا يضربك من أجلها ؟

نديرزرافي الجدار فتضئ فكذبوني فضربتهم فجاء المعلم فضربني،

قلت : ولكن للكهرباء اليوم منافع لا تعرفها إنها تدفئ المنازل في الشتاء

قال: كنت أحدث التلاميذ، أن في بيتنا مصابيح يشتعل بلا كبريت، وتبرد الطعام في الصيف، وتسير الـ..

وصاح الصبى مقاطعا :

ما هذا؟ أعوذ بالله؛

فنظرت فإذا هو إعلان عن فلم في السنيما، فيه صورة فتاه عارية ورجل يقبلها؛

فقلت: هذا إعلان سينما، ألا تعرف السنيما؟

قال: بلى أخذونا إليها في المدرسة؛ فأرونا صور القتال في (شناقلعة) وكانت في طريق الصالحية، بعد (الخستة خانه)

قلت صحيح، أعرفها؛ وقد هُدّمت وشُيِّدَ في مكانها عمارة ضخمة؛

تعرض (أفلاما) من نوع آخر اسمها (البرلمان)

قال: ولكن كيف لا تمنع الحكومة هذا المنكر، كيف لا ينكره العلماء؟

قلت: إن أمثال هذه الصور في كل مكان، أنظر.. وأشرت إلى المجلات المعلقة في الطريق عند البياعين، وسألته:

ألا تقرؤن المجلات؟

قال: وما المجلات ؟ إننا لا نعرفها !

قلت: أتقرؤن كتبا غير كتب المدرسة ؟

قال: نعم، أنا أقرأ في العقد وحياة الحيوان للدميري وكتاب الفرج بعد الشدة والأغاني،

قلت: هذا كتب لا يقرؤها إلا العلماء، فمن دلك عليها وأنت في هذا السن؟

قال: كان (الرجال) الذين يجتمعون على أبي للدرس كل يوم يتناقشون؛ فيقول لي أبي هات الجزء الرابع من (تاج العروس) هات الثالث من (الحاشية) هات الخامس من (فتح القدير) فتعلمت أسماء الكتب، وصرت أدخل المكتبة وحدى، فأسحب كل كتاب، فأقرأ فيه

صفحة فإن أعجبني قرأته، وإلا أخذت غيره فمن هنا عرفت هذه الكتب؛

قلت وهل يعرفها رفاقك في المدرسة؟

قال: إن بعضهم يعرف بعضها،

قلت: ألا تقرؤن كتبا للتسلية؟

فاحمر وجهه وسكت،

قلت: خبرني؛ لا تكذب علي، ولا تخف مني،

قال: ولماذا أخافك؟ أنا لا أخاف أحدا، ثم إني مؤمن لا أكذب أبدا، وهل يكذب المؤمن؟!

قلت إذن خبرني!

قال: نقرأ القصص في الخفاء قصة عنترة وحمزة البهلوان والملك سيف وكنا نقلد هؤلاء الأبطال فنتبارز في صحن الأموي كل يوم عندما ندخله؛

قلت: ولماذا كنتم تدخلونه كل يوم ؟

قال: لماذا ؟ لنصلي ونسمع الدرس؛

قلت: ولم؟ أليس في المدرسة درس دين؟

قلت : كيف؟ ألا يعلمونكم القرآن؟

قال: بلى عندنا درس تجويد، ودرس تفسير،

قلت: والفقه؟

قال: وعندنا درس فقه، وعندنا درس حديث؛ ودرس وعظ

قلت: وكم ساعة في الأسبوع لذلك كله؟

قال: عشر ساعات،

قلت: إنهم يستكثرون عليها الآن ساعتين في الأسبوع،

قال: ولماذا يحسبونها درسا واحدا؟ إنها دروس مختلفة ولوكان يجمعها اسم الدين، فإذا كان يكفيها ساعتان، فاجعلوا للعربية ساعتين فقط للنحوو الصرف وإلانشاء والإملاء والمحفوظات وللرياضيات ساعتين فقط للحساب والهندسة والجبر وللطبيعات ساعتين ولو تعددت علومها؛ وقطع الحديث وجعل ينظر مشدوها إلى النساء السافرات، الباديات الأذرع إلى الآباط، و السيقان إلى الركب، الكاشفات الشعر والنحر والصدر؛

قلت: مالك؟

قال: ماهو لاء؟

قلت: نساء،

قال: وهل تظنني حسبتهن بقراً، ولكن كل نساء الشام يلبسن الملاء ـة، لا تفرق المسلمة من النصرانية أو اليهودية؛ إلا بأن هذه تستروجهها؛ وتلك تكشفه؛ أما الملاء ة فللجميع فماذا يكون هؤلاء، إذا لم يكن مسلمات ولا نصرانيات ولا يهوديات؟ وسكت، لأني لم أجد جوابا، وطال السكوت وفكرت فيما كنا فيه، وما صرنا إليه.

(للاستاذ علي الطنطاوي من مجلة المسلمون عدد٧ ١٣٧٤هـ)

الثقافة الهندية

أحمد أمين

قديماً عرف العرب "الهند" فى جاهليتهم و اتصلوا بهم تجاريّاً، و أولعوا بالعود الطيب الذى يجلب من الهند، فقال عدى بن الرقاع:

رب نار (خار) بت أ رمقها تقضم الهندى والغازا

قالوا إنما عنى بالهند العود الطيب الذى من بلاد الهند كما أولعوا بالسيوف الهندية ،و سموا السيف المطبوع من حديد الهند المهند ، وقالوا سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند وأحكم عمله واشتقوا منه فقالوا : هنّد السيف إذا شحّذه ، وقال قائلهم: كل حسام محكم التهنيد . قال الأزهرى : والأصل فى التهنيد عمل الهند وسموا كثيرا من نسائهم . هنداً . كما سموا . هند الهنود . ولا أدرى هل أصل

التسمية هذه البلاد.

ولما فتح المسلون فارس و العراق فكروا فى الهند فيحدثنا

البـلاذرى : إنـه لما ولى عثمان بن عفان و ولى عبد الله بن عامر بن كـريـذ العراق كتب إليه يأمره أن يوجه إلي ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخبره فوجه حكيم بن جبلة العبدى فلما رجع أوفـده إلي عثمان فسأله عن حال البلاد فقال: يا أمير المومنين قد عـرفتهـا وتنحرتها ـ قال: فصفها لى قال ماؤها وشل ، وثمرها دقل، ولـصهـا بـطل ـ إن قل الجيش فيها ضاعوا و إن كثروا جاعوا ـ فقال له عثمان أخابر أم ساجع؟ قال بل خابر ، فلم يغزها أحداً.

وتتابع المسلمون يغزونها ويصيبون منها المغانم حتى وجه الحجاج محمد بن القاسم الثقفي إلي الهند فى أيام الوليد ففتح جزءاً عـظيمـاً مـنهـا وهـو الـمسـمـى بـالسند سنة ٩١هـ، ففتح ، ديبل ، و ، نيـرانـكـوت ، الـمسـمـلة الآن بـحيدر أباد ، وسار إلي ، راور ، واخيـراً فتـح مـلتـان ، وكـان محمد بن القاسم قائد الجيوش وفاتح هذه الفتوح فتى شاباً لم يتجاوز العشرين قال فيه القائل :

إن المروة والسماحة و الندى لـمـحـمـد بـن القـاسم بن محمد

ساس الجيوش لسبع عشرة حجرة يـا قـرب ذلك سـؤددا مـن مولد

وقال فيه أخر :

ساس الرجال لسبع عشرة حجة ولـداتـه عن ذاك فى أشغال

وقد غنموا مغانم كثيرة وسبوا سبياً كثيراً انتشر كشأن السبايا فى الـمـلـكة الإسـلامية، وأصبـح الـجيل السندى عنصراً من العناصر المكونة

لـلأمة الإسلامية ـ حدث الأغانى قال: بعث الجنيد بن عبد الرحمن الـمـرى إلـي خـالد بن عبد الله القسرى بسبى من الهند بيض فجعل يهب،

كـمـا هـو لـلـرجـل مـن قريش ومن وجوه الناس حتى بقيت جارية مـنهن جميلة كان يدخرها، وعليها ثياب أرضها فوطتان: فقال لأبى الـنـجـم هـل عـنـدك فيهـا شـىء حـاضر و تاخذها الساعة ؟ قال نعم أصلحك الله ثم قال فيها رجزه المشهور الذى مطلعه

علقت خوداً من بنات الزط

وفى عصرنا الذى نؤرخه تبعت السند للعباسيين و ولّى أبو جعفر المنصور هشام بن عمر و التغلبى عليها سنة ١٤٢هـ فتوسع فى الفتح شمالاً ففتح كابل و كشمير. وأصاب سبياً ورقيقاً كثيراً. واتصلت العلاقات التجارية بين السند والمملكة الإسلامية فكان يأت منها العود والسكر والغاب الهندى.

وما تم الفتح حتى رأينا الحركة العلمية تتبعه، فكان بعض الفاتحين أنفسهم من العلماء فالربيع بن صبيح البصرى أشهر المحدثين وأولهم تدويناً للحديث كان فى الجيش الذى سيره المهدى سنة ١٥٩هـ لغز الهند وبها مات. وقد ترجم الذهبى لبعض المحدثين فى السند فى كتابه. تذكرة الحفاظ. هكذا لم يكن الجيش الإسلامى فاتحاً فقط بل كان أيضا ناشراً للدعوة ومعلماً.

ومن ناحية أخرى سرعان ما رأينا الموالى الذين جلبوا من الهند وغنموا فى الحرب و وزعوا على الجند، ينبغ منهم ومن أولادهم

الشعراء وعلماء اللغة و المحدثون. فمن الشعراء كان أبو عطاء السندى وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية وا لعباسية و كان أبوه سنديّاً لايفصح ونشأ إبنه فى المسلمين شاعراً كبيراً وإن كا ن فى لسانه لكنة شديدة و لثغة كان يقول فى "مرحباً" "مرهباً" وفى "حياكم اللّه" "هياكم اللّه" وفى "الزج" "الزز" وفى "جرادة" "زرادة" وفى "الشيطان" "سيطان" وفى "أظن" "أزن" حتى اضطر أن اتخذ له غلاماً ينشد شعره تحامياً من أن ينشد بلسانه.

وقد كرهه العباسيون لأنه قال كثيراً فى مدح الأمويين فلما تحولت الدولة أراد أن يتحول فلم يقبلوا منه فكان يذمهم ومن ذلك قوله هذا وقوله:

فليت جور بنى مروان عادلنا وليت عدل بنى العباس فى النار ولم يصل إلينا من شعره كثير حتى نتبين إن كان فيه معان جديدة كسبها من أصله الهندى. واشتهر من اللغويين ممن أصله هندى إبن الأعرابى(كان أبوه زيادا عبداً سندياً) وكان إبن الأعرابى علماً من أعلام اللغة والأدب و الشعر أملى على الناس ما

يحمل على أجمال، وألف تاليفاً كثيرة و تلمذ له كثيرون من أشهر هم ثعلب وإبن السكيت. ولم يبق لنا من كتبه إلا كتاب فى أسماء البئر وصفاتها وكتاب فى أسماء الخيل وأنسابها. ومن كتبه التى ألفها كتاب الأنواء ولو وصل إلينا لعلمنا هل تأثر فيها بمعارف الهند أو اقتصر على معارف العرب على النحو الذى ألف فيها غيره من علماء العرب.

ومن المحدثين الهنديين: أبو معشر نجيح السندى صاحب المغازى سمع نافعاً و نفراً من التابعين وكان ألكن يقول: حدثنا محمد بن قعب يريد كعب، الخ.

هذا نوع يمثل لنا اندماج الهنود فى المسلمين واعتناقهم الإسلام وتعلمهم علماً إسلامياً عربياً ونبوغ بعضهم فيه. وقد رأينا قبله فيما نقلنا عن الجاحظ: اشتهار السنديين بحسن القيام على المال وتدبيره حتى لا ترى بالبصرة صيرفيّاً إلا وصاحب كيسه سندى.

والآن نريد أن نتعرض للجانب الأخر من الموضوع وهو

تـأثيـر الهنود فى الثقافة الإسلامية. أثر الهنود فى الثقافة الإسلامية من ناحيتين ناحية مباشرة وذلك باتصال المسلمين أنفسهم بالهند من طريق التجارة ومن طريق الفتح العربى. فإن هذا الفتح صير ما فتح من بلاد السند جزءاً من المملكة الإسلامية تخضع لنظامها وتجرى عليها أحكامها وينتقل المسلمون إليها وينتقل الهنود إلي أنحاء العالم الإسلامى المختلفة وكل من هولاء و هولاء يحملون ثقافتهم ويتبادلونها بعضهم مع بعض تبادل السلع.

و ناحية غير مباشرة: وذلك نقل ثقافتهم بواسطة الفرس فإن الفُرس اتصلوا بالهنود اتصالاً وثيقاً قبل الفتح الإسلامى وأثروا فيهم وتأثروا بهم وأخذوا كثيرا من الثقافة الهندية وأدمجوها فى ثقافتهم فلما نقلت الثقافة الفارسية إلي العربية كان مع هذا نقل جزء من الثقافة الهندية فى ثناياه. وقد عد المسلمون الهنود إحدى الأمم الأربع ذات الصفات الممتازة و هى الفرس والهند و الروم والصين، وقال الجاحظ فيهم: "اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم و أسرار الطب والخرط والنجر والتصاوير والصناعات

الكثيرة العجيبة".

وقال المسعودى: "ذكر جماعة من أهل العلم والنظر..... إن الهند كانت قديم الزمان الغرة التى فيها الصلاح والحكمة ثم آلمّ بطرف من الهياتهم و رياضتهم والعابهم إلي أن قال: والهند فى عقولهم وسياستهم وحكمهم وألوانهم وصفاتهم وصحة أمجزتهم وصفاء أذهانهم ودقة نظرهم بخلاف سائر السودان".

وقال الأصفهاني فى محاضرات الأدباء : "أن الهند لهم معرفة الحساب و الخط الهندى وأسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء والرقى وعلم الأوهام وخرط التماثيل ونحت الصور وطبع السيوف والشطرنج والحنكلة. وهى وتر واحد يُجعل على قرعة فيقوم مقام العود ولهم ضروب الرقص والثقافة والسحر والتدخين".

وقال القفطى: "إن الامم الثمانى التى عنيت بالعلوم هم الهند والفرس والكلدانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب والعبرانيون".

وهذه الأمم المذكورة هم الذين اعتنوا بالعلوم واستخراجها

وبـاقـى الأمـم لـم تـعن بشئ من ذلك ولا ظهر لها شئى منه. وقال فى موضع أخر: والهند هم الأمة الأولى كثيرة العدد فخمة الممالك وقد اعتـرف لهـا بـالـحـكـمة وأقـر بـا لتبريز فى فنون المعرفة. كل الملل السالفة....

وكـان الـصين يسمون ملك الهند ملك الحكمة لفرط عنايتهم بالعلوم فـكان الهند عند جميع الأمم معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة. ولبـعد الهند من بلادنا قلت تاليفهم عندنا فلم يصل إلينا إلا طرف من علومهم ولا سمعنا إلا بالقليل من علمائهم.

أبو أيُّوبَ الأنصَارِيُّ

عبد الرحمٰن رافت باشا

خَالدُبنُ زيدِ النَّجارِيُّ

"يُدفَنُ تحتَ أسوارِ القُسطَنطِينِيَّة"

هـذا الصحابيُّ الجليل يدعىٰ خالد بن زيد بن كُلَيْبٍ، من بني "النجَّار"

أما كنيته فأبو أيوب، وأما نسبته فإلىٰ الأنصار.

ومن منا معشر المسلمين لا يعرف أبا أيوبَ الأنصاريَّ ؟!

فـقد رفع الله في الخافقين ذكره وأعلىٰ في الأنام قدره حين اختـار بيتـه من دون بيوت المسلمين جميعاً لينزل فيه النبيُّ الكريم ﷺ لما حل في المدينة مهاجراً، وحَسْبُه بذلك فخراً.

ولـنـزول الـرسول صلواتُ الله عليه في بيت أبي أيُّوب قِصّةٌ يحلو ترداداُها ويلذّ تكرارها.

ذلك أن الـنبى عليه الصلاةُ والسـلام حيـن بلغ المدينة تلقَّتْه أفئدة أهلها بأكرم ما يتلقىٰ به وافد.

وتطلّعت إليه عيونهم تبثّه شوق الحبيب إلى حبيبه..

وفتحوا له قلوبهم ليحل منها في السويداءِ..

وأشرعوا له أبواب بيوتهم لينزل فيها أعزّ منزل.

لكنّ الرسول صلوات الله عليه، قضىٰ في "قباءِ" من ضواحي المدينة أياماً أربعةً، بنىٰ خلالها مسجده الذي هو أوّل مسجد أُسس علىٰ التقوىٰ.

ثم خرج منها راكباً ناقته، فوقف سادات "يَثْرِبَ" في طريقها، كل يريد أن يظفر بشرف نزولِ رسولِ اللهﷺ في بيته..

وكانوا يعترضون الناقة سيدا إثر سيد، ويقولون:

أقم عندنا يا رسول الله في العدد والعُدد والمَنَعَة.

فيقول لهم: (دَعُوها فإنها مأمورة).

وتَظَلُّ الناقة تمضي إلىٰ غايتها تتبعها العيونُ، وتحفُّ بها القلوب..

فإذا جازت منزلاً حَزِن أهلُه وأصابهم اليأس، بينما يشرق الأمل في نفوس مَن يليهم.

ومـا زالـت النـاقة علىٰ حالها هذه، والنـاس يمضون في إثرها، وهـم يتـلهّـفُـون شـوقـاً لمعرفة السعيد المحظوظ، حتىٰ بلغت ساحة خلاءً أمام بيت أبي أيوب الأنصاري، وبركت فيها۔

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام لم ينزل عنها۔

فـمـا لبِثَـتْ أن وثبت وانطلقت تمشي، والرسول ﷺ مرخ لها زمامها، ثم ما لبثت أن عادت أدراجها وبركت في مبركها الأول۔

عـنـد ذلك غـمـرتِ الـفرحة فؤادَ أبي أيوبَ الأنصاريِّ، وبادر إلـىٰ رسول الله صلواتُ الله عليه يرحِّب به، وحمل متاعه بين يديه، وكأنما يحمل كنوزَ الدنيا كلها، ومضىٰ به إلى بيته۔

كـان مـنـزل أبـي أيـوب يتـألّف من طبقةٍ فوقها عُلِيَّة، فأخلىٰ العلِّيَّةَ من متاعه ومتاع أهله ليُنزل فيها رسول الله ﷺ۔

لـكـنَّ الـنبـى عليه الصلاة والسلام آثر عليها الطبقة السفلىٰ، فـامتثـل أبو أيوب لأمره۔ وأنزله حيث أحبّ ولما أقبل الليل، وأوى الـرسـول صـلـوات الله عـليه إلى فراشه صعد أبو أيوب وزوجه إلىٰ الـعُـلّيّة، ومـا إن أغلق عليهما بابها حتّى التفت أبو أيوب إلىٰ زوجته

وقال:

ويحكِ ماذا صنعنا؟!..

أيكون رسولُ الله ﷺ أسفل، ونحن أعلىٰ منه ؟!..

أنمشي فوق رسولِ الله ﷺ؟!..

أنصير بين النبيّ والوحي؟! إنا إذن لها لِكون.

وسُقِط في أيدي الزوجين وهما لا يدريان ما يفعلان.

ولم تسكن نفساهما بعض السكون إلا حين إنحازا إلىٰ جانب العُلّيّة الذي لا يقع فوق رسول الله ﷺ، والتزماه لا يبرحانه إلا ماشيين علىٰ الأطراف متباعدين عن الوسط.

فلمّا أصبح أبو أيوب، قال للنبى عليه الصلاة والسلام:

والله ما أغْمِضَ لنا جفن في هذه الليلة، لا أنا ولا أم أيوب.

فقال عليه الصلاة والسلام: (ومِمَّ ذاك يا أبا أيوبَ ؟!).

قال: ذكرت أنّي علىٰ ظهر بيت أنتَ تحته، وأني إذا تحرّكتُ تناثر عليك الغبار فآذاك، ثم أني غدوت بينك وبين الوحي.

فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام:

(هوّنْ عليك يا أبا أيوب، إنه أرفق بنا أن نكون في السفل، لكثرة من يغشانا من الناس).

قال أبو أيوب:

فامتثلتُ لأمر رسول الله ﷺ إلىٰ أن كانت ليلة باردة فانكسرت لنا جرة وأريق ماؤها في العلية، فقمت إلىٰ الماء أنا وأم أيوب، وليس لدينا إلا قطيفة كنا نتخذها لحافاً، وجعلنا ننشف بها الماء خوفاً من أن يصل إلىٰ رسولِ الله ﷺ.

فلما كان الصباحُ غدوتُ علىٰ الرسول صلواتُ الله عليه، وقلت: بأبي أنت وأمي، إني أكره أن أكون فوقك، وأن تكونَ أسفل مني..

ثم قصصت عليه خبر الجرة، فاستجاب لي، وصعد إلىٰ العلية، ونزلتُ أنا وأم أيوب إلىٰ السفلِ.

أقام النبي عليه الصلاة والسلام في بيت أبي أيوب نحواً من سبعةِ أشهر، حتىٰ تم بناء مسجده في الأرض الخلاء التي بركت فيها الناقة، فانتقل إلىٰ الحجرات التي أقيمت حول المسجد له ولأزواجه،

فغدا جاراً لأبي أيوب، أكرم بهما من متجاورين.

أحب أبو أيوب رسول الله صلوات الله عليه حبا مَلَكَ عليه قلبه ولُبّه، وأحب الرسولُ الكريم ﷺ أبا أيوب حبا أزال الكُفلة فيما بينه وبينه، وجعله ينظر إلىٰ بيت أبي أيوب كأنه بيته.

حدّث إبن عباسٍ قال:

خرج أبو بكر رضى الله عنه بالهاجرة إلىٰ المسجد فرآه عمر رضى الله عنه، فقال:

يا أبا بكرٍ ما أخرجك هذه الساعة ؟!.

قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع.

فقال عمر: وأنا والله ما أخرجني غير ذلك.

فبينما هما كذلك؛ إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال:

(ما أخرجكما هذه الساعة؟!).

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من شدة الجوع.

قال عليه السلام: (وأنا. والذي نفسي بيده. ما أخرجني غير

ذلك.. قُوما معي)

فـأنـطـلـقـوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضيَ الله عنه.

وكـان أبـو أيـوب يـدّخـر لرسول الله ﷺ كل يوم طعاماً، فإذا أبطأ عنه ولم يأتِ إليه في حينه أطعمه لأهله.

فلما بلغوا البابَ خرجتْ إليهم أم أيوب، وقالت:

مرحباً بنبيّ الله وبمن معه.

(أين أبو أيوب ؟) فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام.

فسمع أبو أيوب صوتَ النبيّ ﷺ. وكان يعمل في نخل قريب له. فأقبل يسرع وهو يقول:

مرحباً برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلًا:

يا نبيَّ الله عليه الصلاة والسلام ليس هذا بالوقت الذى كنت تـجئ فيه. (صدقت)، ثم إنطلق أبو أيوب إلىٰ نخيله فقطعَ منه عذقا فيه تمرٌ ورطبٌ وبُسْر.

فـقـال عـليـه الـصـلاـة والسلام: (ما أردتُ أن تقطعَ هذا، ألا جنيتَ لنا من تمره؟)

قـال: يا رسول الله أحببتُ أن تأكل من تمره ورطبه وبسره، ولأذبحنَّ لك أيضاً.

قال: (إن ذبحتَ فلا تذبحنَّ ذات لبنٍ).

فـأخـذ أبـو أيـوب جـديـاً فـذبـحـه، ثـم قال لإمرأته: اعجني واخبـزي لـنـا، وأنـتِ أعـلـم بالخبز، ثم أخذ نصف الجدي فطبخه، وعـمـد إلىٰ نـصفه الثاني فشواه، فلما نضج الطعام ووُضعَ بين يدي الـنبـيﷺ وصـاحبيـه، أخـذ الـرسـول قـطعةً من الجدي ووضعها في رغيف، وقال:

(يـا أبـا أيـوب، بـادر بهـذه القطعةِ إلىٰ فاطمةَ فإنها لم تُصب مثل هذا منذ أيام).

فلما أكلوا وشبعوا قال النبيﷺ:

(خبز، ولحم، تمر، وبسر، ورُطب !!!).

ودمـعـت عيـنـا ثم قال: (والذي نفسي بيده إنَّ هذا هو النعيم الـذي تسـألـون عـنـه يـوم الـقيـامة، فـإذا أصبتم مثل هذا فضربتم بـأيـديـكـم فيه فقولوا: بسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي

هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل).

ثم نهضَ الرسول صلواتُ الله عليه، وقال لأبي أيوب:

(ائتِنا غدا).

وكان عليه الصلاة والسلام لا يصنع له أحد معروفاً إلا أحب أن يجازيه عليه، ولكن أبا أيوب لم يسمع ذلك.

فقال له عمر رضوان الله عليه:

إن النبى ﷺ يأمرك أن تأتيه غداً يا أبا أيوب.

فقال أبو أيوب: سمعا وطاعةً لرسول الله.

فلما كان الغد ذهب أبو أيوب إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام فأعطاه وليدةً كانت تخدمه، وقال له:

(استوصِ بها خيراً—يا أبا أيوب—فإنا لم نر منها إلا خيراً ما دامت عندنا).

عاد أبو أيوب إلىٰ بيته ومعه الوليدة؛ فلما رأتها أمّ أيوب:

قالت: لمن هذه يا أبا أيوب؟!.

قال: لنا.. منحنا إياها رسول الله ﷺ.

فقالت: أعظم به من مانح؛ وأكرم بها من مِنْحة.

فقال: وقد أوصانا بها خيراً.

فقالت: وكيف نصنع بها حتىٰ ننفذ وصيّة رسول الله ﷺ؟.

فقال: والله لا أجد لوصيّة رسول الله بها خيراً من أن أعتقها.

فقالت: هُديتَ إلىٰ الصواب، فأنت موفّق.. ثم أعتقها.

☆ ☆ ☆

هذه بعض صورِ حياة أبي أيوب الأنصاري في سِلْمِه، فلو أتيح لك أن تقف علىٰ بعضِ صورِ حياته في حربه لرأيت عجباً..

فقد عاش أبو أيوب رضي الله عنه طول حياته غازياً حتىٰ قيل:

إنه لم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ إلىٰ زمن معاوية إلا إذا كان منشغلاً عنها بأخرىٰ.

وكانت آخر غزواته حين جهّز معاوية جيشاً بقيادة إبنه

"يـزيـد" لـفتـح "القُسطُنطِينيَّة"، وكان أبو أيوب آنذاك شيخاً طاعنا فـي السِّـن يـحبـو نـحـو الثـمـانيـن مـن عمره؛ فلم يمنعه ذلك من أن يـنـضـوىَ تـحت لواء "يزيد" وأن يمخر عباب البحر غازياً في سبيل الله.

لـكـنـه لـم يـمضِ غيرُ قليل علىٰ مُنازلةِ العدو حتىٰ مرض أبو أيوب مرضا أقعده عن مواصلة القتال، فجاء "يزيد" ليعوده وسأله:

ألك من حاجة يا أبا أيوب ؟.

فقال: اقرأ عنى السلام علىٰ جنود المسلمين، وقل لهم:

يـوصيـكـم أبـو أيـوب أن تُـوغـلـوا في أرض العدو إلىٰ أبعد غـاية، وأن تـحـمـلـوه معكم، وأن تدفنوه تحت أقدامكم عند أسوار "القُسطَنطِينيّة" ولفظ أنفاسه الطاهرة.

☆ ☆ ☆

استـجـاب جـنـد الـمسـلـمين لرغبة صاحب رسول الله ﷺ، وكـرّوا عـلـىٰ جـنـد الـعـدو الـكـرة بـعـد الـكـرة، حتىٰ بلغوا أسوار "القسطنطينية" وهم يحملون أبا أيوب معهم.

وهناك حفروا له قبراً وواروه فيه.

☆ ☆ ☆

رحم الله أبا أيوب الأنصاري، فقد أبىٰ إلا أن يموت علىٰ ظهور الجياد الصافنات غازيا في سبيل الله.

وسنه تقاربُ الثمانين

المدنية الإسلامية

شكيب ارسلان

أما زعم من زعم أن الإسلام لم يتمكن من تاسيس مدينة خاصة والإستدلال على ذلك بحاله الحاضرة، فهو خرافة يموه بها بعض أعداء الإسلام من الخارج وبعض جاحديه من الداخل، أما القسم الأول فلاجل أن يصبغوا المسلمين بالصبغة الأوربية، وأما القسم الثانى فلأجل أن يزرعوا فى العالم الإسلامى بذور الالحاد.

فتأخر المسلمين فى القرون الأخيرة لم يكن من الشريعة بل من الجهل بالشريعة، أو من عدم إجراء أحكامها كما ينبغى، ولما كانت الشريعة جارية على حقها كان الإسلام عظيما عزيزا.

ومدنية الإسلام قضية لا تقبل المماحكة إذ ليس من أمة

فـى أوربـا سـواء الالمان أو الفرنسيس أو الإنكليز أو الطليان الخ. إلا و عندهم تآليف لا تحصى فى "مدينة الإسلام"

فـالـمـدنية الإسـلامية هـى مـن الـمـدنيات الشهيرة التى يـزدان بهـا تـاريـخ الـعـالـم، والتـى تـغـض سـجدلاتها الخالدة بـآثـارها الباهرة، وقد بلغت بغداد فى دور المنصور والرشيد والـمـأمون من احتفال الـعمارة واستبـحـار الـحضارة وتباهى التـرف والثـروة مـا لـم تبـلـغـه مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا الـعـصـر، حتـى كـان أهلها يبلغون مليونين ونصف مليون من السـكـان، وكـانـت البصرة فى الدرجة الثانية وكان أهلها نحو نصف مليون.

وكـانـت دمشـق، والقاهرة، وحلب، سمرقند وأصفهان، وحـواضـر أخـرى كثيـرة من بلاد الإسلام أمثلة تامة وأقيسة بـعيـدة فـى إستبـحـار الـعمران، وتطـاول البنيـان، ورفـاهة

السكان، وإنتشار العلم والعرفان، وتأثل الفنون المتهدلة الأفنان؛ وكانت القيروان وفاس وتلمسان، ومراكش فى المغرب أعظم وأعلى من أن يطاولها مطاول أو يناظرها مناظر، أو أن يكاثرها مكاثر فى بلدان أوربا حتى هذه القرون الأخيرة.

وكانت قرطبة مدينة فذة فى أوربا لا يدانيها مدان، وكان عدد سكانها نحو مليون نسمة؛ وكان فيها نحو سبعمائة جامع عدا المسجد الأعظم الذى زرته فى هذا الصيف. قال لى المهندس الذى كان معى من قبل الحكومة الاسبانيولية: إنه يتسع بحسب مساحته خمسين ألف مصل فى الداخل و ٣٠ ألف مصل فى الصحن، فجملة من يسعهم هذا المسجد العجيب العظيم ثمانون ألفا من المصلين.

ولما ذهبنا إلى آثار قصر الزهراء رأينا ها آثار مدينة لا

آثار قصر واحد و علمنا أنها تمتد على مسافة تسعمائة مترطولا وفى ثمانمائة مترعرضا، والاسبانيون يقولون: "مدنية الزهراء" وقال لى المهندسون الموكلون بالحضر على آثارها: إنهم يرجون الإتيان على كشفها كلها من الآن إلى خمسين سنة، وحسبك أن غرناطة التى كانت حاضرة مملكة صغيرة فى آخر امر المسلمين بالأندلس لم يكن فى أوربة فى القرن الخامس عشر المسيحي بلدة تضاهيها ولا تدانيها وكان فيها عند ما سقطت فى أيدى الاسبانيول نصف مليون نسمة، ولم يكن وقتئذٍ عاصمة من عواصم أوربة تحتوى نصف هذا العدد؛ وحمراء غرفاطة لاتزال يتيمة الدهر إلى اليوم.

هذه لحمة دالة من مآثر حضارة الإسلام وغررأيامه، والافلو اسقتصينا كل مآثر المسلمين فى الأرض من رائع وبديع لم تسع ذلك الجلود الكثيرة والمرصوفة طبقا فوق طبق.

وبعد فلم نعلم مدنية واحدة من مدنيات الأرض إلا وهى رشح مدنيات سابقة، وآثار آراء اشتركت بها سلاسل البشرية؛ ومجموع نتائج عقول مختلفه الأصول، ومحصول ثمرات ألباب متباينة الأجناس.

وعلى كل حال لا يقدر مكابر أن يكابر أن الإسلام كان له دور عظيم فى الدنيا سواء فى الفتوحات الروحية أو العقلية أو المادية؛ وإن هذه الفتوحات قد إتسقت له فى دور لايزيد على ثمانين سنة، مما أجمع الناس على أنه لم يتسق لأمة قبله أصلا، وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الإسلام يقول..

إن العرب فتحوا الدنيا فى نصف قرن لاغيره، وتأمل أيها القارى فى أن قائل هذا القول هو بونابرت الذى لم تكن تملأ عينه الفتوحات مهما كانت عظمة.

PROSE EX

TRA

الثبات

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يـآأيهـا الـذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جآء تُكم جنودٌ فـأرسَـلـنـا عـليهـم ريـحـاً وجـنـوداً لـم تروها وكان الله بما تعملون بصيراo إذ جـاء وكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغتِ الأبصارُ وبـلـغـتِ الـقـلـوبُ الـحـناجِر وتظنون بالله الظنونـاo هـنالك ابتُلي الـمـؤمنون وزلزلوا زِلزالا شديداً o وإذ يـقـول المنٰفقون والذين فى قـلـوبهـم مرض ما وعدنا الله ورسولُهٗ إلا غرورا o وإذ قـالت طآئفةٌ مـنهـم يـأهـلَ يثـربَ لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يـقـولـون إنّ بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراo ولو دُخـلـت عـليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بهآ إلا يسيراo ولـقد كانوا عاهدوا الله من قبلُ لا يولّون الأدبارَ وكان عهدُ الله مسئولاo قل لن ينفعكم الفرارُ إن فررتم من الموت أو القتلِ وإذاً

لاتُمتَّعون إلا قليلا o قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم
سوءً أو أراد بكم رحمةً ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا o
قد يعلمُ الله المعوقين منكم والقآئلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون
البأسَ إلا قليلا o أشحةً عليكم فإذا جآء الخوف رأيتهم ينظرون
إليك تدورُ أعينهم كالذى يغشىٰ عليه من الموت فإذا ذهب الخوفُ
سلقوكم بألسنة حداد أشحةً على الخير أولٰئك لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم وكان ذٰلك على الله يسيرا o يحسبون الأحزاب لم يذهبوا
وإن يأتِ الأحزاب يودُّوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن
أنبآئكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا o لقد كان لكم فى رسول
الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجوا الله واليومَ الاٰخر وذكر الله كثيرا o
ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هٰذا ما وعدنا الله ورسولُه وصدق
الله ورسوله وما زادهم إلآ إيمانا وتسليما o من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
وما بدّلوا تبديلا o ليجزي الله الصٰدقين بصدقهم ويعذّب المنٰفقين
إن شآء أو يتوبَ عليهم إن الله كان غفورا رحيما o وردَّ الله الذين

كـفـروا بـغيـظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا o وأنـزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقـذف فـى قلوبهم الرُّعبَ فريقا تقتلون وتأسرون فريقا o وأورثكم أرضهـم وديـارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شىء قديرا o (سورة الأحزاب)

على وفاة الرّسول ﷺ

أبو بكر صديقؓ

دخل أبوبكر الصيقؓ على النبى عليه الصلاة والسلام وهو مسجى بثوب فكشف عنه الثوب وقال:

بأبي أنت وأمي! طبت حيّا، وطبت ميتا، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة، وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولو لا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لموتك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون. فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وإدناف يتخالفان ولا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمدؐ عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا و أحفظه فينا.

ثم خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم وعظيم سكراتهم فخطب خطبة قال فيها:

اشهد أن لا الٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا

محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدّث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين– في كلام طويل ثم قال:

أيها الناس ! من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا، وأن الله قد اختار لنبيّه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوبه، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن اخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر. ياأيها الذين آمنوا ! كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم.

هرقل وأبوسفيان

صحيح البخاري۔

عن ابن عباسؓ أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم فدعا بالترجمان فقال أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قال أبوسفيان: فقلت أنا أقربهم۔ فقال: أدنوه مني قربوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره۔ ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه۔ فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا الكذبت عنه۔ ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ فقلت: هو فينا ذو نسب۔ قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت ضعفاؤهم۔ قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون۔ قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا۔ قال: فهل تتهمونه بالكذب

قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، ولم يمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلمتوه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما كان يعبد أباؤكم، ويأمرنا بالصلوٰة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له إني سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله، فذكرت أن لا فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت: رجل يتأسى بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان في أبائه من ملك، فذكرت أن لا، فقلت لو كان من أبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقلت لو كان من أبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه. سألتُك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا فقد اعرف انه لم يكن

ليـذر الـكذب على الناس، ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبـعـوه ام ضـعـفـاؤهـم، فـذكـرت أن ضـعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الـرسـل. وسـألتك: أيـزيـدون أم يـنـقـصـون فذكرت أنهم يزيدون، وكـذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يـدخـل فيـه. فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته الـقـلـوب. وسـألتك هـل يـغدر فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسـألتك بـمـا يـأمـركـم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشـروكـوا بـه شيـئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلوٰة والـصـدق والـعـفـاف، فـإن كان ما تقول حقا، فسيملك موضع قدميّ هـاتيـن، وقـد كـنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظنه أنه منكم. فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاء ه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

محمد الرسول ﷺ

الرسول ﷺ

مرّتْ خمسُ سنوات على إعادةِ بناء الكعبةِ الشريفةِ، كان محمد ﷺ خلالَها، مشغولا بالسّهر على رعاية شؤونِ عائلته، وإدارةِ تجارةِ زوجته خديجةَ، ولكنَّ اهتمامُه بأهل بيته لم يصرفه عن المشاركةِ في أعباءِ الحياةِ العامة، ولا عن التفكير بشؤونِ أبناءِ قومه، إذ كان يحرصُ أشدّ الحرص على أن ينشر الخيرَ والمحبةَ والألفةَ بينَ الناسِ، وأن يُبعدهم عن الأمورِ التي تضرُّهم، وتضرُّ مجتمعهم، كي تبقي مكة بلداً آمناً، يحج إليها العربُ من جميع أنحاءِ شبه الجزيرة، فيجدون الأمنَ والسلام مخيّمين فوق ربوعها.

كانت أيام محمد ﷺ مليئة بالأعمال النافعة، ولم يمر عليه يوم إلا صنع فيه خيرا أكثرَ من اليوم الذي سبقه. ورغم ذلك كله، فإنَّ قلبه وفكره كانا مشغولين بأمور غيبيّة هامة جدا. فهو يرى أبناء قومه. وأغلبَ الناس، يعبدون أوثانا وأصناما من الحجارة والخشبِ والتمر وغيرها. وهم يصلون لهذه الجوامد ويطلبون منها مساعدتهم في هذه الدنيا، وهذا أمر غيرُ معقول، لأنه شرك بالخالقِ،

ووثنية عمياءُ جاهلة، إذ يجبُ على الإنسانِ أن يعبدَ الالهَ الذي خلقه، وأن يومن به إلها وربا واحدا، له ما في السموات والارض، فلا يجوز إذن أن يعبدَ الأوثانَ والاصنامَ التي لا تضرُّ ولا تنفعُ ولا تقدِرُ على شيء أبدا۔

وكان محمد ﷺ يتأمل في هذا الكون الواسعِ، فيرى على هذه الأرض خلائق كثيرة، من الناس، والطير، والحيوان۔ ويرى من الجبال، والصحارى، والسهول، والأوديةِ، والأنهارِ والبحارِ والينابيعِ، والأشجارِ والنباتاتِ أنواعا مختلفةً وكثيرة جدا۔ ثم يتأمل في السماء وما فيها من نجوم وكواكب مبعثرة، ويرى الشمس تضيءُ في النهار أرجاءَ الارض، وتغيبُ في الليل، فيطلعُ القمرُ بنوره الذي يستمده من الشمس۔ وهكذا تسيرُ الحياةُ، ويسيرُ الكونُ على نظام عجيب، وتعيش المخلوقاتُ كلها وفقَ طرائقَ خاصة بها، كلها دقيقة جدا، فيقولُ في نفسه: لا شك أن لهذا الوجودِ كله، ولهذا الكون الواسع، ولهذه الحياةِ كلها، خالقاً حكيما، عليما، قديراً۔ فلماذا لا يهتدي الناسُ إلى معرفةِ الخالق، ويعبُدونه حقَّ العبادةِ بدلاً

من أن يكونوا كافرين، ومشركين ؟!

محمد ﷺ يعتزلُ في غارِ حراءَ

تلك الأفكارُ والمشاعرُ هي التي كانت تشغلُ بالَ محمد ﷺ فلا يجدُ أمامه إلا الاعتكافَ، والانفرادَ عن الناسِ حتى ينصرفَ إلى تامله، بغيةَ الاهتداءِ إلى الحق. فصار يذهبُ إلى جبل في شرقي مكة، يدعى جبلَ النورِ، وعلى رأسِ هذا الجبلِ غارٌ يدعى غارَ حراءَ، فيجلسُ في داخله، حيثُ لا مشاغل ولا أعباءَ، ولا ضجيجَ، بل هدوء وسكينة وصفاء يساعده على التفكر والتأمل، وعلى اكتشاف الحقيقة التي يسعى ورائها.

وكان غارُ حراءَ عبارةً عن كهف لا يدخله الإنسانُ إلا بعد التعب الشديد لعلوّ موقعه من الجبل ولضيقِ مدخله، وقد اختاره محمد ﷺ لقضاء فترةِ التأمل والتفكر، ثم صار يقضي فيه شهر رمضانَ من كل عام وحيدا بلا رفيق، وكأنه ينتظر حدثا هاما، يجدُ خبره كامنا في نفسه.

محمد ﷺ والملكُ جبريلُ

وظلَّ محمد ﷺ على هذه الحال عدة سنوات، حتى بلغ

الأربعين من عمره الشريف. ففى ذلك العام، وفى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضانَ، وبينما كان وحده فى الغار كعادته إذ جاءه ملك وبيده صحيفة، ثم وقف هذا الملكُ أمام محمد ﷺ وقال له ﴿اقرأ﴾ فأجابه محمد ﷺ: ما أنا بقارىء (أى لا أعرف القراءة) فعادَ الملكُ يقولُ له: ﴿اقرأ..﴾ فأجابه محمد ﷺ: ما أنا بقارىء، وكرر الملك ذلك مرة ثالثة، فأجابه محمد ﷺ بنفس الإجابة، عندئذ قال له الملكُ: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم. علم الإنسان مالم يعلم..﴾ وبأمرالله الكريم، الذى أراد أن يتعلم محمد ﷺ القراءة، حفظ محمد ﷺ هذه الآيات فورا، وكأنها كانت مطبوعة فى قبله، وفى عقله. فصار يرددها غيبا مرة بعد مرة. واختفى الملكُ من أمامه فجاة. فأفاق محمد ﷺ من ذهوله مبهورا ينظر فيما حوله، فلا يرى أحدا.. وأخذت محمدا الرهبة لهول ما رأى، فخرج من الغار مرعُوبا، وراح ينزل من الجبل على عجل، وتابع سيره الحثيث حتى وصلى إلى وسطه، وهناك سمع صوتا قويا مدويا، يستوقفه، ويقول له : يا

محمد !ـ أنت رسول الله. وأنا الملكُ جبريلُ. وقد أرسلنى الله تعالى إليك لأبلغك أنه اختارك نبياً ورسولاً، لكى تحمل رسالة الاسلام، وتنشرها بين الناس كافة.. فأنت خاتم النبيين وسيد المرسلين.

وحدق محمد ﷺ فى هذا الملكِ، فإذا هو نفسه، الملكُ الذى رآه من قبلُ. فعرف أنه جبريلُ، كما قال له، وأنه علمه القراءة بإذن ربه عندما بلغه أمرَ ربه إليه بأنه بعثه نبيا. وها هو ذا محمد ﷺ فى اليقظة، ينظر إلى جبريل فإذا هو ملءُ ما بين السماء والارض. فتعجب محمد ﷺ ومجد الخالق العظيم، ثم لم يلبث جبريل عليه السلام بعد ذلك أن اختفى، فأدار محمد ﷺ وجهه، فى كل الجهات محاولا أن يراه، فلم يجد له أثرا.

وظل محمد ﷺ بعض الوقتِ فى مكانه من شده تأثيرما رأى وما سمعَ. فلما استعاد قوته، ورباطه جأشه، أسرع نازلا من الجبل، ودخل مكة متوجها فورا إلى منزله، والاضطرابُ والقلقُ باديان عليه.

رأته زوجته الفاضلة خديجة على هذه الحال، فخافت عليه،

لأنه لم يرجع يوما إلى البيت، وهو على هذه الحال من الضيق، فسألته إن كان مريضا فأجابها بأنه ليس مريضا.. وعادت تسأل عما به، فقال لها بعد أن استلقى على الفراش: زملونى، زملونى (أى غطونى جيدا) وكان يرتجفُ وكأن بردا شديدا بات فى جسمه.. وأسرعت خديجة تغطيه جيدا، ثم جلست بقربه، تطيب خاطره وتهدئه، حتى أحسّت أنه ارتاح قليلا، وأنّ البردَ قد ذهب عنه، فسألته برقةٍ وهدوءٍ: ما بالك يا أبا القاسم. لقد أخفُتنى والله، إذ لم أرك يوما على هذه الحالة، فهلا أخبرتنى ما الذى حدث معك ؟

ونظر إليها محمد ﷺ نظرةً ملؤها الاطمئنان، ثم روى لها كل ما حصل معه فى ذلك اليوم، وكيف رأى الملك بأمّ العين، وكيف بلّغه رسالةَ ربه إليه، وبعثه نبيا ورسولا للناس كافة.

وكانت خديجةُ الحكيمةُ تنصتُ إلى زوجها محمد ﷺ بكل انتباه، وتعى كل كلمة يقولها. فلما قص عليها نبأ بعثه، سُرّتْ سرورا عظيما، وطمأنته قائلة: أبشر يا ابن عمى، واثبت فوالذى نفسُ خديجةَ بيده، إنى لأرجو أن تكون نبىَّ هذه الأمة. والله لا يخزيك

الله أبـداً. إنك لتصلُ الرحمَ، وتصدُق الحديث، وتحملُ الكلَّ، وتقري الضيفَ، وتُعِينُ على نوائبِ الدهرِ.

خديجةُ وابنُ عمّها ورقةُ ابنُ نوفل

وارتـاحَ مـحـمـد ﷺ إلـى حديث زوجته العظيمة، فزاده ذلك اطمئنانا. ثم أحسّ بالنعاسِ يُفاجئه فطلب أن ينامَ ويرتاحَ.. وعندما غفا في فراشه، راحت خديجةُ الطاهرةُ البَرَّة به تتأمله، فإذا بها ترى وجهه لا يـزال عـليه بعضُ التّجهم والضيقِ من شدة ما نزل عليه من ربـه، فـخـافـت عـليـه وقـالت في نفسها : هل أسكتُ ولا أفعل شئيا، وزوجـي عـلـى هـذه الـحـالة مـن الـضيق؟.. لا، لن أقعد ساكنة، فهو عـنـدي أغـلـى شيءٍ في الوجودِ، ويجبُ أن أساعده.. وفكّرتُ قليلا، فـخـطـر على بالها ابنُ عم لها يدعى ورقة بنَ نوفلٍ، وهو رجل عاقل حـكـيـم، وشيـخ كبيـرُ السن، ترك الوثنية، واعتنق النصرانية. وكان يـقرأ في الكتب، حتى صار عالما كبيرا معروفا ولذلك قررت خديجةُ أن تـذهـب إليـه، وأن تـخبـره بـما حدث لزوجها، فلعله ينصحُها بما يجبُ أن تقومَ به من أجل هذا الزوج العظيم.

وأسرعت خديجةُ إلى بيتِ ابن عمها، ورقة بن نوفل، فاستقبلها مرحبا. فسلمتُ عليه وأخبرته بما قصّ عليها زوجها محمدﷺ فطلب إليها ورقةُ أن تجلس هادئة ريثما يقرأ بعضَ الكتب التى عنده. ومر بعض الوقت وهو مع الكتب، ثم نظر إلى خديجة، وقال لها: اسمعى يا خديجةُ جيدا: إن زوجك محمد بنُ عبد الله رجل عظيم، وله شأن كبير جدا.. إن محمدا هو نبى هذه الأمة وقد نزل عليه ا لناموسُ الاكبر، وجاء ه الوحى من عند ربه فتلقاه صادقا.. قومى يا خديجة إلى بيتِكِ لتسهرى على راحةِ محمد ﷺ. وأوصيكِ بأن تبذلى كل جهد فى الحرص على سلامته، لأن المشركين هم أعداءُ الله، وعندما يعلمون بأن الله تعالى بعثه نبيا فسوف يجتمعون على عداوته، وعلى محاربة الدعوةِ التى يحملها إلى الناس.

وعادت خديجة إلى بيتها فرحة مستبشرة، فوجدت زوجها ما زال نائما، فجلست بجانبه، ترمقه بحنان وعطفٍ، وهى تقولُ فى نفسها: فِدَاك روحى أيها الصادقُ الأمين. فداك نفسى يا خيرَ الخلقِ

أجمعين.. وظلت خديجةُ الزوجةُ الحنونُ، بجانبِ زوجها ساعة من الوقتِ، تدعو له بالخير والنجاحِ فى المهمة التى انتدبه الله تعالىٰ لها.

محمد ﷺ وهو يلقى الوحْىَ

وفيما هى على تلك الحال، إذا بها ترى أنفاسه تتثاقلُ، ثم راح العرقُ يبلِّل جبينه.. فجأة صحا محمد ﷺ من نومه وهو ينظر إلى أعلى ويُنصتُ بكل جوارحه، كأنه يرقب أحدا، ويستمع إليه، وهو غائب عن كل شىء حوله فى دنيا الأرض. وكانت خديجةُ تنظر إليه، دونَ أن تفعلَ شيئا، أو تقولَ شيئا. فقد حبستها قوة خفية عن القيام بأى حركة، فظلت ساكنةً فى مكانها حتى مر بعضُ الوقتِ، فإذا بزوجها قد بدا مرتاحا، مطمئنا، راضيا. فسألته بلهفةٍ: كيف تجدُ نفسك يا ابن عمى؟ ولماذا كنتَ مأخوذا، تنظر إلى الأعلى، وكأن شيئا يَشُدّك إليه ؟! فأخبرها ﷺ أنه كان يتلقى الوحىَ، وقد أقرأه جبريل عليه السلام كلمات من ربه، هى قرآن مجيد، وآيات بينات من لدن حكيم عليم.

فقالت خديجة: فدتك نفسى، هلا قرأتَ علىّ هذه الكلمات من ربك؟

فقرأ محمد ﷺ : ﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم. يا أيها المدثر قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهّر. والرجزَ فاهجر. ولا تمنن تستكسر. ولربك فاصبر.﴾

فتلك سبعُ آيات من سورةِ المدثر فيها أمر من الله تعالىٰ إلى النبي ﷺ أن قم أيها النبيُ المتلفف بثيابك وغطائك فأنذر أهل مكة، وخوّف الناس جميعا ليتركوا الوثنيةَ والشركَ، وكبر يا محمد ﷺ ربك، وطهر ثيابك مما علق بها حتى تكون متناسبة مع طهارة القلب، وصفاء النفس، والرجز يا محمد فاهجر، وابق على هجرك للوثنية والشرك والكفر، ولا تعط شيئا لتطلبَ أكثر منه، واصبر على أوامر ربك ونواهيه، وعلى تبليغ دعوته إلى الناس.

خديجةُ أوّلُ المسلماتِ

وبعد أن تلا محمد ﷺ الآيات الربانية على زوجته الوفية خديجة، سكت ﷺ قليلا، وسكتت هي أيضا.. ثم دعاها لأن تؤمن بالله الواحدِ الأحدِ، وأن تشهدَ أنه رسوله، فرفعت يديها ونَاظِرَيْها إلى السماء، وقالت: "أشهدُ أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمدا رسول

الله". ودخلت خديجة" فى الاسلام وكانت أول امرأة آمنت بالله الواحد، الاحد وبنبوة زوجها محمد ﷺ وبأنه رسولُ الله. ثم عادت تقولُ له: والله قد صدّقتُ بنبوتك منذ نزلتَ من غار حراء، ولم أشهد من قبلُ بشهادة الحق لأنك كنتَ مضطربا، ولم يسمح لنا الوقتُ أن نتحدث بهدوء لكي أعلن لك إسلامي. وها أنا والحمد لله، قد هدانى الله تعالىٰ على يديك، فقم يا خيرَ الناس، وأنذر الناسَ لتخلّصهم من الشرك والجاهلية، حتى يكتب الله تعالىٰ لهم الهداية والفلاح. ولا تخف أيها النبى الكريم من المشركين، فالله سبحانه الذى بعثك بالحق، قادر على أن يحميك، وأن ينصرك على أعدائه، فهو على كل شيء قدير.

محمد ﷺ وبدءُ الدعوةِ
إلى دينِ الله العظيم

ومنذ ذلك اليوم، صار محمد ﷺ يقضى أكثر أوقاته فى رحاب الكعبة الشريفة، إذ فى هذا المكان الطاهر، كان أهلُ مكة، والوافدون إليها من الحجاج يعقدون اجتماعاتهم، ويتشاورون فى أمورهم وحاجاتهم. ولذلك أراد محمد ﷺ أن يبدأ الدعوة إلى الله

تعالىٰ من رحاب الكعبة بالذات۔

ففى ذاتِ يوم وبعد أن طاف محمد ﷺ حولَ الكعبة، وجد جماعة من رجال قريش، يجلسون وهم يتناقشون فى بعض أمورهم، فجلس محمد ﷺ بينهم وراح يشاركُ فى الحديث، كما كان يفعل كعادته من قبلُ۔ وفيما هم على تلك الحال، إذ بو احد من أولئك الرجال يحلفُ باللات والعزى، وهما صنمان كانت قريش تعبدهما، فغضب رسول الله ﷺ منه، ونهاه عن الحلفِ بالأصنام داعيا إياه أن يحلف بالله العلى العظيم الذى لا إله إلا هو، الواحد الأحد، الفردُ الصمد۔ فهو سبحانه وحده يستحق الإجلال والتعظيم، وهو وحده الرب القدير، العليم الحكيم۔

واستغرب أولئك الرجال هذا الموقف من محمد ﷺ ۔ وكأنهم لم يصدِّقوا ما سمعوا منه۔ ولكن النبى ﷺ لم يأبه لاستغرابهم، بل على العكس، وقف بينهم يعلم أنه نَبِيٌّ هذه الأمة، وأنَّ الله تعالىٰ بعثه رسولا، يحمل الإسلام دينا، ثم دعاهم إلى ترك عبادةِ الأوثان والاصنام، وإلى الإيمان بحقيقة وجود الله تعالىٰ، ولم يفُتْه ﷺ أن

يقولَ لهم، بأنه على استعدادٍ، لأن يجتمع معهم، ويحدثهم بأمر الدعوةِ التى يحملُ، حتى يكونوا على بصيرة، فيعرفوا الحق ويهتدوا إليه ويعرفوا الباطل ويبتعدوا عنه. ولكن أولئك الرجال، لم يستمعوا إليه، بل قاموا من مجلسهم وتفرقوا عنه وتركوه وحده. وهم يظنون أنه ﷺ قد مَسَّه الجنون إذ لم يصدقوا بأنه يدعوهم إلى ترك عبادتهم وعبادةِ آبائهم وأجدادهم. ولم يخطر ببالهم أن هذا الرجل، الذى كان بنظرهم أصدقَ الناس وأخلصهم، وأكثرهم أمانة واستقامة، يخرجُ عن عاداتهم وتقاليدهم، ثم يقومُ داعيا لمحاربةِ عادات الآباء والأجدادِ وتقاليدهم.

نعم لقد كانت قريش تعيشُ فى الجاهلية العمياء، التى جعلت قلوبَ الناسِ عقولهم فى جهالةٍ وضياعٍ عن الحق. ولذلك فإن محمداً ﷺ لم يستغرب إعراضَ بعضِ رجالهم عنه عندما دعاهم إلى الإيمان الحق، ولم يستغرب أن يصفوه بالكذب والجنونِ. فهو يعرفُ أن دعوةَ الناس إلى الحق أمر صعب، لأنهم لا يريدون أن يتخلوا بسهولةٍ عما ورثوه من عادات وتقاليد، ولا أن يتركوا ببساطة عبادة

الأوثـان والأصنـام التى كان يعبدها آباؤهم وأجدادُهم. ولكن عليه أن يـصبـر وأن يـداوم عـلـى الـدعـوةِ حتى يفتح الله سبحانه عليه وينصره، إنه على كل شىء قدير.

خطبة الحجاج بن يوسف الثقفى

حجاج بن يوسف الثقفى

يـا أهـل الـعـراق ! إن الشيـطـان قـد استبطنكم فخالط اللحم والـدم، والـعـصـب والـمسـامـع والأطـراف والشغـاف، ثم مضى إلى الأمـخـاخ والأصماخ، ثم ارتفع فعشش، ثم باض وفرّخ فحشاكم نفاقا وشـقـاقـا، قـد اتـخـذتـموه دليلا تتبعونه، وقائدا تطيعونه، ومؤامرا تستشيـرونـه. فـكيف تـنـفـعكم تجربة، أو تعظكم وقعة، أو يحجزكم اسلام، أو يردكم إيمان؟ ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر، وسـعيتم بالغدر، وظننتم إن الله يخذل دينه وخلافته؟ وأنا أرميكم بطرف وأنتم تتسللون لواذا، وتنهزمون سراعا.

ويـوم الـزاوية ! ومـا يـوم الزاوية؟ بها كان فشلكم وتنازعكم وبراء ة الله مـنكم، ونكوص وليه عنكم، إذ وليتم كالإبل الشوارد إلى أوطـانهـا، الـنـوازع إلى أعطانها، لا يسأل المرء منكم عن أخيه، ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضّكم السلاح وقصمتكم الرماح.

ويوم دير الجماجم ! وما يوم دير الجماجم؟ بها كانت المعارك والملاحم، بضرب يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله.

يا أهل العراق ! أهل الكفرات والغدرات والثورة بعد الثورات ! إن أبعثكم إلى ثغوركم غللتم وخنتم، وإن أمنتم أرجفتم، وإن خفتم نافقتم، لا تذكرون حسنة، ولا تشكرون نعمة، هل استخفكم ناكث، أو استغواكم غاو، أو استنصركم ظالم، أو استعضدكم خالع الا وثقتموه وآويتموه ونصرتموه ورضيتموه؟ هل شغب شاغب أو نعب ناعب إلا كنتم أشياعه وأنصاره؟ ألم تنهكم المواعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟ ثم التفت إلى أهل الشام فقال:

يا أهل الشام! إنما أنا لكم كالظليم الذاب عن فراخه، ينفى عنها المدر، ويباعد عنها الحجر، ويكنها من المطر، ويحميها من الضباب، ويحرسها من الذئاب.

يا أهل الشام ! أنتم الجُنَّة والرداء، وأنتم العدّة والغطاء.

بخيل حكيم

جاحظ

قال معبد: نزلنا دار الكندى أكثر من سنة، نُروّج له الكراءَ، ونقضى له الحوائج، ونفى له بالشرط. قلت: قد فهمت ترويح الكراء، وقضاء الحوائج، فما معنى الوفاء بالشرط؟ قال: فى شرطه على السُّكان أن يكون له روث الدابّة، وبعر الشاة، ونشوار العلوفة، وألايخرجوا عظماً، ولا يخرجوا كساحة، وأن يكون له نوى التمر، وقشور الرمّان، والغرفة من كل قدر تطبخ للحبلى فى بيته! وكان فى ذلك يتنزل عليهم فكانوا لطيبه، وإفراط بخله، وحسن حديثه يحتملون ذلك.

قال معبد: فبينا أنا كذلك، إذ قدم ابن عم لى ومعه ابن له، إذا رقعة منه قد جاء تنى: "إن كان مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين احتملنا ذلك، وإن كان أطماع السُّكان فى الليلة الواحدة يجرّ علينا الطمع فى الليالى الكثيرة". فكتب إليه: "ليس مقامها عندنا إلا شهرا أو نحوه". فكتب إلىّ: "إن دارك بثلاثين درهما. وأنتم ستّة، لكل رأس خمسة. فاذ قد زدت رجلين، فلا بد من زيادة خمستين. فالدار

عليك من يومك هذا بأربعين !"

فكتبت إليه : " وما يضرّك من مقامهما، وثقل أبدانها على الأرض التى تحمل الجبال، وثقل مؤنتهما علىّ دونك؟ فاكتب الىّ بعذرك لأعرفه ". ولم أدر أنى اهجم على ما هَجَمت، وإنى اقع منه فيما وقعت فكتب الىّ: "الخصال التى تدعوا إلى ذلك كثيرة. وهي قائمة معروفة: من ذلك سرعةِ امتلاء البالوعة، وما فى تنقيتها من شدّة المؤنة. ومن ذلك ان الأقدام إذا كثرت كثر المشى على ظهور السطوح المطينة وعلى أرض البيوت المجصّصة، والصعود على الدرج الكثيرة، فينقشر لذلك الطين، وينقلع الجصّ، وينكسر العتب، مع شتاء الأجذاع، لكثرة الوطء، وتكسرها لفرط الثقل.

وإذا كثر الدخول والخروج، والفتح والإغلاق، والإقفال وجذب الأقفال تهشمت الأبواب، وتقلّعت الرزات.

وإذا كثر الصبيان، وتضاعف البوش نزعت مسامير الأبواب، وقُلعِت كل ضَبّة، ونزعت كال رزّة، وكسرت كل جوزة، وحفر فيها آبار الددن، وهشموا بلاطها بالمداحى. هذا مع تخريب الحيطان

بالأوتاد، وخشب الرفوف وإذا كثر العيال والزوّار، والضيفان والندماء احتيج من صبّ الماء، واتخاذ الحبة القاطرة، والجرار الراشحة، إلى أضعاف ما كانوا عليه. فكم من حائط قد تأكّل أسفله، وتناثر أعلاه، واسترخىٰ أساسه، وتداعى بنيانه، من قطر حبّ، ورشح جر، ومن فضل ماء البئر، ومن سوء التدبير. وعلى قدر كثرتهم يحتاجون من الخبيز والطبيخ، ومن الوقود والتسخين والنار لا تبقى ولا تذر وإنما الدور حطب لها وكل شيء فيها من متاع فهو أكل لها. فكم من حريق قد أتى على أصل الغلة، فكلفتم أهلها اغلظ النفقة. وربما كان ذلك عند غاية العسرة، وشدة الحال وربما تعدت تلك الجناية إلى دور الجيران، وإلى مجاورة الأبدان والأموال. فلوترك الناس حينئذ رب الدار— وقدر بليّته ومقدار مصيبته— لكان عسى ذلك أن يكون محتملا. ولكنهم يتشاءمون به، ولا يزالون يستثقلون ذكره، ويكثرون من لائمته وتعنيفه.

نعم! ثم يتخذون المطابخ في العلالي على ظهور السطوح، وإن كان في أرض الدار فضل، وفي صحنها متسع، مع ما في ذلك من

الخطار بالأنفس، والتغرير بالأموال، وتعرض الحرم ليلة الحريق لأهل الفساد، وهجومهم مع ذلك على سر مكتوم، وخبئ مستور، من ضيف مستخف، ورب دار متوارٍ، ومن شراب مكروه، ومن كتاب متهم، ومن مال جم أريد دفنه، فاعجلَ الحريق اهله عن ذلك فيه، ومن حالات كثيرة، وأمور لا يحب الناس أن يُعرفوا بها. ثم لا ينصبون التنانير، ولا يمكنون للقدور، إلا على متن السطح، حيث ليس بينها وبين القصب والخشب إلا الطين الرقيق، والشئ لا يبقى هذا مع خفة المؤنة فى أحكامها، وأمن القلوب من المتألف بسببها.

فان كنتم تقدمون على ذلك منا ومنكم وأنتم ذاكرون فهذا عجب، وإن كنتم لم تحفلوا بما عليكم فى أموالنا ونسيتم ما عليكم فى أموالكم فهذا أعجب.

ثم إن كثيرا منكم يدافع بالكراء، ويماطل بالأداء، حتى إذا جمعت أشهر عليه، فرّ و خلىّ أربابها جياعا، يتندّمون على ما كان من حسن تقاضيهم وإحسانهم، فكان جزاؤهم وشكرهم اقتطاع حقوقهم، والذهاب بأقواتهم. ويسكنها الساكن حين يسكنها وقد

كسحناها ونظفناها، لتحسن فى عين المستاجر، وليرغب فيها الناظر فإذا خرج ترك فيها مزبلة وخرابا، لا تصلحه إلا النفقة الموجعة ثم لا يدع مترسا إلا سرقه، ولا سلّما إلا حمله، ولا نقضا إلا أخذه، ولا برّادة إلا مضى بها معه.

ولا يدع دق الثوب، والدق فى الهاون والمنحاز، فى أرض الدار ويدق على الأجذاع والحواضن والرواشن، وإن كانت الدار مقرمدة، أو بالآجر مفروشة، وقد كان صاحبها جعل فى ناحية منها صخرة، ليكون الدق عليها، ولتكون واقية دونها، دعانها، دعاهم التهاون والقسوة، والغشّ والفسولة، إلى أن يدُقّوا حيث جلسوا، وإلى ألّا يحفلوا بما أفسدوا لم يعط قط لذلك أرشا، ولا استحلّ صاحب الدار، ولا استغفر الله منه فى السر ثم يستكثر من نفسه فى السنة إخراج عشرة دراهم، ولا يستكثر من ربّ الدار الف دينار فى الشراء، يذكر ما يصير الينا مع قلته، ولا يذكر ما يصير إليه مع كثرته.

هذا والأيام التى تنقض المُبرم، وتبلى الجدّة، وتفرق الجميع

المجتمع، عاملة فى الدور كما تعمل فى الصخور، وتأخذ من المنازل كما تأخذ من كل رطب ويابس، وكما تجعل الرطب يابساً هشيما والهشيم مضمحلا. ولانهدام المنازل غاية قريبة، ومدة قصيرة والساكن فيها هو كان المتمتع بها، والمنتفع بمرافقها وهو الذى أبلى جدّتها وتحلاها وبه هرمت وذهب عمرها لسوء تدبيره.

فإذا قسمنا الغرم عند انهدامها بإعادتها، وبعد ابتنائها، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها، وارتفقنا به من اكرائها، خرج على المسكن من الخُسران، بقدر ما حصل للساكن من الربح ألا إن الدراهم التى أخرجناها من النفقة كانت جملة، والتى أخذناها على جهة الغلة جاءت مقطّعة.

وهذا مع سوء القضاء، والأحواج إلى طول الاقتضاء، ومع بعض الساكن للمسكن وحب المُسكن للساكن، لأن المسكن يحب صحة بدن الساكن، ونفاق سوقه، ان كان تاجرا، وتحرك صناعته، إن كان صانعا، ومحبة الساكن أن يشغل الله عنه المُسكن كيف شاء—إن شاء شغله بعينه، وإن شاء بزمانه، وإن شاء بحبس وإن

شاء بموت.

ومدار مناه أن يُشغَل عنه. ثم لا يبالي كيف كان ذلك الشغل إلا أنه كلما كان اشد كان أحب إليه، وكان أجدر أن يأمن، وأخلق لأن يسكن وعلى أنه إن فترت سوقه، أو كسدت صناعته، ألح فى طلب التخفيف من أصل الغلة، والحطيطة مما حصل عليه من الأجرة وعلى أنه أن أتاه الله بالأرباح فى تجارته، والنفاق فى صناعته، لم ير أن يزيد قيراطا في ضريبته، ولا أن يعجل فلسا قبل وقته.

الكوخ والقصر

للسيد مصطفى لطفى المنفلوطي

أنا إن كنت حاسدا أحدا على نعمة فإني أحسد صاحب الكوخ على كوخه، قبل أن أحسد صاحب القصر على قصره، ولولا أن للأوهام سلطاناً على النفوس لما تضاءل الفقراء بين أيدي الأغنياء، ولا وَرِمَ أنف الأغنياء أن يتخذهم الفقراء أربابا من دون الله.

أنا لا أغبط الغني إلا في موطن واحد من مواطنه، إن رأيته يشبع الجائع، ويواسي الفقير، ويعود بالفضل من ماله على اليتيم الذي سلبه الدهر أباه، والأرملة التي فجعها القدر في عائلها، ويمسح بيده دمعة البائس والمحزون، ثم أرثي له بعد ذلك في جميع مواطنه الأخري.

أرثي له إن رأيته يتربص وقوع الضائقة بالفقير ليدخل عليه مدخل الشيطان من قلب الإنسان فيمتص الثمالة الباقية له من ماله ليسد في وجهه باب الأمل، وأرثي له إن رأيته يعتقد أن المال هو منتهي الكمال الإنساني، فلا يطمع في فضيلة، ولا يحاسب نفسه

على رذيلة، وأرثي له وأبكي على عقله إن مشى الخيلاء، وطاول بعنقه السماء، وسلم بإيماء الطرف، وإشارة الكف، ومشى في طريقه بخزر بعينيه خزرا ليرى هل سجد الناس لمشيته، أو صعقوا من هيبته، وأرحمه الرحمة كلها ان عاش شحيحا جعدا مقترا على نفسه وعياله، بغيضا إلى قومه وأهله، ينقمون عليه حياته، ويستبطئون ساعة حتفه.

أما الفقير فهو أسعد الناس عيشا، وأروحهم بالاً إلا إذا كان جاهلا مخدوعا يظن أن الغني أسعد منه حظا، وأرغد عيشا، وأثلج صدرا، فيحسده على النعمة التي أسبغها الله عليه، ويجلس في كسر بيته جلسة الكئيب المحزون، يصعد الزفرة فالزفرة، ويرسل العبرة فالعبرة، ولولا جهله وبلاهة عقله لعلم أن رب صاحب قصر يتمني كوخ الفقير وعيشه، ويري أن ذلك السراج الضعيف الذي لا يكاد ينير نفسه أسطع ذبالا، وأكثر لألاء، من تلك الشموع الباهرات التي تتألق بين يديه، وأن تلك الحشيّة من الشعر أو الوبر أنعم ملمسا، وألين مضجعا، من وسائد الحرير ونضائد الديباج.

ولقد بلغ الضعف وصغر النفس بكثير من الناس أنهم يحفلون بالأغنياء لأنهم أغنياء، وإن كانوا لاينالون منهم ما يبلُّ غُلَّة، أويسيغ غصَّة، وليت شعري إن كان لابدلهم من إجلال المال واعظامه حيث وُجد فلم لا يقبّلون أيدي الصيارفة ولا ينهضون إجلالا للكلاب المطوقة بالذهب، وهم يعلمون أن لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء.

لو عامل الفقراء بخلاء الأغنياء بما يجب أن يعاملون به لوجدوا أنفسهم في وحشة أنفسهم، ولشعروا أن بدرات الذهب التي يكنزونها إنما هي أساود ملتفة على أقدامهم، وأغلال آخذة بأعناقهم، ولعلموا أن الشرف في كمال الأدب، لا في رنين الذهب، وفي جلائل الأعمال لا في أحمال المال.

فليعظم الناس الكرماء، وليحتقروا الأغنياء، وليعلموا أنَّ الشرف شئ وراء الغني والفقر، وأنَّ السعادة أمر وراء الكوخ والقصر.

قصة حب

طه حسين

كانت حياة الفتى في باريس حلوة مرّة ويسيرة عسيرة، لم يعرف فيها سعة ولا دعة، ولكنه ذاق فيها من نعمة النفس وراحة القلب ورضا الضمير ما لم يعرفه من قبل ومالم ينسه قط. كانت حياته المادية شاقة، ولكنه احتمل مشقتها فى شجاعة ورضا وسماح، لم يكن مرتبه يتجاوز ثلثمائة من الفرنكات، كان يدفع ثلثيه فى اليوم الأول أو الثانى من كل شهر، ثمناً لمسكنه وطعامه و شرابه، وكان يدفع نصف الثلث الذى كان يبقى له أجرا لسيدة كانت تصحبه إلى السوربون مصبحا وممسيا، ليسمع فيها دروس التاريخ على اختلافها، وتقرأ له بين ذلك ما شاء الله من الكتب حين لا يخلو له ذلك الصوت العذب الذى كان قد رتب له ساعات بعينها فى النهار، ليقرأ له فيها روائع الأدب الفرنسى، وكان يستبقى فضل مرتبه بعد ذلك لينفق منه على ما يعرض من حاجاته اليومية، فأما أمر كسوته فقد تركه إلى الله لأن مرتبه لم يكن يتسع له.

وأنفق السنة الأولى من حياته فى باريس لا يخرج من بيته

إلا إلى السوربون. فكان سجيناً أو كالسجين، لم يذكر قط أنه خرج من باريس إلى ضاحية من ضواحيها فى أيام الراحة التى كان رفاقه ينفقون فيها أيام الآحاد، ولم يذكر قط أنه اختلف إلى قهوة من قهوات الحى اللاتينى التى كان رفاقه الجادّون يلمّون بها بين حين وحين، وكان أكثر الطلاب المصرين يختلفون إليها أكثر مما كانوا يختلفون إلى الجامعة، وإنما كان يلزم بيته فى أيام الراحة لا يفارقه، وربما خلا إلى نفسه اليوم كله فى غرفته، إلا أن يلم به ذلك الصوت العذب فيقضى معه ساعة من نهار.

وكان يسمع أنباء المسارح ومعاهد الموسيقى واللهو، وكانت نفسه ربما نازعته إلى بعض هذه المسارح ليسمع هذه القصة أو تلك، ولكنه كان يردّ نفسه فى يسر إلى القناعة والرضا. وكيف السبيل إلى غير ذلك وهو لا يستطيع أن يذهب وحده إلى حيث يريد، ولا يستطيع أن يدعو غيره إلى مرافقته، ولا يريد أن يكلف غيره من الناس عناء مرافقته من جهة وتحمُّل ما تقتضيه هذه المرافقة من النفقات من جهة أخرى، ولم تكن ذكرى أبى العلاء

تفارقه فى لحظة من لحظات اليقظة إلا أن يشغل عنها بالاستماع إلى الدرس أو إلى القراءة. كان يرى نفسه مستطيعاً بغيره دائماً، ويحتمل فى سبيل ذلك من غيره هذا الذى يتيح له الاستطاعة ألواناً من المشقة وفنوناً من الأذى بدون أن ينكرمنها شيئاً، فهو مكره على احتمالها إكراهاً، وهو مخير بين أن يقبل ما يكره من غيره من الذين كانوا يعينونه على ما يريد أو يرفضه فيضطر إلى العجز المطلق اضطراراً، ويضيع حياته فى باريس بل حياته كلها فى باريس أو غير باريس، وكيف السبيل له إلى أن يذهب إلى السور بون ليسمع الدروس فيها إذا لم تعنه على ذلك هذه السيدة التى لم يكن من معونتها بدّ، والتى كانت ترفق به أحياناً وتعنف به أحياناً أخرى، وربما صحبته من البيت إلى الجامعة بدون أن تلقى إليه كلمة أو يسمع لها صوتاً، وإنما كانت تعطيه ذراعها وتمضى معه صامتةً كأنما تجر متاعاً لا ينطق ولا يفكر، حتى اذا بلغت قاعة الدرس أجلسته إلى مائدة من موائدها، وانصرفت عنه إلى خارج القاعة فانتظرت حتى إذا فرغ الأستاذ من درسه أقبلت عليه

فأقامته من مجلسه، ومضت به إلى بيته، حتى إذا انتهت به إلى غرفته أدخلته فيها وأغلقت من دونه الباب، وهى تقول له فى صوت خاطف: "إلى اللقاء فى ساعة كذا من النهار".

وربما أعتذرت هذه السيدة من مهمتها بعد أن تجد له سيدة أخرى تقوم مقامها. فكانت هذه السيدة الثانية ثرثارة تؤذيه بحديثها المتصل أكثر مما كانت تلك تؤذيه بصمتها الملح.

على أن عجز الفتى لم يكن مقصوراً على ذهابه إلى الجامعة وعودته منها، وإنما كان عاماً شاملاً يمس الفتى فى أشد الأشياء لزوماً له، فهو كان يستحى من كل شئ ويكره أن يثير الضحك منه أو الرثاء له والإشفاق عليه. وكان شرطه حين سكن فى البيت الذى أقام فيه ألا يشارك أهله فى طعامهم، وإنما يخلو إلى طعامه الذى يحب أن يحمل إليه فى غرفته حين يأتى وقته، فكان الطعام يحمل إليه ويوضع بين يديه ثم يخلى بينه فيصيب منه ما يستطيع لا ما يريد. يحسن ذلك أحياناً ويخطئه أحياناً أخرى، وربما وضع بين يديه من ألوان الطعام مالا يحسن تناوله فيتركه مؤثرا العافية،

محتملا فى سبيلها ما قد يتعرض له أحياناً من ألم الجوع.

وظل الفتى على هذه الحال أشهراً، ولكن الله رفق به بعد ذلك فأتاح له من كان يهيئ له طعامه ويعلمه كيف يرضى منه حاجته.

واتخذ الفتى زىّ الأوربيين، وما أسرع ما تعلم الدخول فيه والخروج منه، إلا شيئاً واحداً لم يحسنه أعواماً طوالا، وهو هذا الرباط السخيف الذى يديره الناس حول أعناقهم ثم يعقدونه بعد ذلك من أمام عقدة يتأنقون فيها قليلًا أو كثيراً!

لم يفتح الله على صاحبنا بتعلم هذا الجزء من زيه، فكان أخوه يدير له هذا الرباط حول عنقه ما عاشا معاً فى مونبلييه.

فلما افترقا حار الفتى فى أمره، ولكن صديقه الدرعمى أخرجه من هذه الحيرة، واشترى له أربطة مهيأة لا تحتاج إلى عناء، وإنما تدار حول العنق فى يسر ويجمع بين طرفيها فى يسر أيضاً، وقد هيئت عقدتها فليس محتاجاً إلى أن يتكلف عقدها وتسويتها والتأنق القليل أو الكثير فيها، ولكنه كان مضطراً إلى ألا يفكر مطلقاً فى الملاءمة بين هذه الأربطة وبين ما كان يتخذ من ثياب. وربما

اتخذ منها رباطاً واحداً يديره حول عنقه فى كل يوم ويمضى على ذلك الأسابيع المتصلة، وربما لاحظ هذا الرفيق أو ذاك من رفاقه اختلافاً بين ثوبه ورباط عنقه، وربما أعانه صديقه الدرعمى فتقدم إليه فى أن يغير هذا الرباط واختار له ما يلائم زيه مما كان عنده من هذا السخف الذى لم يفهم له معنى قط.

وكذلك عاش الفتى عامه الأول أو أكثر هذا العام، مضطرباً فى هذه الحياة المادية المختلطة المعقدة من جميع نواحيها. وربما كان يجد بعض الألم فى ذلك، ولكنه كان يمر به مرّاً سريعاً لا يقف عنده ولا يفكر فيه إلا قليلاً. كان يعزيه عن ذلك إقباله على الدرس، وإحساسه الانتفاع به والتقدم فيه، وشعوره بأنه قد أخذ يفهم الفرنسية فى غير مشقة ولا عسر، ويقرأ كتب التاريخ والأدب والفلسفة، فلا يجد فى فهمها جهداً ولا عناء، قد انقطع لذلك انقطاعاً تاماً، فهان عليه منه ما كان صعباً، ويسر له منه ما كان عسيراً.

ولم تكن حياته العقلية أقل تعقيداً والتواء من حياته المادية، فلم يكد يختلف إلى دروس التاريخ والأدب فى السوربون حتى

أحس أنه لم يكن قد هيئ لها، وأنه لا يفهمها ولا يسيغها كما كان ينبغى أن تفهم وتساغ، وأن درسه الطويل فى الأزهر وفى الجامعة لم يهيئه للانتفاع بهذه الدروس.

وكانت آماله عِراضاً، فكان ينبغى أن يتخذ إليها أسبابها، وأول هذه الأسباب أن يعد نفسه لفهم الدروس التى تلقى فى الجامعة، وسبيل هذا الإعداد أن يقرأ فى أقصر وقت ممكن ما كان التلاميذ الفرنسيون ينفقون الأعوام الطوال فى درسه بمدارسهم الثانوية. فليس له بد إذن من أن يكون تلميذاً ثانوياً إذا أوى إلى بيته، وطالباً جامعياً إذا اختلف إلى دروس السوربون.

وما أسرع ما نظر فى برنامج المدارس الثانوية الفرنسية، واستخلص منه ما يحتاج إليه، وأزمع أن يدرس منه التاريخ والجغرافيا والفلسفة، وهذه الخلاصات الموجزة التى كانت تلقى إلى التلاميذ عن الآداب الأجنبية الأوربية قديمها وحديثها. قد أقبل على ذلك كله فى عزم لا يعرف الضعف، وتصميم لا يعرف التردد ولا الفتور. واستطاع فى وقت قصير أن يحصل من هذا كله ما يحصله

التلميذ الذى كان يتقدم إلى الشهادة الثانوية مطمئناً إلى أن الممتحنين لن يردوه عن هذه الشهادة خزيان أسفاً.

واستقامت له دروسه فى السوربون فجعل يفهمها ويسيغها كما كان يفهمها ويسيغها زملاؤه الفرنسيون. واختار لنفسه أستاذا من أساتذة المدارس الثانوية يعلمه اللغة الفرنسية تعليما منظما، فلم يكن يكفيه أن يفهم إذا سمع، وأن يفهم الناس عنه إذا تحدث إليهم، وإنما كان يجب عليه أن يحسن العلم بحقائق هذه اللغة ودقائقها وأن يكتبها كتابة لا تنبو عمن يقرؤها.

وكان يقدر أن الأساتذة فى السوربون، سيكلفونه بعض الواجبات المكتوبة، كما كانوا يكلفون غيره من الطلاب. فلم يكن له بدّ إذن من أن يتهيأ لتحرير هذه الواجبات حين تطلب إليه على وجه لا يعرضه للسخرية والازدراء. وما أكثر ما كان الأساتذة يسخرون من طلابهم إذا كتبوا لهم الواجبات فقصروا فى بعض نواحيها! وكان الأساتذة يقرؤون بعض هذه الواجبات، يختارون من بينها للقراءة أشدها تعرضا للنقد، ثم يأخذون فى هذا النقد على

نـحو لاذع ممض يحرضون به الطلاب على أن يحسنوا العناية حين يـكتبـون. وكـانـت سـخريتهم بالمقصرين تضحك الزملاء وتخرجهم أحياناً عن أطوارهم.

فـكـره الفتى أن يتعرّض لبعض هذه السخرية، ولكنه تعرض ذات يوم لشرّ منها. كلفه أستاذ تاريخ الثورة الفرنسية فيمن كلف من زمـلائـه كتابة موضوع عن الـحياة الـحـزبية فـى فرنسا بعد سقوط نـابـلـيـون، فأقبل على هذا الموضوع فدرسه كما استطاع فى الكتب التـى نبـه إليها الأستاذ، وفكر فيه كما استطاع أيضاً. ثم كتب عنه ما أتيـح لـه أن يـكتب، وقدمه إلى الأستاذ فى اليوم الموعود. وجاء يوم الـنـقـد فـاسـتـعـرض الاستاذ ما قُدّم إليه من الواجبات ناقداً ساخراً مـنـدّداً متندراً موبخاً بعض الطلاب أحياناً، حتى إذا ذكر اسم الفتى لـم يـزد عـلـى أن ألـقـى إليـه واجبه معقباً بهذه الجملة المرة التى لم ينسها قط : "سطحى لا يستحق النقد".

وكـان لهذه الكلمة وقع لاذع فى نفس الفتى أمضّه بقية يومه، وأقـضّ مـضـجـعـه حيـن أقبل الليل، وأشعره بأنه لم يتهيأ بعد كما

ينبغى ليكون طالباً فى السوربون، فألحّ فى درس الفرنسية، وكلف نفسه فى هذا الدرس من الجهد الثقيل والعناء المتصل ما كاد يصرفه عن غيره من الدروس. وأعرض عن المشاركة فى كتابة الواجبات حتى تتم له أداة هذه الكتابة وهى اللغة الفرنسية.

وبينما كان الفتى يُمتحن بأثقال هذه الحياة المادية والعقلية العسيرة ، مجاهداً ما استطاع الجهاد، مروّعاً بين حين وحين بهذا اليأس الذى كان يتراءى له من وقت إلى وقت فيشقيه ويضنيه، فتح له باب من أبواب الأمل لم يكن يقدّر أنه سيفتح له فى يوم من الأيام. ألمت علة طارئة بصاحبة ذلك الصوت العذب الذى كان نعيمه الوحيد فى حياته الشاقة المظلمة، فأقبل يعودها وجلس يتحدث إليها، ثم لم يدر كيف التوى به الحديث، ولكنه سمع نفسه يلقى إليها فى صوت أنكره هو قبل أن تنكره هى : أنه يحبها.

ثم سمعها تجيبه بأنها هى لاتحبه.

قال : وأى بأس بذلك ؟

إنه لا يريد لحبه صدّى ولا جواباً وإنما يحبها وحسب.

فلم تجبه، وغيّرت مجرى الحديث، وانصرف عنها بعد ساعة، وقد استقر فىَ نفسه أن حياته ستسلك منذ ذلك اليوم طريقاً جديدة.

وليس من شك فى أَن نفسه كانت قد تعلقت بذلك الصوت العذب ثم بصاحبته منذ وقت طويل..... وإلا فما جزعه حين اضطر إلى العودة إلى مصر ؟ وما ابتهاجه بهذه الرسائل التى كانت تصل إليه ؟ ..... وما شوقه العنيف إلى العودة إلى فرنسا ليسمع فيها ذلك الصوت ؟..... وما خروجه عن طوره حين وجد الرسالتين اللتين كانتا تنتظرانه فى نابولى ؟..... وما إلحاحه على صاحبه الدرعمى فى أن يقرأ عليه هاتين الرسالتين مرة ومرة حتى أمله ؟..... ثم ما حرصه على أن يسمع هذا الصوت فى باريس ؟.....وما نزوله فى بيته ذاك الذى كان يسمع فيه هذا الصوت يتردد فىَ كل ساعة من ساعات النهار، ويلقى فيه صاحبه الصوت حين يريد لقاء ها دون أن يتكلف لذلك جهداً أو سعياً أو انتظاراً؟ وما سعادته بأنه كان يقيم فى هذا البيت غير بعيد من ذلك الشخص الذى كان يلقى عليه تحية

المساء، حين يتقدم الليل ويأوى أهل البيت إلى مضاجعهم ويقرأ عليه بين ذلك ما شاء الله من آيات الأدب الفرنسى ؟

ولكن حبه كان يستحى حتى من نفسه فينكرها، وكان الفتى يخفى شعوره ذاك فى أبعد ما يمكن أن ستقر من أعماق ضميره، ويكره أن يتحدث به إلى نفسه، وقد استيقن أنه لم يخلق لمثل هذا الشعور وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له..... وأين هو من الحب؟ وأين الحب منه؟

إنما كتب عليه أن يعيش كما عاش مثله الأعلى ذلك الذى وقف حياته منذ قرون طوال فى دار من دور المعرة على الدرس ممعنا فيه، غير معنى إلا به، محرماً على نفسه ما أباح الله للناس من طيبات الحياة.

كان الفتى يطوى نفسه على شعوره ذاك يائساً منه ومن عواقبه، راضياً بما يتاح له من سماع ذلك الصوت ومن الحديث إلى صاحبته حين يتاح له الحديث إليها، واثقاً بأن هذا أقصى ما يمكن أن يساق إليه من النعيم..... غير طامع فى أكثر منه ..... وكان واجداً

على الحياة والظروف لأنها تحول بينه وبين أكثر منه.

ولكن العلة الطارئة التى ألمت بصاحبته، والصوت العذب الذي أدركه الضعف وشاع فيه الفتور، والإشفاق من الألم والجهد، على ما كان يكره له أن يحس الألم أو يحمل ثقل الجهد، كل ذلك ملك عليه أمره، وملأ عليه قلبه، وأنساه تحفظه وتحرجه، وأجرى على لسانه تلك الكلمة التى أنكرها. وليس غريباً بعد ذلك أنه لم يجد حزناً ولا شقاء ولم يحس لوعة ولا ألماً حين بلغ مسمعه الرد على كلمته تلك موئسا مقنطا. فهو لم يكن ينتظر إلا اليأس والقنوط، قد وطن نفسه عليهما وعزّى نفسه عنهما بما كان يمعن فيه من الدرس والتحصيل.

وهو قد انصرف عن صاحبته فى ذلك اليوم راضياً عن نفسه ساخطاً عليها.

راضياً عنها لأنها قالت ما لم يكن بدّ من أن يقال.

ساخطاً عليها لأنها عرضته بهذه الكلمة لشر عظيم، فهى قد عرضته لإشفاق تلك الفتاة عليه ورثائها له وضيقها به. ومن يدرى

لعلها تريد أن تصرفه عنها صرفاً، وأن تلقى بينها وبينه حجابا يقطع تلك الأسباب العذاب التى كانت تتيح لهما اللقاء والاستمتاع العقلى والشعورى بما كانا يقرأن معاً من آيات الأدب الفرنسى.

ومن يدرى لعل هذه الكلمة التى ألقاها فى غير تدبّر وعن غير إرادة أن ترده إلى تلك الظلمة المظلمة التى ظن أنه قد خرج منها، وأن تضطره فى يوم قريب أو بعيد إلى أن يترك ذلك البيت ويلتمس له مسكناً آخر لا يسمع فيه ذلك الصوت، ولا يلقى فيه ذلك الشخص، ولا يجد فيه شعور الرضا والنعيم. وإنما يجد فيه شعوراً آخر كله سخط مرّ وحزن ممضّ وألم مفسد للحياة.

عاش صاحبنا بين هذا السخط وذلك الرضا أياماً لم يكد ينتفع فيها بقراءة أو درس، ولم يكد يذوق فيها للحياة طعماً.

ولكنه يلقى صاحبته بعد أن انجلت عنها غمرة العلة، فإذا هى كعهده بها لم تتغير، لم تزدد إقبالاً عليه، ولم يجد منها إعراضاً عنه ولا نفوراً منه، وإنما هى تلقاه كما تعودت أن تلقاه رفيقة به عطوفاً عليه، وتقرأ له كما تعوّدت أن تقرأ له، وتبين له ما يُشكِل عليه فى

أثناء القراءة ، كما تعوّدت أن تفعل من قبل، فيردّه ذلك إلى شيء من الأمن، ثم إلى شيء من الدّعة وراحة البال. وتنقضي أيام وإذا ذلك الشعور الخفي العميق الذي ظهر فجأة في ساعة من الساعات ثم استحيا وعاد إلى مستقره ذاك من أعماق الضمير، يظهر مرة أخرى، ولكن في تحفظ وتردّد وأنلة، لا يتحدث إلى الفتاة بشيء، ولا يتحدث إلى الفتى بشيء حين يلقاها، وإنما يكمن في مستقره من أعماق الضمير.

حتى إذا تقدم الليل وخلا صاحبنا إلى نفسه، وهمّ أن يستقبل النوم خرج ذلك الشعور من مكمنه، وزاد النوم عن صاحبه، وجعل يسامره حتى يوشك الصبح أن يسفر، ثم يعود إلى مكمنه ذاك، ويسلم الفتى إلى نوم قصير.

ولم تلبث آثار هذا الأرق المتصل أن تظهر، وأن يلحظها أهل البيت، وتلحظها معهم ذات الصوت العذب، وهم يسألونه عن أمره فيلتوى بالجواب، وهم يريدون أن يعرضوه على الطبيب فلا يستجيب لما يريدون، وإنما يزعم لهم أن ليس به بأس.

ومـا يـزال هـذا شـأنـه حتـى يظهر عليه بعض الضرّ. وتسأله الـفتـلـة ذات يوم —وقد خلت إليه تقرأ عليه بعض ما كانا يقرأ ان— فيـريد أن يلتوى بالجواب، فتلحّ عليه، وإذا هو ينبئها مريداً أو غير مريد بأمره كله.

فتسـمـع لـه، ثـم تسـكـت عـنـه، ثم تأخذ فى القراءة حتى إذا أتمتها وهمت أن تنصرف قالت له فى رفق : وإذن فماذا تريد ؟

قال الفتى : لا أريد شيئاً.

قـالـت : فإني قد فكرت فيما انبأتنى به، واطلت فيه التفكير، ولـم أنتـه بـعـد إلـى شيـئ وقـد أوشك الصيف أن يظلنا وسنفترق، فـاصبر حتى إذا كان افترقنا فستتصل بيننا الرسائل كما تعودنا أن نـفـعـل. فـإذا قرأت فى بعض رسائلى أنى أدعوك إلى أن تنفق معنا بـقية الـصيف فـاعـلـم أنـى قد أجبتك إلى ما تريد. وإن لم تقرأ هذه الـدعـوة حتـى يـنـقـض الـصيف فاعلم أنها الصداقة الصادقة بينك وبينى ليس غير.

ولـم يسعد الفتى بشىء قط كما سعد بهذا الحديث. وكانت آية

سعادته أنه أطرق ولم يقل شيئاً.

وأقبل الصيف وكان الافتراق. ذهبت هى إلى قرية فى أقصى الجنوب. وأقام هو فى باريس، واتصلت بينهما الرسائل ولكنها قبل أن تفارقه كلفت زميلة لها أن تكون هى الكاتبة القارئة لرسائلهما حتى لا يطلع على هذه الرسائل زميل من زملائه.

واتصل الفراق شهراً. ولكن رسالة تصل إليه فى آخر هذا الشهر وفيها الدعوة المرتقبة إلى أن يقضى معها ومع أسرتها بقية الصيف..... وإذن فقد تحقّق أمله، أو كاد أن يتحقق، وهو يعلن إلى زملائه المصريين أنه سيترك باريس إلى حيث يقضى الصيف مع تلك الأسرة وهم يصدّونه عن ذلك مشفقين عليه.

ولكنه مصرّ على ما أراد، فيصحبه صديقه الدرعمى ذات مساء إلى حيث يصعه فى القطار، ويوصى به بعض من فيه. وينصرف عنه ويدعه وحيداً وينفق الفتى ليلا فى القطار، لا يدرى أقصر أم طال، لأنه لم يفكر فى أثنائه إلا فى هذا اللقاء الذى سيكون حين يرتفع الضحى ويبلغ القطار غايته، وإذا الصوت العذب يدعو

B.A. Honours

صـاحبـنـا فـى رفـق وعطف وحنان، ويشعر بأنه منذ اليوم سيخلق خلقاً جديداً.....

السلطان الحائر

توفيق الحكيم

الفصل الأول

((ساحة بالمدينة، فى عصر سلاطين المماليك. الفجر يكاد يبوزغ، وقد خيم السكون .. عمود شد إليه محكوم عليه بالإعدام، وجلاده على مقربة منه يجاهد فى مقاومة النعاس))

المحكوم عليه : ((متأملا جلاده)) تنعس؟!... عبعَاتنعس... ناعمًا!... هنئًا !... لأنك لا تنتظر ما يكدر صفوك!...

الجلاد : صه!...

المحكوم عليه : وأخيرًا؟ ...متى؟...

الجلاد : قلت لك صه!...

المحكوم عليه : ((متوسلا)) قل لى بحقك متى؟... متى؟ ...

الجلاد : متى تكف أنت عن إزعاجى؟!...

المحكوم عليه :آسف!... ولكنه أمر يهمنى بوجه خاص!... متى يتم هذا الحادث ...السار بالنسبة إليك!...

الجلاد : عند الفجر... قلت لك هذا أكثر من عشر مرات ...عند الفجر!... أنفذ فيك الحكم!... فهمت الآن؟ ...دعنى إدن أنعم بالسلام لحظة!...

المحكوم عليه : الفجر ؟ !... إنه لم يعبدًا !... أيس كذلك أيها الجلاد؟ !...

الجلاد : لست أعرف...

المحكوم عليه : لا تعرف ؟ !...

الجلاد : المؤذن هو الذى يعرف ... متى صعد إلى مئذنة هذا المسجد وأذن لصلاة الفجر، نهضت أنا إليك بسيفى وأطحت برأسك... تلك هى الأوامر !... استرحت الآن؟!...

المحكوم عليه : بدون محاكمة؟!...إنى لم أقدم بعد إلى المحاكمة...ولم أمثل بعد بين يدى القاضى!!...

الجلاد : ليس هذا من شأنى ...

المحكوم عيه : حقًا !... ليس من شأنك سوى إعدامى...

الجلاد : عند الفجر ... تنفيذًا لأمر السلطان !...

المحكوم عيه : لأية جريمة ؟!...

الجلاد : لاشأن لى!...

المحكوم عيه : لأنى قلت...

الجلاد : صه !... صه !... أغلق فمك . لقد أمرت بقطع رقبتك فى الحال لو نبست بحرف عن جريمتك...

المحكوم عيه : لاتنزعج !...أغلقت فمى!...

الجلاد : هذا خير ما تفعل !... أن تغلق فمك وأن تتركنى أهنأ بنومى !...إنه من مصلحتك أن ستمتع بنوم هادئ هنىء !...

المحكوم عيه : من مصلحتى ؟!...

الجلاد : بالتأكيد ... من مصلحتك أن أكون فى راحة تامة وصحة جيدة جسما ونفسًا ؛ لأنى حين أكون متعبًا ، ضيق الصدر ، متو تر الأعصاب بالرعشة فإنى أؤدى عملى أداءً سيئًا ...

المحكوم عيه : وما شأنى بعملك ؟!...

الجلاد : يا أحمق !... عملى متصل برقبتك !... إن سوء الأداء معناه أن رقبتك لن تقطع قطعًا حسنًا ... لأن القطع الحسن يحتاج إلى يد ثابتة ونفس هادئة، حتى يطاح الرأس بضربة واحدة، لاتدع لك وقتًا للإحساس بالألم... فهمت الآن ؟!...

المحكوم عيه : حقًا ...هذا صحيح !...

الجلاد : أرأيت ؟ ... واقتنعت ؟ ...إنه من اللازم لك أن تهيئ لى

الراحة ، وأن تدخل على قلبى البهجة ،وأن ترفع من روحى المنوية !...

لمحكوم عيه : روحك المعنوية ؟ !... أنت ؟ !...

الجلاد : بالطبع ... ولو كنت أنا فى مكانك...

المحكوم عيه : اللهم اسمع منه !... ليتك كنت فى مكانى !...

الجلاد : ماذا تقول؟ !...

المحكوم عيه : استمرا !... ماذا كنت تفعل ، لو نلت الشرق والغبطة بأن تكون فى مكانى ؟!...

الجلاد : أقول لك ماذا كنت أفعل : هل معك نقود؟...

المحكوم عيه : آه... النقود !... نعم ... نعم... نعم !... النقود !... فكرة صائبة !... أما النقود يا صاحبى فحدث عنها ولا حرج !... المدينة كلها تعرف ـ وأنت منهم ـ أنى من أغنياء التجار و أثرياء النخاسين !...

الجلاد : لا ...إنك أسأت الفهم... ليست الرشوة !... من المستحيل أن ترشونى !...لا بفضل أمانتى ونزاهتى ...بل لأنى ـ بكل صراحة لن أستطيع إنقاذك...كل ما أردت هو تلبى دعوتك إلى الشراب إذا دعوتنى ... إن أرفض دعوتك ... انظر !... ها هنا خمار على مرمى البصر منك ... حانه مفتوح طول، لأن له زبائن ممن يزورون تلك العاهرة التى تقطن الم المقابل ...

المحكوم عيه : الشراب ؟ ... فقط ؟ !...

الجلاد : فقط...

المحكوم عليه: عندى فكرة أظرف وألطف !...فلنصعد معًا ـ أنا وأنت ـ إلى تلك الجميلة !...إني أعرفها ...فإذا صرنا إليها قضينا عندها ليلة رائعة لن تحسب من العمر ... ليلة تملأ قلبك بالبهجة والمرح، وترفع روحك المعنوية !... ما قولك ؟...

الجلاد : لا يا سيدى الكريم !...

المحكوم عليه: تقبل دعوتى إلى الشراب ، وترفض دعوتى إلى مجلس شراب وأنس ، وحسن وطرب؟ !...

الجلاد : فى ذلك المنزل ؟ !... لايا عزيزى المحكوم عليه !... إنى أفضل أن تبقى كا أنت ... مقيدًا باً غلالك حتى الفجر!...

المحكوم عليه: يا للأسف !...أنت لاتثق بى !...ولو وعدتك بأنى قبيل أذان الفجر أعود إلى مكانى من الأغلال كا كنت ؟...

الجلاد : عصفور يعود إلى الشبكة كا كان !؟...

المحكوم عليه: نعم ... وإنى لأقسم لك بشرفى !...

الجلاد : شرفك ؟!... ياله من قسم !...

المحكوم عليه: أنت لا تصدقنى...

الجلاد : أصدقك ما دمت فى مكانك هذا والقيد فى يديك !...

المحكوم عليه: وكيف أستطيع إذن أن أدعوك إلى الشراب؟!...

الجلاد : الأمر بسيط ..أذهب أنا إلى الحان ؟ وأطلب إلى الخمّار أن يجيء بقدحين من أجود خمره، فإذا جاء بهما شربنا ونحن فى مكاننا هذا !... ما قولك ؟!...

المحكوم عليه: لكن...

الجلاد : اتفقنا !... أذب أنا ولا حاجة بك أنت إلى تكلف العناء و المشقة !... لحظة واحدة ... بعد ذلك !...

((يتجه الجلاد إلى حانة فى طرف الساحة، ويطرق بابها، فيخرج إليه الخمار فيهمس فى أذنه كلاما، ثم يعود إلى مكانه...))

الجلاد : ((للمحكوم عليه)) ثم المراد وقضينا المطلوب.. وسترى يا عزيزى المحكوم عليه النتيجة السارة عما قريب !...

المحكوم عليه: أى نتيجة سارة ؟!...

الجلاد : عملى المتقن... فأنا إذاشربت أتقنت العمل وإذا لم أشرب قل على عملى السلام !... أذكر لك على سبيل المثال ما حدث ذات يوم : كلّفت بإعدام شخص ، ولم أكن قد شربت يومئذ

شيئا ...فهل تدرى ماذا صنعت؟ ... ضربت عنق ذلك المسكين ضربة عنيقة هو جاء ، أطاحت برأسه وأطارته فى الهواء ، فسقط بعيدًا ،لافى سلتى أنا هذه،بل فى سلة أخرى هنالك... سلة الإسكاف المجاور للحان ... ويعلم الله كم بذلنا من الجهد والعناء ، لنخرج ذلك الرأس الضائع من بين أكداس الأحذية وأكوام النعال !...

المحكوم عليه: سلة الإسكاف !... بئس القرار !... أستلفك بالله أن تبعد رأسى عن هذا المصير !...

الجلاد : لا تخف !... الأمر بالنسبة إليك مختلف !... الرأس الآخر كان لرجل بخيل منتن فى البخل !...

((تظهر الخمار خارجا من حانه، يحمل قد حين))

الخمار : ((متجها إلى المحكوم عليه)) هذا بالطبع لك أنت ... رغبتك الأخيرة !...

المحكوم عليه: بل للجلا !... رغبته العزيزة !...

الجلاد : ((للخمار)) لأدخل على قلبه السكينة والارتياح!...

الخمار : وممن أتقاضى حقى ؟...

المحكوم عليه: منى أنا طبعًا ...لأدخل على قلبه الغبطة والبهجة !...

الجلاد : إنه لمن الواجب عليّ أن أقبل دعوته الحارة !...

المحكوم عليه: وإنه لمن الواجب عليّ أن أرفع روحه المعنوية !...

الخمار : يا لكما من صديقين حميمين !...

الجلاد : إن المحبة بيننا متبادلة !...

المحكوم عليه: إلى أن يطلع الفجر !...

الجلاد : دعك الآن من الفجر ...إنه لم يزل بعيدًا !... هلم بنا نقرع الكؤوس !...

((الجلاد يتناول القدحين ، ويقرع أحدهما بالآخر، ثم يرفع قدحا... فى نخب المحكوم عليه ...))

فى صحتك !...

المحكوم عليه: لك الشكر !...

الجلاد : ((بعد أن يجرع قدحه يدنى القدح الآخر من فم المحكوم عليه)) الآن دورك أيها العزيز !....

المحكوم عليه: ((يجرع جرعة ثم يسعل)) كفى !... أنت الباقى عنى !...

الجلاد :أهذه رغبتك؟...

المحكوم عليه: الأحيرة !...

الجلاد : ((يرفع القدح الثانى)) أرفع كأسى إذن فى نخب ...

السلطان الحائر)

المحكوم عليه: عملك المتقن !...

الجلاد : إن شاء الله !... وكذلك فى نخب كرمك ولطفك أيها الصديق المحكوم عليه !...

الخمار : ((وهو يتلقى القدحين الفارغين من الجلاد)) ماذا صنع هذا النخاس الكهل؟... ما جريرته؟... كلنا نعرفه فى مدينة ... ما هو بسفاح ورأس السارق!...

المحكوم عليه: وبرغم ذلك فإن رأسى سيطاح به عند الفجر، كما يطاح برأس السفاح ورأس السارق!...

الخمار : لماذا؟ ...لأية جريمة؟...

المحكوم عليه: لالشئ إلالأنى قلت...

الجلاد : وأنت أيها الخمار قد أخذت قد حيك فامض لشأنك!...

الخمار : ونقودى؟...

الجلاد : هو الذى دعانى ... واللئيم من يرفض الدعوة!...

المحكوم عليه : حقًا ...دعوته وتفضل هو بالقبول ... نقودك يا صاحب الحان هنا فى كيسر بمطقتى... تقدم وخذ ماتريد!...

اسمع لى أن أتقدم أنا عنه ...((يتقدم ويأخذ من كيس

المحكوم عليه نقودًا ويدفع للخمار)) خذ حقك !... وقد زدناه... لتعلم أننا كرماء!...

((الخمار يتناول حقه، ويعود إلى حانه، ويأخذ الجلاد فى الترنم بالغناء الخافت...))

المحكوم عليه: ((قلقًا))والآن...

الجلاد : الآن نشرع فى الغناء والطرب!... هل تدرى يا عزيزى المحكوم عليه أنى من المغرمين بالغناء الحسن،المفتونين برائع النغم، الكلفين بجيد النظم والإنشاد؟... إن هذا يملأ القلب هنائة وحبورًا ، وفرحة بالحياة وسرورًا!... غنّ لى شيئًا !...

المحكوم عليه: أغنى ؟!...

الجلاد : نعم !... ولِمَ لا؟... ما الذى يمنعك؟... حنجرتك ـ ولله الحمد ـ حرة طليقة ...فما عليك إلا أن ترفع عقيرتك بالغناء، فيخرج النغم الحلو يشنف الآذان... هيا...غن!... أطربنى؟...

المحكوم عليه: ماشاء الله !... اللهم فاشهد!...

الجلاد : هلم !... غن ...أسمعنى...

المحكوم عليه: أو ترى حقاً أن لى الآن المزاج الذى يصلح للغناء؟!...

الجلاد : أولم تعدنى منذ قليل بإدخال البهجة على نفسى، وكشف الانقباض عن صدرى؟...

المحكوم عليه: أنت الذى يشعر بالانقباض؟!...

الجلاد : نعم... وأرجوك أن تزيل انقباضى!... اغمرنى فى المرح غمرًا!...أمتعنى بنفحات من الأناشيد والأغانى...أغرقنى فى الطهرب بحلو الأنغام ورائع الألحان !...اسمع!... تذكوت شيئًا ...إنى أحفظ أغنية نظمتها بنفسى فى ليلة من ليالى الشهاد والشجن!...

المحكوم عليه: غنها أنت إذن !...

الجلاد : ليس لى الصوت الجميل !...

المحكوم عليه: ومن قال لك : إن صوتى ـ أنا الآخر ـ جميل؟!...كل أصوات الآخرين عندى جميلة ...لأنى لا أصغى إليها ...ولاسيما إذا كنت ثملا!... كل م يهمنى هو أن يحيط بى الغماء من كل جانب...الشعور بالجو المشبع بالطرب من حولى

يرحى أعصابى... وأحيانًا يحلو لى أن أغنى... أنا نفسى ..ولكن لا بد لذلك من شرط: هو أن أجد من يسمعنى!... وإذا وجد الامع فحذار حذار ألا يبدى الإعجوب الاستحسان ... وإلا ... وإلا فإنى أستحى وأخجل ويرتج علىّ ،ثم أغضب غضبًا شديدا ...الآن وقد نبهتك إلى الشرط. فهل أغنى ؟...

المحكوم عليه: غجنّ!...

الجلاد : وهل ستعجب بى وتستحسن؟...

المحكوم عليه: نعم!...

الجلاد : وعد أكيد ؟...

المحكوم عليه: أكيد...

الجلاد : إذن ...أغنى لك تلك الأغنية الرقيقة... أتصغى؟...

المحكوم عليه: أصغى وأستحسن ...

الجلاد :الا ستحسان يأتى فى النهاية ... أما الآن فالمطلوب منك هو الإصغاء فقط...

المحكوم عليه: أصغى فقط...

الجلاد : حسن...هل أنت مستعد؟...

المحكوم عليه: لماذا ؟ننن ألست أنت الذى سيغنى؟...

الجلاد :بل...ولكن من الضرورى أن تكون أنت مستعدًا للاستماع

المحكوم عليه: وهل ستطيع شيئًا آخر؟!... إنك قد تركت لى أذنى حرة طليقة ... من أجل ذلك بلا ريب!...

الجلاد : إذن فلنبدأ !... هذه الأغنية الرقيقة وعنوانها ((الزهرة والبستانى))...أنا الذى نظمتها ... نعم مظمتها بنفسى!..

المحكوم عليه: أعرف ذلك...

الجلاد :عجبًا !... من قال لك؟...

المحكوم عليه: أنت بفمك منذ لحظة!...

الجلاد : حقًا ...حقًا... والآن هل تريد أن أبدأ؟...

المحكوم عليه: إنى أستمع...

الجلاد :يجب أن يكون الاستماع بغاية الانتباه!...

المحكوم عليه: بغاية الانتباه !...

الجلاد : حذار أن تخجلنى بشرود ذهنك ، أو عدم اهتمامك؟...

المحكوم عليه: إنى مهتم!...

الجلاد : هل أنت مستعد؟....

المحكوم عليه: نعم!...

الجلاد : لست أراك متحمسًا غاية التحمس!...

المحكوم عليه: وكيف أفعل ذلك؟...

الجلاد :أريدأن تلتهب بالحماسة التهابًا ... اذكر لى أنك تلح وتلح فى فى أن تستمع إلى غنائى!...

المحكوم عليه: ألح وألح...

الجلاد : إنك تقولها بفتور وبرود!...

المحكوم عليه: برود؟!...

الجلاد : نعم ...أريد أن يكون الإخلاص فى صوتك!...

المحكوم عليه: الإخلاص؟!...

الجلاد : معم ...إنه لا يبدو فى نبرات صوتك؛ لأن النبرات والخلجات

تنم عن حقيقة المشاعر... وصوتك فاتر باردا!...

المحكوم عليه: وأخيرًا ؟!... ستغنى؟... أولن تغنى؟!...

الجلاد : لن أغنى...

المحكوم عليه: الحمدلله!...

الجلاد : تحمد الله على غنائى؟!...

المحكوم عليه: بل أحمد الله دائمًا على غنائد أو عدم غنائك على السواء!..

ولا أحسب هنالك من يعترض على حمد الله فى كل الأحوا!..

الجلاد : إنك فى قرارة نفسك تتمنى ألا أغنى!...

المحكوم عليه: قرارة نفسى ؟!... وهل يعلم السرائر إلا الله!؟...

الجلاد : إذن تريد أن أغنى؟...

المحكوم عليه: إذا شئت!...

الجلاد : شأغنى...

المحكوم عليه: غن...

الجلاد : لى الآن شرط. توسل إلىّ ـ أولًا ـ أن أغنى...قدم إلىّ توسلاتك؟...

المحكوم عليه:أتوسل إليك...

الجلاد : قلها برقة واستعطاف!...

المحكوم عليه: ـرجوك... أتوسل إليك ... بربك ورب الخلق أجمعين!...

أسأل الله الواحد القهار،القوى الجبار،أن يلين قلبك القاسى، فتصغى إلى التماسى وتمن على وتتفضل بالغناء!...

الجلاد :مة أخرى!...

المحكوم عليه: ماذا؟...

الجلاد : كرر هذا التوسل والاتماس!...

المحكوم عليه: سبحان الله !... ارحمنى!... إنك أهلكتنى بكل هذا التمنع والدلال!...غن إذا كنت تريد تغنى، وإلا فاتركنى بربك لحالى وما أنا فيه!...

الجلاد : غضبت؟!... لست أحب أن تغضب !... سأغنى لأهدئ ثورة نفسك، وأزيل كدر صفوك !...هأنذا أبدأ!...

((يسعل ، ثم يترنم بصوت خافت تمهيدًا للغناء))

المحكوم عليه: أخيرًا!...

الجلاد : ((يقف فجأة)) إذا كنت تفضل ألا أغنى فقلها صراحة!...

المحكوم عليه: يا إله السماوات !... إنه سيعود!...

الجلاد : أنفَد صبراك؟...

المحكوم عليه: وأى نفاد!...

الجلاد :أأنا ـعذاب!...

المحكوم عليه: وأى عذاب!...

الجلاد : صبرًا جميلا يا عزيزى !... صبرًا جميلًا!...

المحكوم عليه: إن هذا الجلاد يعدمنى إعدامًا!...

الجلاد : ماذا تقول؟...

المحكوم على: لم أعد أحتمل!...

الجلاد : لم تعد تحتمل انتظارًا...يالك من مضنى مسكين أخرقه الشوق إلى غنائى !... شأبدأ إذن !... لن أجعلك تنتظر طويلا!...هأنذا أبادر !... استمع!... هاهى ذى الأغنية الرقيقة!...

((يتنخح ويترنم، ثم يغنى بصوت الثمل السكران:.....))

يا زهرة عمرها ليلة!...

عليك السلام من المعجبين

إذا أذن الفجر غدًا تقطفين،

ويسقط عنك رداء الندى!...

وفى سلة من حطب تر قدين،

وتخفت من حولك ألحانى!...

ويبرق فى الجو نصل الردى؛

مضيئًا فى يد البستانى!...

يا زهرة عمرها ليلة!...

عليك السلام عليك السلام!...

((صمت.....))

الجلاد : لماذا أنت صامت؟!...ألاتستحسن؟!...هذا وقت الإعجاب والاستحسان!...

المحكوم عليه: أهذه أغنيتك الرقيقة يا جلاد النفس؟!...

الجلاد : من فضلك !... إنى لست جلادًا!...

المحكوم عليه: ومن تكون؟...

الجلاد : أنا بستانى....

المحكوم عليه:بستانى ؟!...

الجلاد :نعم بستانى !... أتفهم؟ .. بستانى!... ((يصيح ثملا)) أنا بـ....سـ...تا...نى!...

((تفتح نافذة فى منزل الغانية، وتطل منها الخادمة))

الخادمة: ما هذه الجلبة؟... ما هذا الضجيج والناس نيام !... مولاتى تشكو الصداع، وتريد النوم الهادئ!...

الجلاد : ((ساخرًا)) مولاتك ؟!... ((يضحك هازئًا))ملاتها!...

الخادمة : قلت لك كف عن هذا الصخب!...

الجلاد : اغربى عن وجهى يا خادم الفجور والخنا!...

الخادمة : لا تسب مولاتى!... إنها لو شائت لكان لها عشرون كناسًا من

أمثالك ، يكنسون التراب من تحت حذائها!...

الجلاد : خرست وخسئت يا قذارة القاذورات!...

((الغانية تظهر فى النگفذة خلف خادمتها))

الغانية : مذاحدث؟!...

الخادمة : هذا الجلاد النجمور ، يعربد ويقذفنا بالسباب!...

الغانية : أوَيجرؤ؟!...

الجلاد : ((مشيرًا إلى النافذة)) هاهى ذى ـ بجلالتها ـ مولاتها المشهورة !...

الغانية : بعض الاحترام أيها الرجل!...

الجلاد :((يضحك ساخرًا)) الاحترام ؟!...

الغانية : نعم... ولا ترغمنا على تعليمك كيف تحترم السيدات؟!...

الجلاد : السيدات؟!... ((يضحك)) السيدات!؟..إنهاتقول السيدات؟!... اسمعوا وتعجبوا !...

الغانية : ((لخادمتها)) انزلى إليه ولقنيه درسًا فى الأدب!...

الخادمة : ((للجلاد)) انتظرنى إذا كنت رجلا!...

((تخيفى المرأتان من النافذة...))

الجلاد : ((للمحكوم عليه وقد أفاق قليلا)) ماذاتنوى أن تفعل هذه الشيطانة ؟ ... هل تعر أنت؟... إنها لقادرة على كبيرة!... أرأيت كيف هددتنى وتوعدتنى؟...

الخادمة : ((تخرج من باب المنزل رافعة فى يدها نعلا)) تعال هنا!...

الجلاد ماذا ستفعلين بهذه النعل؟...

الخادمة : هذه النعل هى أقذر ما وجدت فى الدار وأعتق.. أتفهم؟ ولم أعثر على لإعتق منها ولاأقذر، مما يليق بوجهك القبيح غبر...

الجلاد : ها هو ذاقدح النبيذ اللذيذ قد طار من رأسى !... أسمعت كلامها المهذب النطيف أيها المحكوم عليه؟!...

المحكوم عليه: معم!...

الجلاد : ولا تنبس بحرف؟!...

المحكوم عليه: أنا؟...

الجلاد : ولاتحرك ساكنًا ؟!...

المحكوم عليه: كيف ؟!...

الجلاد : تتركها هكذا تلحق بى الإنات وأنت صامت؟!...

المحكوم عليه: وماذا تريد أن أصنع؟...

الجلاد : افعل شيئًا !... قل شيئًا على الأقل!...

المحكوم عليه: وماشأنى وهذا الموضوع؟!...

الجلاد : يا لقلة الشهامة، وسقوط الهمة!... تراها وقد رفعت فى يدها النعل كا يرفع الحسام أو الصارم الصمصام، ولاتهب, لتدافع عنى؟!...تقف هكذا مكتوف اليدين!...تتفرج بغير اكتراث !.. وتصغى بدون اهتمام إلى إها نتى وتحقترى وسبى!... ليس هذا والله من المروءة فى شئ!...

المحكوم عليه: حقًا...

الخادمة : ((تهز النعل بيدها))اسمع الرجل!...دع هذا المسكين و شأن!... واجهنى أنا إذا كانت لديك الشجاعة!... حسابك معى أنا ... لقد أسأت أدبك معنا،وعليك أن تقدم إلينا اعتذارًا وتطلب منا الصفح... وإلا فورب العزة صاحب الملكوت وواهب الجبروت...

الجلاد : ((فى رفق)) مهلا !... مهلا!...

الخادمة : تكلم !... ما جوابك؟...

الجلاد : التفاهم !...

الخادمة : تكلم!... ما جوابك؟...

الجلاد :التجاهم!...

الخادمة : اطلب الصفح أولا!...

الجلاد : إلى من أطلب الصفح؟... إليكِ أنتِ؟...

الخادمة : إلى مولاتى...

الجلاد : أين هى؟...

الغانية : ((تظهر على عتبة دارها)) ها أنذا !... أهو اعتذر؟...

الخادمة : سيفعل يا سيدتى!...

الجلاد : نعم يا سيدتى!...

الغانية : حسن ... وأنا قبلت اعتذارك!...

الجلاد : فقط يا سيدتى .. ألا يحسن أن تعود المياه إلى مجاريها؟...

الغانية : لقد عادت!...

الجلاد : أقصد عودة النبيذ إلى مجارى رأسى!...

الغانية : ماذا تعنى؟...

الجلاد : أعنى أن هناك تلفًا يحتاج إلى إصلاح... خادمتك النشيطة

أخرجت ما كان فى رأسى من نشوة، فمن ذايملأفراغ رأسى!؟

الغانية : أنا أتولى ملء رأسك !... خذمن الخمار على نفقتى ما شئت من شراب!...

الجلاد : شكرًا لكِ أيتها السيدة السخيَّة!...

((يشير الجلاد إلى الخمار الواقف بباب حانه كى يأتى إليه بقدح.....))

المحكوم عليه: ((للغانية)) ألاتعرفيننى أيتها الجميلة؟...

الغانية : بالطبع أعرفك... منذ اللحظة الأولى...أبصرتك من نافذتى

وعرجتك ، وأحزننى أن أراك فى الأغلال ولكن ...ماهى الجريمة التى ارتكبتها؟...

المحكوم عليه: لا شىء يذكر ...كل ما حدث أنى قلت...

الجلاد : ((يفطن إليه ويصيح به))حذار!... حذار!...أغلق فمك!...

المحكوم عليه: أغلقت فمى!...

الغانتة : لقد حاكموك طبعًا؟...

المحكوم عليه: لا...

الغانية : ماذاتقول ؟... ألم تحاكم؟!....

المحكوم عليه: ولم أقدم إلى محكمة...لقدأرسلت مظلمة إلى السلطان،أسأله

حقى فى أن أمثل بين يدى قاضى القضاة ...أعدل من حكم بالذمة والضمير، وأنزه من تمسك بالشرع، وأخلص حامٍ لقداسة القانون...لكن...ها هوذا لافجر يقترب، والجلاد قد تلقى الأمر بضرب رقبتى عند أذان الفجر!...

الغانية : ((متطلعة إلى السماء)) الفجر؟!... إن الفجر يكاد يبزغ... انظر إلى السماء!...

الجلاد : ((وفى يده قدح تلقاه من الخمار)) ليست السماء يا سيدتى العزيزة هى التى ستقرر ساعة هذا المحكوم عليه... ولكنها مئذنة هذا المسجد... إنى فى انتظار المؤذن!...

الغانية : المؤذن؟... إنه لا شك فى الطريق..إلى أسهر حتى الصباح أحيانًا،فأراه فى مثل هذه الساعة متجهًا إلى المسجد!...

المحكوم عليه: إذن قد حانت ساعتى!...

الغانتة : لا ...مادامت مظلمتك لم تفحص بعد!...

المحكوم عليه: هذا الجلاد لن ينتظر نتيجة المظلمة... أليس كذلك أيها الجلاد ؟...

الجلاد : لن أنتظر سوى المؤذن ...تلك هى الأوامر !...

الغانية : أوامر مَن؟... السلطان؟...

الجلاد : تقريبًا!...

المحكوم عليه: ((صائحًا)) تقريبًا؟!... ألم يكن إذن هو السلطان؟!...

الجلاد : الوزير ...وأوامر الوزير هى أوامر السلطان !...

المحكوم عليه: إنى إذن ميت لا محالة!...

الجلاد : هو ذاك ..ما إن يصعد أذان المؤذن إلى السماء،حتى تصعد روحك معه... إن هذا ليحز فى نفسى أسى، ويعتصر قلبى حزنًا، ولكن العمل هو العمل، والمهنة هى المهنة!...

الغانية : ((ملتفتة إلى الطريق)) يا للمصيبة!... ها هوذا المؤذن قد وصل!...

المحكوم عليه: قضى الأمر!...

((المؤذن يظهر.....))

الجلاد : أسرع أيها المؤذن ..نحن فى انتظارك!...

المؤذن: فى انتظارى؟...لماذا؟!...

الجلاد : لتؤذن الفجر!...

المؤذن: أتريد الصلاة؟...

الجلاد : أريد أن أقوم بعملى!...

المؤذن: وما شأنى معملِك ؟...

الجلاد :عندما يصعد صوتك إلى السماء تصعد معه روح هذاالرجل!..

المؤذن: أعوذ بالله!...

الجلاد : تلك هى الأوامر!...

المؤذن: حياة هذا الرجل متعلقة بحبال صوتى!؟...

الجلاد : نعم!...

المؤذن: لا حول ولاقوة إلابالله!...

الجلاد : بادر أيها المؤذن إلى عملك حتى أقوم بعملى!...

الغانية :وفيم العجلةأيها الجلاد اللطيف ؟!... صوت المؤذن قد أثر فيه برد الليل ، وهو محتاج إلى شراب ساخن ... اصعد إلى دارى أيها المؤذن !... شأعد لك ما يصلح صوتك...

الجلاد : والفجر؟...

الغانية : الفجر بخير، والمؤذن أدرى بوقته...

الجلاد : وعملى؟...

الغانية : عملك بخير ، ما دام المؤذن لم يؤذن بعد للفجر!...

الجلاد : أتوافق أيها المؤذن؟...

الغانية : إنه موافق على دعوتى الصغيرة لوقت قصير، فهو من خيرة معارفى فى الحى!...

الجلاد : والمصلون فى المسجد؟...

المؤذن: ليس فى المسجد غير رجلين... أحدهما غريب عن المدينة، قد اتخذ المسجد مأوى، والآخر متسول قد اعتصم به من برد الليل... والكل يغط الآن فى نوم عميق، وقلما استمع أحد إلى أذان الفجر فى هذا الشتاء!... ولا ينهض منهم إلا من ركلته بقدمى ليستيقظ ويؤدى الفريضة!...

الغانية :وأهل الحى أغلبهم من المترفين، وأكثرهم نؤوم الضحى!...

الجلاد : قصد كا أن الفجر لن يؤذن اليوم ؟!...

الغانية : قصدنا التأنى، وفى التأنى السلامة .وفى العجلة اندامة!...لا تشغل بالك !... إن الفجر سيؤذن له فى حينه، وأنت على كل حال فى مأمن ، ولا تبعة عليك ... المؤذن وحده هو

المسئول

... هلم بنا أيها المؤذن !... فنجان من القهوة فيه لصوتك شفاء وصفاء!...

المؤذن: لابأس بوقت قصير، وفنجان صغير...

((الغانية تدخل دارها بالمؤذن...))

الجلاد : ((للمحكوم عليه)) أرأيت ؟!... بدلا من أن يصعد إلى المئذنة، ضعد إلى بيت الـ.... محترمة!!!...هذاهو المؤذن!...

للمحكوم عليه: رجل شهم !... يخاطر بكل شيء !... أما أنت ؟!... أنت الذى

لن يوجه إليه عتب ولالوم... أنت الآمن المغطى بعذرك... الخالى من التبعة ،المالك لحجتك ، تثور هكذا وتهتاج و ترتاع ؟!...هدىء من روعك قليلاً يا صديقى!... تجمل بالأناة

والصبر !... وتوكل على الله !... اسمع!... لدى فكرة!...طيبة

نيرة...فيها لك تهدئة الخاطر،ومتعة النفس، وانشراح

الصدر

!... غن لى أغنيتك الرقيقة مرة أخرى!... بصوتك العذب الرخيم، وأقسم لك أنى سأستمع إليها بقلب ينتفض حماسة وإعجابا ... هلم !... غن !...إنى

((السلطان احائر))

مصغ إليك بكل جوارحى!...

الجلاد : لم تعد بى رغبة!...

المحكوم عليه: لماذا؟... ما الذى كدر صفوك ؟... ألأنك لم تطح برأسى؟..

الجلاد : لأنى حدت عن واجبى !...

المحكوم عليه: واجبك هو تنفيذ الحكم عند أذان الفجر !... لكن من الذى يؤذن للفجر؟... أنت ؟... أم المؤذن؟....

الجلاد : المؤذن!...

المحكوم عليه: وهل فعل؟...

الجلاد : لا...

المحكوم عليه: إذن ...ما ذنبك أنت؟...

الجلاد :حقًا... لاذنب لى..

المحكوم عليه: هذا هو مانقوله جميعًا!...

الجلاد : إنك تعزينى وتهوّن علىّ...

المحكوم عليه: إنى أقول الحقيقة!...

الجلاد : ((يلتفت إلى مشارف الطرق ويصيح)): ماهذه الجموع !!...

يالله ...إنه موكب الوزير !... إنه الوزير!...

المحكوم عليه: لا ترتعد هكذا !... هدىء من روعك!...

الجلاد : لا جناح علىّ ...إنى مغطى ... أليس كذلك؟...

المحكوم عليه: اطمئن !... مغطى بألف دثار من الحجج والمعاذير!...

الجلاد : إنه المؤذن اللعين الذى سيؤدى الحساب العسير!...

((الوزير يظهر بين حراسه....))

الوزير : ((صائحا)) عجبًا !... ألم يعدم بعد هذا المجرم؟...

الجلاد : نحن فى انتظار الفجر يا مولاى الوزير !... حسب أوامرك!..

الوزير : الفجر؟!... إن الفجر قد صليناه فى مسجد القصر بحضور مولانا السلطان وقاضى القضاة!...

الجلاد : ليس الذنب ذنبى يا سيدى الوزير ... إن مؤذن هذ

المسجد

لم يصعد بعد إلى المئذنة !...

الوزير : كيف ذلك ؟!... هـذا أمـر لا يـعـقـل !... أيـن هـو هـذا المؤذن؟...

((المؤذن يخرج من باب الدار متسللا،ومحاولا الاختفاء خلف الغانية وخادمتها))

الجلاد : ((يلمحه ويصيح)) ها هو !... ها هو ذا !...

الوزير : ((للحراس)) أحضروه !... ((يحضرونه إليه)) هل أنت مؤذن هذا المسجد؟...

المؤذن: نعم يا مولاى الوزير!...

الوزير : لماذا لم تؤذن للفجر حتى الآن؟...

المؤذن: من قال ذلك يا مولاى الوزير؟... لقد أذنت للفجر منذ وقت مضى...

الوزير :أذنتَ للفجر؟...

المؤذن: فى موعده ...شأنى فى كل يوم... وقد سمعنى من سمع...

الغانية : حقًا ،لقد سمعناه كلنا يؤذن للفجر من فوق مئذنته...

الخادمة : نـعـم ... اليـوم..كـعـادتـه فى كل الأيام فى مثل هذا

الوقت!...

الوزير : ولكن هذا الجلاد يزعم...

الغانية : هذا الجلاد كان مخمورًا ، وكان يغط فى النوم!...

الخادمة : وكان غطيطه يتصاعد إلينا ويوقظنا من لذيذ الرقاد!...

الوزير : ((للجلاد المندهش)) أهكذا تنفذ أوامرى!؟...

الجلاد : أقسم !... أقسم!...يا سيدى الوزير....

الوزير : كفى!...

((الجلاد يعقد لسانه الذهول....))

المحكوم عليه: أيها الوزير !... ألتمس إليك أن تصغى إلىّ: لقد بعثت إلى مولانا السلطان بظلامة...

الجلاد : ((يفطن ويصيح))أقسم يا سيدى الوزير أنى كنت متنبها..

الوزير : قلت لك كفى!... ((ثم يلتفت إلى الحكو عليه)) نعم ... ظلامتك علم بها مولانا السلطان، وقد أمر أن تحاكم أمام قاضى القضاة... وسيحضر مولانا السلطان بنفسه محاكمتك ... تلك رغبته الكريمة وأمره الذى لا يرد... أيها الحراس !..

أخلوا الساحة من الناس، وليدخل كل داره ... إن هذه المحاكمة يجب أن تجرى فى نطاق السرية التامة...

((الحراس يخلون الساحة من الناس...))

الجلاد : يا مولاى الوزير !... ((يحاول أن يشرح الأمر ولكم الوزير يبعده بإشارة...))

((السلطان يظهر فى موكبه، وفى صحبته قاضى القضاة...)

المحكوم عليه:((صائحا))يا مولانا السلطان !...العدل!...ألتمس العدل!..

السلطان : أهذا هو المتهم؟...

المحكوم عليه: يا مولانا السلطان !... إنى لم أرتكب ذنبًا ولا جرما !...

السلطان : سنرى!...

المحكوم عليه: ولم أحاكم بعد ...لم أحاكم!...

السلطان : ستحاكم المحاكمة العادلة... وفقًا لرغبتك ... وسيتولى

محاكمتك قاضى القضاة فى حضرتنا!...

((يصدر السلطان إشارة إلى قاضى القضاة ليشرع فى

المحاكمة، ثم يجلس فى مقعد أعد له ويقف الوزير
إلى جواره...))

القاضى : ((يجلس على مقعد له)) فكُّواقيود المتهم !....
((يفك أحد
الحراس أغلال المجكوم عليه)) القترب يا هذا !... ماهى
جريمتك؟...

المحكوم عليه: لم أرتكب جُرمًا!...

القاضى : وما هو الاتهام المنسوب إليك؟...

المحكوم عليه: سل الوزير عنه !...

القاضى : إنى أسالك أنت !...

المحكوم عليه: مافعلت شيئًا قط سوى أنى لفظت كلمة بريئة، لاخطر
فيها
ولا ضرر!...

الوزير : إنها كلمة مروعة أثيمة!...

القاضى : ((للمحكوم عليه)) ما هى هذه الكلمة؟

المحكوم عليه: لست أحب أن أعبدها....

الوزير : الآن لا تحب... أما فى وسط السوق وبين جموع الناس...

القاضى : ما هى هذه الكلمة؟ن...

الوزير : قال إن مولانا السلطان النبيل العظيم إن هو إلا عبد رقيق..

المحكوم عليه: كل الناس يعلم هذا ...وما هو بالأمر الخافى....

الوزير : لا تقاطعنى ...وزعم أنه طهو النخاس الذى تولى بيع سلطاننا فى صباه إلى السلطان الراحل!...

لمحكوم عليه: هذا صحيح ...وأقسم بالأيمان المغلظة ...وإنها لوثيقة فخار

لى أعتز بها أبد الدهر...

السلطان : ((للمحكوم عليه)) أنت بعتنى إلى السلطان الراحل؟!...

المحكوم عليه: نعم!...

السلطان : متى كان ذلك؟...

المحكوم عليه: منذ خمس وعشرين سنة خلت يا مولاى... كنتَ صبيًا سغيرًا

فى السادسة ، ضالا متروكا فى قرية شركسية دهمها المغول..

وكنت غاية فى الذكاء والحكمة أكثر مما ينبغى لسنك ..

ففرحت بك وحملتُك إلى سلطان هذه البلاد، فمنحنى ثمبًا لك ألف دينار...

السلطان : ((ساخرًا)) ألف دينار ؟!... فقط ؟!...

المحكوم عليه: كنت تساوى أكثر من ذلك بالطبع ...ولكنى كنت حديث عهد بالمهنة...لم أكن قد جاوزت السادسة والعشرين، وكانت تلك الصفقة هى بداية عملى، وقد فتحت لى طريق المستقبل!...

السلطان : لك ولى!...

المحكوم عليه: حمدًا لله !...

السلطان : أهذا مما يستحق الموت، أن تأتى بى إلى هذه البلاد؟... إنى

ا أرى الأمر على النقيض...

الوزير : إنه يستحق الموت الثرثرته وانفلات لسانه...

السلطان : لست أرى ضررًا بالغًافى أن يقول أو يذيع أنى كنت عبدًا

رقيقًا ...السلطان الراحل نفسه كان كذلك ...أليس هذا صحيحًا أيها الوزير؟...

الوزير : هذا صحيح ...ولكن...

السلطان : أليس الأمر كذلك يا قاضى القضاة؟...

القاضى : حقًا أيها السلطان !...

السلطان :إنها لأسرة برمتها من قدماء العبيد الأوقاء،سلاطين المماليك

...لجميع جلبوامن نعومة أظفارهم إلى القصور، حيث نشئوا

التنشئة القوية ؛ ليصبحوا فيما بعد حكامًا وقادة للجيوش و سلاطين على البلاد... وما أنا إلا واحد من هؤلاء... لم أشد عنهم ولم أختلف ...

المحكوم عليه: بل أنت من خير هم حكمة وسدادًا... أبقاك الله ذخرًا لرعيتك !...

السلطان : ومع ذلك ..لست أذكر وجهك ...بل إنى لست أذكر بوضوح

أيام طفوولتى فى تلك القرية الشركسية التى تتحدث عنها و تقول إنك وجدتنى فيها، كل ما أستطيع تذكره وتبينه هو: طفولتى بالقصر فى كنف السلطان الراحل...لقد كان يعاملنى كأنى ونشأنى

لأتولى الحكم، وكنت أعلم حقًا علم اليقين أنه
لم يكن أبى...

المحكوم عليه: أبواك قتلا بيد المغول !...

السلطان : ما حدثنى أحد قط عن أبوى... كنت أعلم فقط أنه قد جىء
بى إلى القصر وأنا فى سن صغيرة...

المحكوم عليه: وأنا الذى جاء بك!...

السلطان : ربما...

المحكوم عليه: وإذن يا مولاى ... ما هى جريمتى؟...

السلطان : لست والله أدرى ..سل من اتهمك!...

الوزير : ليست تلك هى جريمته الحقيقية!...

السلطان : أهناك جريمة حقيقية؟...

الوزير : أجل يا مولاى... القول بأنك كنت عبدًا رقيقًا ليس فيه حقًا
ما يشين ولا ما يدين، كل الشلاطين المماليك كانوا كذلك ...
ليست هنا الجريمة ، ولكن السلطان المملوك كان يعتق عادة
قبل جلوسه على العرش...

الشلطان : وبعد؟...

الوزير : وبعد يا مولاى... هذا الرجل يزعم أنك لم تعتق حتى الآن..

وأنك لم تزل رقيقًا ...وأن صفة العبودية ما تزال لاصقة بك ... وأن العبد لا يجوز له أن يحكم شعبًا حرًا...

السلطان : ((للمحكوم عليه)) أقلت ذلك حقًا؟!...

المحكوم عليه: لجم أقل كل ذلك ؛ إنهم الناس فى السوق يحلو لهم دائمًا هذا النوع من اللغط والثرثرة...

السلطان : ومن أين جائك أنى لم أعتق؟...

المحكوم عليه: لست أنا الذى قالها ...إنهم يوسبون إلىّ كل قبيح من القول !...

السلطان : ولكنهم يثرثرون ويلغجطون على كل حال!...

المحكوم عليه: لست أنا!...

السلطان : أنت أو غيرك ...لم يعد هذا يهم ...المهم الآن هو أن يعلم الناس جميعًا فى كل مكان أن تلك محض أكذوبة ... لإليس الأمر كذلك ياقاضى القضاة؟...

القاضى : الواقع يا مولاى...

السلطان : هذا محذ زور وبهتان... هذا محض اختلاق لا يستقيم معه عقل ولا منطق..لم أعتق بعد؟ ... أنا؟!... أناالذى كان قائدًا الجيوش وقاهرًا للمغول ... الذراع الأيمن للسلطان الراحل،

والخلف الذى أعده ليحكم من بعده ...كل هذا وما فكر السلطان قبل وفاته فى عتقى؟!... أهذا معقول؟... اسمع أيها القاضى !... ما عليك الآن إلا أن تطلق المنادين يعلنون فى مدينة التكذيب الرسمى،ويجشرون على الناس نص الوثيقة المسجلة بعتقى، وهى ، ولا شك، محفوظة فى خزائنك ... أليس كذلك؟!...

القاضى : ((يمشط لحيته بأصابعه)) تقول يا ملاى....

السلطان : ألم تسمع ما قلت؟...

القاضى : بل إنى ...

السلطان : كنت مشغولا بمداعبة لحيتك بأصابعك!...

القاضى : يامولاى السلطان!...

السلطان : مذا؟... مولاك السلطان بكلجمك بلغة بسيطة واضحة، لا تحتاج إلى طويل تأمل ، ولا عميق تفكم ...كل ما فى الأمر هو أنـــه قـد أصبـح مـن الـضـرورى إعـلان تـلك الوثيقة...أفهمت؟...

القاضى :نعم...

السلطان : مـازلـت تداعن لحيتك بأصابعك؟...هلا تركتها وشأنها الآن

قليلا؟!...

الوزير : ((يتدخل)) مولاى!... السلطان أن...

السلطان : ماكل هذا الارتباك؟ !... أنت وهو على اسواء...

القاضى : يحسن تأجيل هذه المحاكمة إلى وقت آخر...فإذا صرناعلى

انفراد يامولاى...

الوزير : نعم ...هذا هو الأفضل!...

السلطان : بدأت أدرك...

((يأمر اوزير بإشارة منه.أن يبتعد الجميع بالمحكوم عليه..)

السلطان : هانحن قد صرنا على انفراد... ماذا الديكم من القول!... وإن

كنت أرى على سحنتيكما ما يوحى ويفصح...

القاضى : أجل يامولاى... لقد أدركت بفطنتك ... فى الواقع لا توجد

وثيقة عتق لك فى خزائنى...

السلطان : لعلك لم تتسلمها بعد ، ولكنها لا بد أن تكون موجودة فى

مكان ما ... أليس كذلك أيها الوزير؟!...

الوزير : فى الحقيقة يا مولاى...

السلطان : لعلك لم تتسلمها بعد، ولكنها لا بد أن تكون موجودة فى مكان ما... أليس كذلك أيها الوزير؟!...

الوزير : فى الحقيقة يا مولاى...

السلطان : ماذا ؟!...

الوزير : الحقيقة أنه...

السلطان : تكلم!...

الوزير : مامن وثيقة هناك تثبت يا مولاى!...

السلطان : تكلم!...

الوزير : لقد سقط السلطان الراحل فجأة على أثر أزمة فى القلب، وتوفاه الله قبل أن يعتقك...

السلطان : ما هذا الذى تزعمه أعمه أيها الشقى!؟...

الوزير : إنى شقى حقًا يا مولاى... مجرم أثيم ... هذا مالا أنكر... كان من واجبى تدبر هذا الأمر فى حينه ... لكن موضوع العتق هذا لم يخطر لى على بال ... كان رأسى ممتلئًا بأمور أخرى جسام.لقد كنت أنت يا مولاى وقتئذ بعيدًا...فى حومة

القتال...ولم يكن أحد غيرى قائمًا قرب فراش السلطان الذى يحتضر ...لقد نسيت هذا الموضوع تحت وطأة الموقف و جلال الحدث ، وشدة الأسى ...وما كان شيء يشغلنى فى تلك اللحظة إلا تأدية اليمين ـ بين يدى المختضر ـ أن أخدمك يا مولاى بعين الإخلاص الذى خدمته به طول حياته...

السلطان : حقًا ... قأ نتذا قد خدمتنى!...

الوزير : إنـى ... مستـحـق لـلـمـوت ... أعـرف ذلك : فهـذا جـرم لا يغتفى..

إن السلطان الراحل ما كان يستطيع أن يفكر فى كل شيء ، أو يذكره بالخطير من الأمور...كان من واجبى أنا حقًا أن أذكره بالخطير من الأمور.. كان من واجبى أنا حقًا أن أعرض عليه موضوع العتق، بماله من أهمية خاصة، وأن أعد ما يقيضيه من إجرائات شرعية... ولكن مقامك العالى يا مولاى ونفوذك وهيتك ومنزلتك العظيمة فى النفوس؛ كل تلك الصفات فى سموها جعلتنا نسهو عن حالة الرق والعبودية بالنسبة إليك، وعن حاجة من كان فى مثل ارتفاعك إلى مثل هذه الحجج والوثائق ... ما فطنت والله

لهذا الأمر إلا فيما بعد ... عند ما جلست يا مولات على العرش

ارتفاعك إلى مثل هذه الحجج والوثائق ... ما فطنت والله هذا الأمر إلا فيما بعد ... عند ما جلست يا مولاى على العرش ... عندئذ اتضح لى الموقف بأكمله... وتملكنى الهلع وكدت أجن... لولا أنى هدأت من روعى، وتماسكت معللا النفس بأن هذا الموضوع لن يتاح له يوماأن يفتح أو يثار...

السلطان : ها هو ذاقد فتح وأثيرا!...

الوزير : واأسفاه!...ما كان لى أن أعلم أن رجلا مثل هذا سيأتى يوما يثر ثر ويلغط...

السلطان : ولهذا أرت أن تغلق فمه بإسلامه إلى الجلاد!...

الوزير : نعم...

السلطان : وتدفن غلطتك بدفن هذا الرجل...

الوزير : ((مطرقًا))نعم ...

السلطان : وما فائدة ذلك الآن ...والجميع يثرثرون ويلغطون...

الوزير : إذا اقطع رأس هذا الرجل ، وعلق فى الساحة أمام الناس فما

من لسان بعد ئذ يجرؤ على الكلام!....

السلطان : أتظن...؟

الوزير :إن لم يستطع السيف قطع الألسنة فماذا يستطيع إذن...؟

القاضى : أيأذن لى يا مولاى بكلمة؟....

السلطان : إنى مصغ...

القاضى : إن السيف قاطع حقًا للألسنة والرئوس ...ولكنه ليس بقاطع

فى المشاكل والمسائل...

السلطان : مذا تعنى؟...

القاضى : أعنى أن المسألة ستظل دائمًا قائمة...وهى أن السلطان

يحكم دون أن يعتق، وأنه عبد رقيق على شعب حر طليق!!..

الوزير : ومن يجرؤ على قول هذا ؟ ... إن من يجرؤ يقطع رأسه!...

القاضى : تلك مسألة أخرى!...

لوزير : ليس من الضرورى لمن يحكم أن يحمل فى يديه الوثائق و والحجج !... لدينا أروع مثل وأقواه فى الأسرة الفاطمية ...

وكلنا يذكر ما فعل ((المعز لدين الله الفاطمى)) !... يوم جاء يزعم أنه من نسل رسول الله ﷺ ، وأنه بهذا النسب له حق الحكم فى أرض مصر : فلما لم يصدقه الناس قام فيهم شاهرًا

سيفه، وفاتحًا صناديق ذهبه، وهو يقول: هذا حسبى... وهذا نسبى !... فسكت الناس، وحكم هو وذريته من بعد هأنئين الأجيال الطويلة!...

السلطان : ما تقول فى هذا أيها القاضى؟....

القاضى : أقول: إن هذا صحيح من الوجهة التاريخية ... ولكن...

السلطان : ولكن ماذا؟...

القاضى : تريد إذن أيها السلطان العظيم أن تحل مشكلتك بهذه الطريقة!...

السلطان : ولم لا؟!...

الوزير : حقًا !... ولم لا !... مامن شىء أيسر من هذا ، وبخاصة فى مسألتنا هذه ...يكفى أن نعلن على الملأ أن مولانا السلطان قد أعتق عتقًا شرعيًا ...أعتقه السلطان الراحل قبل وفاته..

وأن الوثائق والحجج مسجلة ومحفوظة لدى قاضى القضاة،
والموت لمن يجرؤ على تكذيب ذلك !...

القاضى : هنا لك شخص سوف يكذب ذلك...

الوزير : من هو؟...

القاضى : أنا...

السلطان : أنت ؟!...

القاضى : نعم ..أنا يامولاى... إنى لاأستطيع أن أشترك فى هذه
المؤامرة!...

الوزير : إنها ليست مؤامرة ...إنها خطة لإنقاذ الموقف...

القاضى : إنها مؤامرة ضد القانون الذى أمثله...

السلطان : القانون!؟....

القاضى : نعم أيها السلطان ..القانون ...أنت فى نظر الشرع
والقانون
لست سوى عبد رقيق .. والعبد الرقيق يعتبر ـ قانونًا
وشرعًا
شيئًا من الأشياء ومتاعًا من الأمتعة ...وبما أن السلطان
الراح

المالك لرقبتك لم يعتقك قبل وفاته، فأنت فاقد لأهلية التعاقد فى المعاملات العادية التى يزاولها بقية الناس الأحرار

السلطان : أهذا هو القانون !؟....

القاضى : نعم!...

الوزير :مهلا يا قاضى القضاة !... نحن الآن لسنا فى صدد رأى القانون، ولكنا فى صدد البحث عن الطريقة التى نتخلص بها من هذا القانون ... وطريقة التخلص هى فى افتراض أن العتق قد وقع وتم ، وما دام الأمر سرًا بيننا نحن الثلاثة، وما من أحد سوانا يعرف الحقيقة؛ فمن الميسور أن نحمل الناس

على تصديق....

القاضى : الأكذوبة...

الوزير : قل الحل... هذا اللفظ أليق وأنسب !....

القاضى : الحل بواسطة الكذب...

الوزير : وما الضرر فى هذا؟...

القاضى : بانسبة إليك...

الوزير : وبالنسبة إليك...

القاضى : بالنسبة إلىّ الأمر يختلف ...فأنا لا أستطيع أن أكذب على

نفسى، ولا أستطيع التخلص من القانون وأنا الذى أمثله..

ولا أستطيع الحنث بيمين عاهدت فها نفسى على أن أكون

الخادم الأمين للشرع والقانون!....

السلطان : عاهدت فيها نفسك أمامى..

القاضى : وأمام الله وضميرى...

السلطان : معنى ذلك أنك لن تسير معنا....

القاضى : فى هذا الطريق...لا...

السلطان : ولن تضع يدك فى أيدينا ...

القاضى : على هذه الخطة ...لا...

السلطان : إذن ... تستطيع فى هذه الحالة أن تنحى نفسك جانبًا... ولا تتدخل فى شىء، وتتركنا نحن نفعل ما نشاء... بهذا تصون يمينك وترضى ضميرك..

القاضى : إنى آسف يا مولاى السلطان...

السلطان : لماذا؟...

القاضى : لا الآن– وقد علمت أنك فى نظر القانون فاقد لأهلية التعاقد– أرانى مضطراً إلى الحكم ببطلان كل تصرفاتك.....

السلطان : إنك مجنون..... هذا مستحيل !.....

القاضى : لا أستطيع، مع الأسف، أن أصنع غير ذلك، مالم .....

السلطان : مالم ؟.....

القاضى : مالم تأمر بعزلى من منصبى، أو طردى من البلاد..... أو قطع رأسى!..... بهذا أتحلل من يمينى، وتنطلق أنت على هوانك تفعل ما تشاء !.....

السلطان : أهو تهديد؟!.....

القاضى : بل هو حل .....

الوزير : إنك تعقد لنا المشكلة ياقاضى القضاة!.....

السلطان : بدأت أضيق بهذا الرجل!.....

الوزير : إنه يعلم أننا فى قبضته، إذ أن أقل عنف معه يفضح كل شئ أمام الشعب !.....

السلطان : "للقاضى" خلاصة القول: إنك لا تريد معاونتنا.....

القاضى : بل إن ما أتمناه يا مولاى هو أن أكون لك معيناً..... ولكن ليس على هذا الوجه.....

السلطان : ماذا تقترح إذن؟.....

القاضى : تطبيق القانون.....

السلطان : إذا طبقت أنت القانون فقدت أنا عرشى.....

القاضى : ليس هذا فقط!.....

السلطان : أهناك ما هو أسوأ ؟!.....

القاضى : نعم!.....

السلطان : وأن هذا الشئ أو المتاع مملوك لبيت المال !!.....

القاضى : حقيقة !.....

السلطان : وأن بيت المال يتصرف فيما يملك من متاع لا غلة له بعرضه للبيع فى المزاد، للمصلحة العامة!.....

القاضى : تماماً.....

السلطان : يا قاضى القضاة!..... ألا ترى معى أن كل هذا عجيب وغريب؟!.....

القاضى : حقاً..... ولكن.....

السلطان : وأن كل هذا فيه كثير من الغلو والمبالغة والإغراق!.....

القاضى : ربما..... ولكن باعتبارى قاضيا فإن الذى يهمنى هو مركز الوقائع بالنسبة إلى نصوص القانون.....

السلطان : اسمع أيها القاضى!.....قانونك هذا لم يأتنى بالحل، فى حين أن حركة صغيرة من سيفى كفيلة بأن تقطع عقدة المشكلة فى الحال!.....

القاضى : إذن..... افعل!.....

السلطان : سأفعل..... ماذا يهم سفك قليل من الدم فى سبيل صلاح الحكم ؟!.....

القاضى : يجب البدء عندئذ بسفك دمى!.....

السلطان : سأفعل كل ما أراه ضرورياً لصيانة أمن الدولة، وسأبدأ فعلا بك..... وألقى بك فى السجن..... أيها الوزير ! اقبض على القاضى !.....

الوزير : يا مولاى السلطان، إنك لم تستمع بعد إلى جوابه عن سؤالك.....

السلطان : أى سؤال ؟.....

الوزير : السؤال عن الحل الذى يراه للمشكلة.....

السلطان : لقد أجاب عن هذا السؤال.....

الوزير : إن ما قاله لم يكن هو الحل إنما هو عرض للموقف.....

السلطان : أصحيح هذا أيها القاضى؟.....

القاضى : نعم.....

السلطان : لديك حل إذن لمشكلتنا هذه؟.....

القاضى : "بنفس النبرة" نعم!

السلطان : إذن.....تكلم! .....ما هو الحل؟.....

القاضى : لا يوجد غير حل واحد.....

السلطان : قل ! ..... ما هو ؟.....

القاضى : تطبيق القانون.....

السلطان : أيضا؟!..... مرة أخرى؟!.....

القاضى : نعم..... مرة أخرى..... ودائما.....إذ لست أرى حلا آخر غير هذا.....

السلطان : أسمعت أيها الويز؟..... هل يخامرك بعد ذلك أمل فى التعاون مع هذا الشيخ المخرف العنيد ؟!.....

الويزير : اسمح لى يا مولاى أن أستجوبه قليلا!.....

السلطان : افعل ما شئت !.....

الويزير : يا قاضى القضاة!..... المسألة دقيقة، وتحتاج منك إلى أن تشرح لنا بتفصيل ووضوح وجهة نظرك.....

القاضى : وجهة نـظـرى واضحة بسيطة، أشرحها فى كلمتين: لحل هـذه الـمسـألة أمـامـنا طريقان: طريق السيف، وطريق القانون، أما السيف فـلا شـأن لـى به، وأما القانون فهو ما ينبغى لى وما أستطيع أن أفتـى فيه..... والقانون يقول: إن العبد الرقيق لا يملك عتقه غير مـولاه. مـالك رقبتـه..... وفـى حـالتـنا هذه المولى مالك الرقبة توفى بـغيـر وريـث، فآلت ملكية العبد إلى بيت المال، وبيت المال لا يملك عتـقـه بـغيـر مـقابلل؛ إذ ليس من حق أحد التصرف بغير مقابل فى مـال أو متاع مملوك للدولة..... ولكن من الجائز لبيت المال التصرف بـالبيـع، وبيـع مال الدولة لا يكون صحيحا قانونا إلا بمزاد مطروح فى العلن..... فالحل الشرعى إذن هو أن نطرح مولانا السلطان للبيع فـى الـمـزاد الـعلنى، ومن رسا عليه المزاد يعتقه بعد ذلك ..... بهذا لا يـضـار ولا يـغبـن بيـت الـمـال فى ملكه، ويظفر السلطان عن طريق القانون بعتقه وتحريره !.....

السلطان : "للوزير" سمعت هذا ؟!.....

الوزير : "لـلقاضى" نطرح مولانا السلطان العظيم للبيع فى المزاد العلنى؟!..... إن هذا هو الجنون بعينه!.....

القاضى : هذا هو الحل القانونى الشرعى!.....

السلطان : "للوزير" لا تضيع وقتاً!..... لم يبق من رد على هذا الأحمق الوقح إلا الإطاحة برأسه، ولتكن النتيجة ما تكون!..... وأنا الذى سيفعل ذلك بيده..... "يستل سيفه"

القاضى : إنه لشرف عظيم لى يا مولاى أن أموت بيدك، وأن تذهب روحى فى سبيل الحق والمبدأ !!.....

الوزير : صبراً يا مولاى صبراً !..... لا تصنع من هذا الرجل شهيداً..... ما من ميتة أروع من هذه يتمناها مثل هذا الشيخ المهدم!..... سوف يقال إنك حطمت القانون والشرع فيه..... وسوف يصبح هو الرمز الحى لروح الحق والمدأ..... ورُب شهيد مجيد له من التأثير والنفوذ فى ضمير والشعوب ما ليس لملك جبار من الملوك!.....

السلطان : "يكظم" لعنة الله.....

الوزير : لا تنله هذا المجد يا مولاى على حساب الموقف!.....

السلطان : وما العمل إذن؟..... إن هذا الرجل يضعنا فى مأزق..... ويخيرنى بين أمرين، كلاهما مر: القانون الذى يظهر نى ضعيفاً ويصيرنى أضحوكة، أو السيف الذى يصمنى بالوحشية ويجعلنى بغيضاً!.....

الويزير : "يتجه إلى القاضى" يا قاضى القضاة!..... كن لينا ميسراً..... ولا تكن صلباً معسراً..... قف معنا فى منتصف الطريق، وأوجد لنا حلا وسطاً، واجتهد معنا فى البحث عن مخرج معقول !.....

القاضى : ما من مخرج معقول سوى القانون.....

الوزير : نطرح السلطان للبيع فى المزاد؟!.....

القاضى : نعم!.....

الوزير : والذى يرسو عليه المزاد ويشتريه ؟.....

القاضى : يعتقه فى الحال..... فى مجلس العقد..... هذا هو الشرط ؟!.....

الوزير : ومن ذا الذى يقبل أن يحسر ماله على هذا النحو ؟!.....

القاضى : كثيرون..... أولئك الذين يفتدون حرية السلطان بأموالهم !.....

الوزير : إذن..... لماذا لا نقوم نحن بأداء هذا الواجب..... أنا وأنت..... ونفتدى سلطاننا بأموالنا الخاصة سراً .....ونفوز نحن بهذا الشرف ؟!..... ألبست فكرة صائبة ؟!.....

القاضى : كلا مع الأسف..... سراً لا يجوز..... القانون صريح.....إنه ينص على أن كل بيع لأملاك بيت المال يجب أن يتم علناء وفى مزاد عام !.....

السلطان : "للوزير" لا تتعب نفسك معه ! ..... إنه مُصر على فرضيحتنا!.....

الوزير : "للقاضي" وأخيراً يا قاضى القضاة؟ ..... أما من حيلة تخرجنا من هذه الورطة !.....

القاضى : حيلة ؟!..... لست أنا الذى يطلب إليه البحث عن الحيل !.....

السلطان : بالطبع!..... هذا جالرجل لا يبحث إلا عما فيه تحدينا وإذ لا لنا!.....

القاضى : لست أنا بشخصى يا مولاى!..... إن شخصى الضعيف لا شأن له فى الأمر كله!..... ولو كان الأمر بيدى ومتعلقاً برغبتى لما كان أحب إلىّ من أن أخرجكم من هذا الموقف على خير ما تشتهون !.....

السلطان : يا للضعيف المسكين!..... الأمر ليس بيده..... بيد من إذن؟

القاضى : القانون.....

السلطان : نعم هذا الشبح الذى تختفى وراء ه لتخضعنى، وتفرض علىّ إرادتك، وتظهر نى أمام الناس فى هذا المظهر المضحك الواهن المهين!.....

القاضى : بل لتظهر بمظهر الحاكم المجيد!.....

السلطان : أترى من علامات المجد أن يعامل سلطان معاملة السلعة والمتاع، ويباع فى الأسواق؟!.....

القاضى : إنها لمن علامات الجد فعلا يا مولاى أن يخضع سلطان

للقانون كما يخضع له بقية الناس.....

الوزير : إنه لجميل حقاً يا قاضى القضاة أن يطيع الحاكم القانون كما يطيعه المحكوم..... ولكن فى هذا مجازفة كبرى..... إن سياسة الحكم لها أساليبها، وحكم الناس يتطلب وسائل أخرى.....

القاضى : إنى لا أفقه شيئاً فى السياسة، ولا فى مهنة حكم الناس!.....

السلطان : إنها مهنتنا نحن..... دعنا إذن نمارسها بوسائلنا الخاصة!.....

القاضى : إنى لم أغل يديك يا مولاى..... إن لك مطلق الحرية فى أن تمارس حكمك كما تشاء ! .....

السلطان : حسن !..... إنى أرى الآن ما يجب علىّ فعله! .....

الوزير : ماذا أنت صانع يا مولاى ؟.....

السلطان : انظر إلى الشيخ ! أتراه يحمل سيفاً فى منطقته ؟..... كلا بالطبع..... إنه لا يحمل غير لسان فى فمه يديره بكلمات وعبارات، وإنه ليحسن استخدام ما يملك بحذق وبراعة، ولكنى أنا أحمل هذا !..... "يشير إلى سيفه" وهو ليس من خشب، ولا هو لعبة من اللعب!..... إنه سيف حقيقى، وينبغى أن يصلح لشئ، ويجب أن

يكون لوجوده سبب..... أتفهمون كلامى؟!..... أجيبوا !..... لماذا قدر لى أن أحمل هذا؟!..... أللزينة أم للعمل ؟!.....

الوزير : للعمل !.....

السلطان : وأنت أيها القاضى..... لماذا لا تجيب ؟..... أجب ! ..... أهو للزينة أم للعمل ؟!.....

القاضى : لأحدهما .....

السلطان : ماذا تقول ؟.....

القاضى : أقول هذا أو لذاك !.....

السلطان : ماذا تعنى ؟

القاضى : أعنى أن لك الخيار مولاى السلطان..... لك أن تجعله للعمل، ولك أن تجعله للزينة..... إنى معترف بما للسيف من قوة أكبدة، ومن فعل سريع وأثر حاسم، ولكن السيف يعطى الحق للأقوى، ومن يدرى غداً من يكون الأقوى ؟..... فقد يبرز من الأقوياء من ترجح كفته عليك!..... أما القانون فهو يحمى حقوقك من كل عدوان، لأنه لا يعترف بالأقوى..... إنه يعترف بالأحق!..... والآن فما عليك يا مولاى سوى الاختيار: بين السيف الذى يفرضك ولكنه يعرضك وبين القانون الذى يتحداك ولكنه يحميك!.....

السلطان : "مفكراً لحظة" السيف الذى يفرضنى ويعرضنى، والقانون الذى يتحدانى ويحمينى ؟!.....

القاضى : نعم .....

السلطان : ما هذا الكلام ؟!.....

القاضى : الحقيقة الصريحة.....

السلطان : "يفكر مردداً" السيف الذى يفرض ويعرض ؟!..... والقانون الذى يتحدى ويحمى ؟!.....

القاضى : نعم يا مولاى! .....

السلطان : "للوزير" يا هذا الشيخ اللعين !..... إن له عبقرية نادرة فى أن يوقعنا دائماً فى الحيرة !.....

القاضى : إنى ما صنعت يا مولاى غير أن طرحت عليك وجهى المسألة، وعليك أنت الاختيار!.....

السلطان : الاختيار؟!..... الاختيار؟!..... ما رأيك أنت يا وزير ؟!.....

الوزير : أنت الذى يبت فى هذا يا مولاى !.....

السلطان : إنك جلا تعرف أنت أيضا، فيما أرى ؟!.....

الوزير : فى الواقع يا مولاى، إن.....

السلطان : إن الاختيار صعب ؟!.....

الوزير : حقاً.....

السلطان : السيف الذى يفرضنى على الجميع، ولكنه يعرضنى للخطر..... أو القانون الذى يتحدى رغباتى ولكنه يحمى حقوقى!.....

الوزير : نعم.....

السلطان : اختر لى أنت !.....

الوزير : أنا ؟!..... لا.....لا يا مولا!.....

السلطان : مم تخاف ؟.....

الوزير : من العواقب..... عواقب هذا الاختيار..... إذا اتضح يوماً أنى اخترت الطريق الخطأ!..... ويا لها يومئذ من كارثة!.....

السلطان : لا تريد تحمل التبعة؟!.....

الوزير : لست أجرؤ..... وليس من حقى!.....

السلطان : لا بد من البت فى النهاية.....

الوزير : ما من أحد غيرك يا مولاى يملك حق البت فى مثل هذا الأمر.....

السلطان : حقاً.....ما من أحد غيرى !..... ولن أستطيع التهرب من ذلك..... أنا الذى يجب عليه أن يختار، ويتحمل تبعة الاختيار!.....

الوزير : أنت مولانا وحاكمنا!.....

السلطان : نعم، وتلك ساعتي المخيفة!..... الساعة المخيفة لكل حاكم!..... ساعة يصدر القرار الأخير، القرار الذى يغير مجرى الأمور!..... ساعة ينطق بذلك اللفظ الصغير، الذى يبت فى الاختيار الحاسم!..... الاختيار الذى يقرر المصير!..... "يفكر مليا، وهو يقطع المكان جيئة وذهابا، والكل ينتظر نطقه..... والصمت يخيم لحظة....."

السلطان : "وهو مطرق فى تفكيره" السيف أم القانون؟!..... القانون أم السيف ؟!

الوزير : إنى مقدر يا مولاى دقة موقفك!.....

السلطان : ولا تريد مع ذلك أن تعيننى برأى ؟!.....

الوزير : لا أستطيع..... أنت فى هذا الموقف صاحب الرأى وحدك!.....

السلطان : لا مفر إذن من أن أقرر بنفسى!.....

الوزير : هو ذاك.....

السلطان : السيف أم القانون؟!..... القانون أم السيف؟!....."يفكر لحظة، ثم يرفع رأسه بقوة" حسن..... لقد قررت.....

الوزير : أوامرك يا مولاى!.....

السلطان : قررت أن أختار..... أن أختار.....

الوزير : ماذا يا مولاى؟.....

السلطان : "صائحاً فى عزم" القانون! ..... اخترت القانون!.....

"ستار"

ماذا تعلم الغرب منا وما ذا تعلمنا من الغرب؟

للأستاذ محمد خلف الله

إن طريق التاثير الحضارى بين الشرق والغرب طريق طويل، يبدأ من الماضى البعيد، ثم يمتد عبرا لمعصور مغربا حينا ومشرقا حينا آخر. ومن الصعب أن نقيم عليه حدودا تفصل بين مرحلة وأخرى، أو تفرق بين مؤثر ومتاثر، فقافلة الا نسانية كانت —وستظل— دائمة التيار، قائمة على التواصل وتبادل المنافع. وقد اقتضت سنة الله فى بنى البشر أن تزدهر حضاراتهم فى موجات زمانية متنقلة، ترتفع هنا لتنخفض هناك، وتحمل معها فى سيرها—غادية ورائحة— كل ما تصب فيها الروافد من آثار الفكر والتجارب، وضروب السلوك والاجتماع.

الشرق أقدم تحضرا

ولكن الشئ الذى تشهد به عصور التاريخ المعروفة أن الشرق اقدم تحضرا من الغرب، فقد اخترعت عبقريات الشرقيين—فى مصر وآشور والهند وغيرها— مقومات الترقى فى الحياة الانسانية، كالكتابة والحساب ووسائل الزراعة والنقل، وحاولت أن تنفذ

بتفكيرها الى قضايا الوجود والغاء الحياة والموت، وقامت فى العالم الشرقى القديم حضارات وفلسفات شغل الغرب الحديث—ولا يزال— بالكشف عن آثارها الخالدة على مر الزمان.

ثم غرب مركز الاشعاع فى القرون الخمسة أو الستة السابقة لميلاد المسيح الى اثينا معلمة أوربا، وواضعة الاسس الكبرى فى فلسفتها ودراساتها، وآدابها وفنونها، فابتدأت بذلك موجة عالية موجات التطور الانسانى، حمل لواءها الغرب وعرف الشرق بعد كيف يفيد منها، ويضيف إليها.

ومنذا لغى سنة من الزمان اضاف الى سلسلة دياناته حلقة سماوية جديدة، ما لبثت أن عبرت الى الغرب واستقرت فيه، وطبعت امه بطابعها الى اليوم، وورثت—فيما ورثت— حضارات اليونان والرومان، ولونت تلك الحضارات بالوان تعاليمها ومبادئها.

الشرق مصدر النور

ولم تمض على ذلك بضعة قرون حتى أضاف الشرق رسالته الالهية الاخيرة فانتشرت فى آفاق العالم الشرقى انتشار النور فى

الظلام وجمعت تحت لوائها مختلف امه وحضاراته، ونسجت من كل أولئك نظاما انسانيا عاما يقوم على مبادئ التوحيد والاخاء، والارتفاع بكرامة البشرية عن فوارق اللون والجنس والعقيدة والثروة. ثم ارسلت طلائعها الى اقصى حدود الغرب المعروفة إذ ذاك، فاتخذت من شبه جزيرة الاندلس وطنا غربيا لها بضعة قرون، وأنشأت فى صقلية مراكز تشع منه على قلب القارّة الاوربية، ونشرت ما شاءت لها عبقريات اهلها أن تنشر من اضواء الفكر والعلم وفتحت أبواب معاهدها ومكتباتها لطلاب المعرفة من أرجاء أوربا، وأحيت للغرب تراث الاغريق الفلسفى بعد أن تركت عليه طابعا من جهود مفكريها وعلمائها. وبذلك أضاف الغرب إلى قائمة معلميه أسماء ابن سينا وابن رشد والرازى وجابر والغزالى وابن عربى وابن الهيثم، وابن خلدون وغيرهم. ولم يأخذ الغرب من الشرق دروس الفلسفة والطب والكيمياء والفلك والرياضة فحسب، ولكنه تاثر بما نقل إليه من أدب الشرق فى قصصه و أشعاره، ولياليه واسماره، وأساطيره وخياله، وفروسيته ومغامراته، فسرت

فى آدابه، روح جديدة كان لها صداها فى عصر النهضة الاوربية. وقد تكفل بانصاف الشرق فى هذه النواحى طائفة من الباحثين المحدثين فى أوربا وأمريكا، ممن درسوا تراث الفكر الشرقى فى مختلف مظاهره، وسجلوا ما كان له من فضل وتأثير على الفكر الغربى.

فترة خمود وجمود

وتدور عجلة الزمان دورتها، فتخمد جذوة الشرق قرونا، يطرد فيها تقدم الغرب، وتزدهر علومه ومعارفه، وتقوم فيه مدينة جديدة قوامها اخضاع ظواهر الكون والحياة للتجربة والبحث المنظم، ويقوى سلطانه المادى، ويستهويه ما فى الشرق من خيرات نام عنها أهلها، فيبسط على أمم الشرق نفوذه، ويتحكم فى مصائرها وحرياتها. وتستمر الحال على هذا إلى أن يصحو الشرق من نومه فى القرن التاسع عشر، ويدرك تأخره عن ركب الحياة، فيولى وجهه شطر الغرب يتلقى على يديه مناهج البحث العلمى، وأساليب الاصلاح الاجتماعى والسياسى ثم يحاول أن يستعيد مكانته من جديد، فلا يلبث ان يصطدم بقبضة الغرب تجد من حركته وتعوقه

عـن السيـر، فيستـجـمـع لهـا قـوته ويكافح فى تـحرير نفسه، مستمدا الالهـام من ماضيه الزاهر ومجده الغابر، مصمما أن يحيى سيرته كما كـانـت فـى عصورها الذهبية، وأن يقوم بنصيبه فى ترقى الانسانية الحديثة وتقدمها كما قام بدوره فى تطور العالم القديم.

ماذا افدنا من الغرب؟

هذا هو الحساب التاريخى المجمل لتبادل التأثير بين الشرق والـغـرب. وهـو حسـاب فصلته البحوث والكتب، وأفاض فيه العلماء والـمؤرخون، فإذا نـحن ركزنا نظرتنا فى المرحلة المعاصرة، وجدنا أنـنـا—مـن غيـر شك— وقـفـنـا مـن الغرب موقف المتعلم من معلمه. فبـعثنا طلابنا إلى معاهده، واستقدمنا علماء ه وخبراء ه إلى بلادنا، وتـرجـمـنـا علومه وآدابه إلى لغاتنا، ونقلنا عنه شتى الاساليب فى الثـقـافة وفـى التنظيم العمرانى، واستعرنا أحدث أوضاعه وطرائقه فـى الـحـكـم، واصـطـنـعـنـا كثيـرا من عـاداتـه ونظمـه فى المعيشة والاجتـمـاع، وأفـدنـا مـن الا قتـداء بـه فـى تـنظيم حياتنا، وتجديد فـنـونـنـا، فـاستكملنا ما كان ينقص تراثنا العربى من أدب القصص والـمسـرح، وحـررنـا لـغتـنـا من قيود الصناعة والزخرف، وخرجنا

بشعرنا من دائرة الاشخاص إلى جمال الطبيعة وأسرار الكون، واتجهنا بموسيقانا وسائر فنوننا نحو الآفاق العليا من تجارب الانسانية ومعانى الحياة، وأصبحت لنا معاهد وجامعات، ومصانع ومعامل، ومؤسسات اقتصادية، وانظمة من الادارة والتشريع، على غرار ما تعلمنا من الغرب فى مدنيته الحديثة.

وكان لا تصالنا بالغرب آثار فى بعض نواحينا الاجتماعية والاخلاقية: فقد حاولنا أن نقلد بعض أممه فى الحرص على النظام وتقويم الزمن، والاحتفاظ بالتقاليد الصالحة، والصبر على الغمرات حتى يبجلين، وعدم الاستسلام لروح اليأس والهزيمة، وتحاشى الاندفاع وراء الاهواء والانفعالات دون ترو أو تفكير، وقد غيرنا ما أورثتنا عصور التأخر من موقف الجمود نحو المرأة، فأتحنا لها الان فرص الثقافة والعمل والاشتراك فى خدمة المجتمع.

ليس الغرب خيرا كله

هذه دروس تعلمناها من الغرب الحديث، أوقل: تعلمنا منه كيف نستعيد الكثير منها فى تراثنا الذى أهملناه. ولكننا قد وصلنا فى تطورنا إلى مرحلة أدركنا فيها أن دروس الغرب ليست خيرا

كلها، وأن فى حياته نواحى غير صالحة، يشكو الغربيون أنفسهم سوء نتائجها، ويودون لو عادوا فيها إلى سبيل القصد. وكثير منها يتصل بالعلاقة بين الرجل والمرأة، وبفنون اللهو والمتعة والفراغ. وقد بهرت أبصارنا ببريقها، فاسرفنا على أنفسنا فى تقليدها، ثم أفقنا فنظرنا فإذا هى منافية للصالح من آدابنا وتقاليدنا ومقومات كياننا الخلقى والاجتماعى. وعلمتنا تجاربنا أن مدنية الغرب تنقصها عناصر جوهرية، احتفظت بها مدينات الشرق، وبنت عليها فلسفة صالحة فى الحياة، وأن من واجبنا نحو الانسانية أن نبشر بهذه العناصر، وأن نعلمها أمم الغرب. وقد بدأ الغرب نفسه يتنبه لهذه الظاهرة، ويستعين بعلماء الشرق على دراستها ويسأل: مالذى يستطيع أن يتعلمه من ثقافتنا وتعاليم أدابنا ؟ وأخذ بعض باحثيه يدرسون موقف الاسلام– وهو من أكبر العوامل الموجهة فى حياة الشرق–من المعضلات الكبرى التى يواجهها المجتمع الحديث، وتحشد الوفود لبحثها فى المنظمات الدولية.

الاسلام استاذ الحرية والعدالة والمساواة

وهنا يبرز الدرس الذى يجدر بالغرب أن يتعلمه اليوم من

الشرق الاسلامى، ذلك هوالفهم الاصيل لحقوق الإنسان من حرية وعدالة ومساواة وأخاء. فإن تاريخ محاولات الغرب الجدية في تقرير هذه الحقوق تاريخ حديث، لا يمتد إلى أبعد من القرن الثامن عشر، على حين قرر الاسلام هذه الحقوق واضحة صريحة منذ القرن السابع الميلادى، وجعلها جزءا من عقيدته، وركنا من أركان رسالته، وطبق مبادئه فيها تطبيقا عمليا فى سياسة الافراد والجماعات فى مختلف الامم التى شاركت فى حضارته.

وليس من شك فى أن الغرب الحديث جاد فيما يدعو إليه من تقرير هذه الحقوق، وفيما يعقد من المؤتمرات ويصدر من الوثائق. ولكن دعوته تنقصها روح العقيدة والإيمان التى تؤلف جزءا من كياننا الفكرى فى الشرق، وتتعرض هذه الدعوة فى الغرب كل يوم للنقض والانتكاس من اثر الاطماع والمصالح السياسية. ولن ينقذ الانسانية الحديثة الامطابقة الافعال للاقوال.

وحين يثقف الغرب هذا الدرس، ويحسن فهمه والعمل به، تستقيم الصلات بين الشرق والغرب، فيجرى التأثير النافع من الجانبين، ويفيد الغرب من معارف الشرق الحديث الناهض

وفلسفاته، فنونه وآدابه، وأخلاقه وتعاليمه، كما أفاد الشرق فى المائة والخمسين سنة الاخيرة من ثقافة الغرب الحديث وطريقته العلمية وثمار عبقريته فى الفكر والاختراع.

معلقة إمرئ القيس

قِفا نَبكِ من ذِكرىٰ حَبيبٍ ومنزلِ ... بِسِقْطِ اللّوىٰ بَينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فتُوضِحَ فالمقْراةِ لم يعْفُ رَسْمُها ... لمَا نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمَألِ

تَرىٰ بَعَرَ الآرامِ فى عَرَصَاتِها ... وَقِيْعَانِها كأنَّه حَبُّ فُلْفُلِ

كأنِّىْ غَداةَ البَيْنِ يومَ تحَمَّلُوا ... لدىٰ سَمُرَاتِ الحَىِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ

وَقُوفاً بها صَحْبِىْ علىَّ مطِيَّهُمْ ... يقُولونَ: لا تَهْلِكْ أسىً وَّتَجَمَّلِ

وإنَّ شِفَائِىْ عَبْرةٌ مُّهْرَاقَةٌ ... فهَلْ عِندَ رَسْمِ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَدَابِك من أمِّ الحُوَيرِثِ قَبْلَها ... وجَارَتِها أمِّ الرَّبابِ بِمَأسَلِ

إذا قامتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ منهُما ... نَسِيْمَ الصّبا جائت بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العينِ مِنِّىْ صَبَابةً ... على النَّحْرِ حتّى بَلَّ دَمْعِىْ مَحْمَلى

اَلارُبَّ يومٍ لكِ منهُنَّ صالح ... ولا سِيَّما يوم بدارةِ جُلْجُلِ

ويومَ عَقَرْتُ للعَذَارىٰ مَطِيَّتى ... فَيا عَجباً من كُورِها المُتَحَمَّلِ

فَظَلَّ العَذَارىٰ يرتَمِيْنَ بلَحْمِها ... وشَحْمٍ كهُدَّابِ الدّمَقْسِ المُفَتَّلِ

ويومَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَة ... فقالَتْ لكَ الوَيلاتُ انَّكَ مُرجِلى

تقُولُ وَقَدْ مالَ الغَبِيْطُ بنَا معاً ... عَقَرْتَ بَعِيْرِىْ يا إمْرأ القَيْسِ فانْزِلِ

فقُلْتُ لها سِيْرِىْ وأَرْخِىْ زِمَامَه ... ولا تُبْعِدِيْنِىْ من جَنَاكِ المُعَلَّلِ
فمِثْلِكِ حُبْلىٰ قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُها عَنْ ذِىْ تَمائِمَ مُحْوِلِ
إذا ما بكىٰ من خلفها انصرفتْ له ... بشقٍّ وتحتِىْ شِقُّها لم يحَوَّلِ
ويوماً على ظهرِ الكثيبِ تعذَّرتْ ... علىَّ وآلتْ حَلفَةً لم تَحَلَّلِ
أفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هذا التَّدَلُّلِ ... وإنْ كُنتِ قد أزمَعْتِ صَرْمِىْ فأجْمِلِىْ
أَغَرَّكِ مِنِّىْ أنَّ حُبَّكِ قاتِلِىْ ... وأنَّكِ مَهْما تأمُرِىْ القَلْبُ يَفْعَلِ
وإنْ تكُ قد ساءَتْكِ مِنِّىْ خليقةٌ ... فسُلِّىْ ثِيابِىْ من ثِيابِكَ تَنْسُلِ
وما ذَرَفَتْ عَيناكِ إلَّا لِتَضْرِبِىْ ... بِسَهْمَيْكِ فِىْ أَعْشارِ قلبٍ مُقَتَّلِ
وبيضَةِ خِدْرٍ لايُرامُ خِباؤُها ... تَمَتَّعْتُ منْ لَهْوٍ بها غَيْرَ مُعْجَلِ
تَجاوَرْتُ أَحْراساً إلَيْها ومعْشَراً ... علىَّ حِراصاً لو يُسِرُّوْنَ مَقْتَلِىْ
إذا ما الثُّريَّا فى السَّماءِ تَعَرَّضَتْ ... تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوِشاحِ المُفَصَّلِ
فجِئْتُ وقَد نضَّتْ لنومٍ ثِيابَها ... لدى السِّتْرِ إلَّا لِبْسةَ المُتَفَضِّلِ
فقالتْ: يَمِيْنَ اللهِ مالكَ حِيْلَةٌ ... وما إنْ أرىٰ عنكَ الغَوايةَ تَنْجلِىْ
خَرَجْتُ بها أَمْشِى تجُرُّ وراءَنا ... علىٰ أثرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ
فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحىِّ انتَحىٰ ... بنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِىْ حِقافٍ عَقَنْقَلِ
هَصَرْتُ بِفَوْدَىْ رأسِها فتَمايَلَتْ ... علىَّ هَضِيْمَ الكَشْحِ رَيّاً المُخَلْخَلِ

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُها مصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ
كبِكْرِ المُقَاناةِ البيَاضِ بصُفْرَةٍ غداها نَمِيرُ الماءِ غيرَ المُحَلَّلِ
تَصُدُّ وتُبْدِيْ عنْ أَسِيْلٍ وتتَّقِيْ بِناظِرَةٍ من وَّحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ
وجِيْدٍ كجِيْدِ الرِّئْمِ لَيسَ بِفَاحِشٍ إذا هي نصَّتْهُ ولا بمُعَطَّلِ
وفَرعٍ يزِيْنُ المَتْنَ أَسْوَدَ فاحِمٍ أَثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ
غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلىٰ العُلا تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنّى ومُرسَلِ
وكَشْحٍ لطِيفٍ كالجَدِيْلِ مُخَصَّر وساقٍ كأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ
وتُضحِي فتِيْتُ المِسْكِ فوق فِرَاشِها نَؤُومُ الضُّحىٰ لم تَنتَطِقْ عن تَفَضُّلِ
وتَعْطُو برَخْصٍ غيرَ شَثْنٍ كأنّه أَسارِيْعُ ظَبْيٍ أومَساوِيْكُ إسحَلِ
تُضِيءُ الظَّلامَ بالعِشاءِ كأنها منارةُ مُمسىٰ راهبٍ مُتَبتِّلِ
إلىٰ مثْلِها يَرنُو الحَليمُ صبابةً إذا ما اسْبَكَرَّتْ بينَ دَرْعٍ وَّمِجْوَلِ
تَسَلَّتْ عمَاياتُ الرِّجالِ عنِ الصِّبا وليسَ فُؤادِيْ عن هَوَاكِ بمُنسَلِ
أَلَا رُبَّ خَصْمٍ فيكِ أَلْوىٰ رَدَدْتُه نصيْحٍ علىٰ تعْذالِهِ غيرَ مؤْتَلِ
وليلٍ كموجِ البحرِ أَرْخىٰ سُدُولَه علَيَّ بأنواعِ الهُمُومِ لِيَبتَلِيْ
فقُلْتُ له لمّا تَمَطّى بصُلبِهِ وأردَفَ أَعْجازاً وَّ ناءَ بكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّها الليلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجلِي بصُبحٍ وما الإصباحُ مِنْكَ بأَمْثَلِ

فيـا لكَ من ليلٍ كـأنَّ نُـجُومَهُ بـأمْـراسِ كتَّـانٍ إلـىٰ صُم جَنْدَلِ
وقِـرابَةِ أقْـوامٍ جـعَـلْـتُ عِصَامَها عـلـىٰ كـاهـلٍ مِـنّـى ذَلُولٍ مُرَحَّلِ
ووَادٍ كـجَـوفِ الـعَيْـرِ قَفْرٍ قطَعْتُهُ بـه الذِّئبُ يَعوِىْ كالخَلِيْعِ المُعَيَّلِ
فـقُـلـتُ لـه لـمـا عوىٰ: إنَّ شأننا قـلـيـلُ الـغِـنـىٰ إنْ كنتَ لمّا تموَّلِ
كِـلانـاَ إذا مـا نـاَلَ شيـئـاً أفاتـهُ ومَـنْ يَحْتَرِثْ حَرْثِىْ وحَرْثَكَ يَهْزِلِ
وقـد أغْـتـدِىْ والطَّيرُ فى وُكُنَاتِها بـمُـنْـجَـرِدٍ قَيـدِ الأوَابِـدِ هَيْـكَلِ
مِـكَـرٍ مِـفَـرٍ مُـقْبِلٍ مُـدْبِـرٍ مـعـاً كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ من علِ
كُـمَـيـتٍ يَـزِلُّ اللِبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ كـمـا زلَّـتِ الـصَّـفْـوَاءُ بـالمُتَنَزَّلِ
عـلـىٰ الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كأنَّ اهْتِزَامَهُ إذا جـاشَ فيـه حَمْيُهُ غَلْىُ مِرْجَلِ
مِسَحٍّ إذا ما السّابحَاتُ علىٰ الونىٰ آثَـرْنَ الـغُـبـارَ بـالـكَـدِيدِ المُرَكَّلِ
يُـزِلُّ الـغُـلامَ الخِفُّ عن صَهْوَاتِهِ ويُـلْـوِىْ بـأثْوابِ العَنِيْفِ المُثَقَّلِ
دَرِيْـرٍ كـخُـذْرُوفِ الـوَلِيدِ أمَرَّهُ تَتَـابُـعُ كـفَّيْـهِ بِـخَيْـطٍ مُـوَصَّلِ
لـهُ أيْـطَـلا ظَبْـيٍ وَسـاقـا نعَـامَةٍ وإرْخـاءُ سِـرْحـانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ
ضَـلِيْـعٍ إذا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فرْجَهُ بِضَافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليسَ بأعْزَلِ

معلقة لبيد بن ربيعة العامري- رضى الله عنه

عَـفَـتِ الـدِيـارُ مَحلُّها فمُقَامُها ... بِـمِـنـىً تـأبَّـدَ غَوْلُها فَرِجَامُها

فَـمـدَافِـعُ الرَّيَّانِ عُرِيَّ رَسْمُها ... خَـلَقاً كما ضمنَ الوحِي سِلامُها

دِمـنٌ تـجَـرَّمَ بعدَ عَهْدِ أَنِيْسِها ... حِـجَجٌ خَلونَ حلاَلُها وحرامُها

رُزِقَـتْ مَرابِيْعَ النُّجُومِ وصَابَها ... وَدْقُ الرَّواعِدِ جَودُها فَرِهامُها

مـن كـلِّ سـارِيَةٍ وغـادٍ مُدْجِنٍ ... وعَشِيَّةٍ مُتَـجـاوِب إِرْزَامُهـا

فـعَلاَ فُرُوْعُ الأَيْهَقَانِ وأَطْفَلَتْ ... بـالـجَلْهَتَيْنِ ظِباؤُ ها ونَعَامُها

وَالْـعَيـنُ سـاكِنَةٌ علىٰ أَطْلائِها ... عُـوذاً تَـأَجَّـلَ بِالْفَضَاءِ بِهَامُها

وَجَـلا السُّيُولُ عنِ الطُّلولِ كأنَّها ... زُبُـرٌ تُـجِـدُّ مُتُـوْنَهـا أَقْلامُهـا

أورَجْـعُ واشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُها ... كِـفَـفـاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وشَامُها

فَوَقَفْتُ أَسْأَلُها وكَيْفَ سُؤَالُنا ... صُـمّـاً خَـوَالِـدَ ما يَبِيْنُ كلامُها

عَـرِيَتْ وَكانَ بِها الجَمِيْعُ فَأَبْكَرُوْا ... مـنهـا وغُـودِرَ نُـؤْيُهـا وثُمَامُها

شَـاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِيْنَ تَحَمَّلُوْا ... فَتَـكَـنَّسُـوا قُطْناً تَصِرُّ خِيَامُها

مِـنْ كُـلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ ... زَوجٌ عـلـيـه كِلَّةٌ و قِـرَامُهـا

رُجُلاً كأَنَّ نِعَاجَ تُوْضِحَ فَوْقَها ... وظِبَـاءَ وَجْـرَةَ عُـطَّـفـاً آرامُها

حُفِزَتْ وَرَايَلَها السَّرَابُ كَأَنَّها ... أَجْزَاعُ بِيشَةَ أَثْلُها ورِضَامُها
بَلْ ما تَذَكَّرُ من نوَّارَ وقَدْ نأتْ ... وَتَقَصعَتْ أَسْبَابُها ورِمامُها
مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بِفَيْدَ وجَاوَرَتْ ... أَهْلُ الْحِجازِ فأَيْنَ مِنْكَ مَرامُها
بِمَشارِقِ الجَبَلَيْنِ أو بمُحَجَّرٍ ... فتَضَمَّنَتْها فردة فَرِجَامُها
فَصُوائِقٌ إنْ أَيْمَنَتْ فمظَنَّةٌ ... فيهاوَحَافُ القَهْرِ أو طِلْخامُها
فاقْطَعْ لُبَانَةَ من تَعَرَّضَ وصْلُه ... ولَشَرُّ واصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها
وأحبُّ المُجامِلَ بالْجَزِيْلِ وصَرْمَهُ ... باقٍ إذا ظَلَعَتْ وَرَاغَ قِوامُها
بِطَلِيْحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً ... منها فَاحْنَقَ صُلْبُها وسِنَامُها
وإذا تَغالىٰ لَحْمُها وتَحَسَّرتْ ... وَتَقَطَّعَتْ بعدَ الكَلَالِ خِدَامُها
فَلَها هِبَابٌ فى الزِّمامِ كأَنَّها ... صَهْبَاءُ خَفَّ مع الجُنُوبِ جَهامُها
أو مُلْمِعٌ وسَقَتْ لاحُقَبَ لَاحَهُ ... طَرْدُ الفُحُوْلِ وضَرْبُها وكِدَامُها
يَعْلُوْ بها حَدَبَ الاكَامِ مُسَحَّجٌ ... قَدْ رابَهُ عِصْيَانُها ووِحامُها
بأَجِزَّةِ الثَّلْبُوْتِ يَرْبؤ فَوْقَها ... قَفْرَ المَرَاقِبِ خَوْفُها آرامُها
حتّىٰ إذا سَلَخَا جُمادىٰ سَتَّةٍ ... جَزْآ فَطَالَ صِيَامُهُ وصِيَامُها
رَجعَا بِأَمْرِهما الىٰ ذِىْ مِرَّةٍ ... حَصِدٍ ونُجْحُ صَرِيْمَةٍ إِبْرَامُها
وَرمىٰ دَوَابِرَها السّفىٰ وتَهَيَّجَتْ ... رِيْحُ المَصَائِفِ سَوْمُها وسِهَامُها

فَتَنازَعا سَبِطاً يَطِيرُ ظِلالَهُ كَدُخانِ مُشْعَلَةٍ يشبُّ ضِرَامُها
مَشْمولَةٍ غلثت بنابتِ عَرفَجٍ كدخان نارٍ ساطع أَسْنامُها
فمضىٰ وقدمها وكانت عادة منه إذا هى عردت إقدامها
فتوسطا عُرض السريّ وصدعا مسجورة متجاورا قُلّامها
محفوفةً وسط اليراع يظلها منه مصرّع غابةٍ وقيامها
أفتلك أم وحشية مسبوعة خذلتْ وهاديةُ الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرِمْ عرض الشقائق طوفها وبُغامها
المعفرقهد تنازع شِلْوَهُ غُبسٌ كواسبُ لايُمَنّ طعامها
صادفن منها غِرّة فاصبنها ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت واسبل واكف من ديمةٍ تروى الخمائل دائما تسجامها
يعلو طريقةمتنها متواتر فى ليلة كفر النجوم غمامها
تحتاف أصلاً قالصاً متنبذاً بعجوب أنقاء يميل هيامها
تضيئى فى وجه الظلام منيرة كجمانة البحرى سُلّ نظامها

حسان بن ثابتؓ

١-قال يرثى النبي ﷺ

ما بالُ عينك؟ لا تنام، كأنما كُحلتْ ماقيها بكحل الأرمدِ
جزعاً على المهدى أصبح ثاوياً ياخير من وطئ الحصى! لا تبعُدِ
جنبى يقيك التربَ، لهفى! ليتنى غيّبتُ قبلك فى بقيعِ الغرقدِ
أأقيمُ بعدك بالمدينة بينهم؟ يا ليتنى صبّحتُ سُمّ الأسواد
بأبى وأمى من شهدتُ وفاتهَ فى يوم الاثنين، النبى المهتدى
فظللْتُ بعدَ وفاته متبلداً يا لهف نفسى ليتى لم أولد
أو حلَّ أمر الله فينا عاجلًا فى روحة من يومنا أوفى غد
فتقوم ساعتنا، فنلقىٰ طيّباً محضاً ضرائبُه كريم المحتدِ
يا بكرَ آمنةَ المُبارك ذكرُه! ولدتكَ محصنةٌ بسعدِ الأسعدِ
نوراً اضاءَ على البريّةِ كلها من يُهدَ للنور المُباركِ يتهدِى
يا ربّ فاجمعنا معاً و نبينا! فى جنةٍ تنبى عيونَ الحُسَّدِ
فى جنة الفردوسِ، واكتُبها لنا، يا ذا الجلال وذا العُلىٰ والسُّودد
والله أسمع ما حييت بها لكِ إلا بكيتُ على النبى محمدِ

ضاقت بالأنصار البلادُ، فاصبحُوا سـوداً، وجوهُهم كلونِ الإثمدِ
ولـقـد ولـدنـــاه، وفينـا قبرُهُ وفـضـولَ نعمتِه بنا لم نجحدِ
صـلى الإلٰه، ومن يحفُّ بعرشِه وا لطيبونَ، على المُبارَكِ أحمدِ
فرحت نصارىٰ يثرب ويهُودُها لمّا توارىٰ فى الضّريحِ المُلحدِ

٢–وقال فى يوم بدرٍ

لا يـا لـقـوم! هل لما حمّ دافع؟ وهل ما مضىٰ من صالحِ العيش راجع؟
ـذكرتُ عصراً قد مضىٰ، فتهافتتْ بـناتُ الحشاء وانهلّ منى المدامع
ـسبـــابةُ وجـد ذكـرتـنـى احبّةً وقتلىٰ مضوا، فيهم نُفَيعٌ و رافع
ـسعدٌ فاضَحَوا فى الجنانِ واوحشتْ مـنـازلُهم، والارضُ منهم بلاقعٌ
ـفـوا يومَ بدرٍ للرسولِ، وفوقهم ظلالُ المنايا والسُّيوفُ اللوامعُ
ـعـا، فـاجـابـوه بـحقٍّ،وكلهم مـطيعٌ لـه فـى كـل امرٍ وسامعٌ
ـما بدّلوا، حتى توافوا جماعةً ولا يـقـطع الاجال الا المصارعُ
ـنهم يـرجُـونَ مـنـه شفـاعةً إذا لـم يـكـن الا الـنبيين شافعُ
ـذلك يـا خيـرَ العبـادِ! بلاؤُنـا ومشهـدُنا فى الله والموتُ ناقعٌ
ـنا القدمُ الاولىٰ إليك، وخلفُنا لاوّلِـنـا فـى طـاعةِ الله تـابعُ
ـنـعـلـمُ أنّ الـمُـلكَ للهِ وحـدَه وأنّ قَـضـاءَ اللهِ لا بُـدّ واقـعٌ

الحماسة

العباسُ بنُ مِرْداسِ السّلَمِيُّ

ترٰى الرجلَ النحيفَ فتزدَرِيه ... وفى أثوابِه أسدٌ مزيرُ
ويُعجِبُكَ الطريرُ، فتَبتَليه ... فيُخلِفُ ظَنَّكَ الرجلُ الطريرُ
فما عِظَمُ الرِجالِ لهُم بفخر ... ولكنَّ فخرَهُم كرَمٌ وخيرُ
بُغَاثُ الطيرِ اكثرُها فِراخاً ... وأُمُّ الصقرِ مِقْلاةٌ نَزُورُ
ضِعَافُ الطيرِ اطولُها جُسوماً ... ولمْ تَطُلِ البُزاةُ ولا الصُّقُورُ
لقد عظُم البعيرُ بغيرِ لُبٍّ ... فلم يستغْن بالعِظَمِ البعيرُ
يُصَرِّفُه الصبيُّ بكلِّ وجهٍ ... ويحبسُه علىٰ الخَسْفِ الجَريرُ
وتضْرِبُه الوَلِيْدَةُ بالهَرَاوٰى ... فلا غِيَرَ لدَيْه ولا نَكيرُ
فان آكُ فى شِرارِكم قليلاً ... فإنّى فى خِيَارِكم كثيرُ

الحماسة

سَالِمُ بنُ وابِصَةَ

ونَيرَبٍ من مَوَالى السُوءِ ذِىْ حَسَدٍ يـقتَـاتُ لحْمِى ولا يشْفِيه من قَرَمِ
دَاوَيْتُ صَدْراً طويلًا غِمْرُه حَقِدا مـنـه، قَـلَـمْـتُ اظـفَـاراً بلا جَلَمِ
بـالحَزْمِ والخيرِ أُسدِيه والحِمُه تَـقـوْى الإلٰهِ وما لم يَرْعَ من رَحِمِ
فـاصْبَـحَتْ قَوْسُه دُونِىْ مَوَتَّرةً يَـرمِـىْ عَـدُوِّىْ جِهَاراً غَيرَ مُكْتَتَمِ
انّ مـن الـحـلـم ذُلًّا أنتَ عَارِفُـه والـحِـلمُ عن قُدْرةٍ فَضْلٌ من الكَرَمِ

الفرزدق

قـال يـمدح سيدنا عليا زين العابدين حين سأل عنه الخليفة هشـام بـن عبد الملك وقد رآه يطوف بالكعبة ورأى إجلال الناس له تجاهل معرفته وقال من هذا؟

هـذا الذى تعرفُ البطحاءُ وطاتهُ والبيـتُ يـعرفُه والحِلّ والحرم
هـذا إبـنُ خيـر عبـادِ الله كلهمُ هـذا التـقـى النقى الطاهرُ العلم
هذا رأتـه قـريـشٌ قـال قـائلهـا: إلـى مـكـارم هـذا يـنتهى الكرم
هنمى إلى ذروةِ العِزّ التى قصُرت عن نيلها عربُ الإسلام والعجم

يكادُ يمسكه عرفان راحته ... رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم
فى كفه خيزران ربحه عبقٌ ... من كفّ أروعَ فى عِرنينه شمم
يُغض حياء ويفضى من مهابته ... فلا يُكلّمُ إلا حين يبتسم
ينشقّ نورُ الهُدى عن نور غُرّتِه ... كالشمس تنجابُ عن إشرافها الظلم
منشقّة من رسولِ الله نبعتُه ... طابت عناصرُه والخيم والشيم
فليس قولُك من هذا بضائره ... العربُ تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عمّ نفعُهما ... تُستوكفان ولا يعروهما عُدم
سهلُ الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينُه إثنان: حُسنُ الخلقِ والشيم
ما قال لا قط إلا فى تشهّده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعم
عمّ البريّة بالإحسان فانقشعت ... عنها الغياهب والإملاق والعدم

جرير

قال يرجو قضاء حاجة من عمر بن عبد العزيز:

كم باليمامة من شعثاءَ أرملةٍ ... ومن يتيمٍ ضعيف الصوتِ والنظر
ممن يَعدُّك تكفي فقد والده ... كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهُوف كأنّ به ... خبلاً من الجن أو مساً من البشر

إنـا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا مـن الـخـليفة ما نرجو من المطر
أتـى الخلافة أو كانت له قدراً كـمـا أتـى ربّـه مـوسىٰ على قدَر
هذى الأراملُ قد قضَيتَ حاجتها فمن لحاجة هذا الأرملِ الذكر؟

إبن الرومى

الزهاد

تتـجـافـى جـنـوبُهـم عـن وطـئ الـمـضـاجع
كـلـهـم بيـن خـائف مستـجيـرٍ وطـامـع
تـركـوا لـذة الـكـرى لـلـعيـون الهـواجـع
لـوتـراهـم إذا هـم خـطـروا بـالاصـابـع
وإذا هـم تـأوّهـوا عـنـد مـرّ الـقـوارع
وإذا بـاشـروا الثـرى بـالـخـدود الـضـوارع
واستهـلـت عيـونهـم فـايـضـات الـمـدامـع
ودعـوا: "يـا مـليـكـنـا يـا جـميـل الـصـنـايـع
اعف عـنـا ذنـوبـنـا لـلـوجـوه الـخـواشـع"
اعف عـنـا ذنـوبـنـا لـلـعيـون الـدوامـع

أنــت إن لــم يــكــن لــنــا شــــافــع خيــر شــافــع"
فـــــأجيبـــوا إجـــــابة لــم تــقــع فــى الــمســامع
"ليـــس مـــا تــصــنــعــونــه أوليـــائـــى بـــضـــائـع
وابــذلــوا لــى نــفــوسكــم إنهـــــا فـــى ودائـــعـــى"

وحيد المغنية

يــا خــلــيــلــىّ ! تيّمتنى وحيدُ
فــفــؤادى بهــا معــنّــى عــمــيــد
غــادةٌ زانــهــا مــن الــغــصــن قدٌّ
ومــن الــظــبــى مــقــلــتــان وجــيــد
وزهــاهــا من فرعها ومن الخدّ
يــن ذاك الســواد والتــوريــد
فهــى بــرد بــخــدهــا وســلام
وهــى لــلــعــاشقين جهد جهيد
مــا لــمــا تصطليه من وجنتيها
غيــر تــرشــاف ريــقهــا تبريد
مثــلُ ذاك الرضابُ أطفا ذاك ال

وجـد، لـولا الإبـاء والتصريد

☆ ☆ ☆

وغـريـر بـحسـنها قال: صفها

قـلـت "أمـران، بيـن وشديد"

يسهـل القول إنها أحسن الآشـ

ـيـاء طـرا، ويـصـعب التحديد

تتـجـلـى لـلـنـاظـرين إليهـا

فشـقـيٌ بـحسـنهـا وسـعيـد

ظبيةٌ تسكـن الـقلوب وترعا

هـاوقُـمـريّةٌ لهـا تـغـريـد

تتـغـنـى، كـأنهـا لا تـغـنـى

من سكون الأوصال، وهى تجيد

لا تـراهـا هـنـاك تجحظ عين

لك مـنهـا، ولا يـدرُّ وريـد

مـن هـدوّ وليـس فيـه انقطاع

وسـجّـو، ومـابـه تبـليـد

مـدَّ فـي شـأوٍ صوتها نفس كا

ف، كـأنـفـاس عـاشقيها مديد

وأرق الـدلال والـغـنـج مـنـه

وبـراه الشـجـا، فـكـاد يبيد

فتـراه يـمـوت طـورا ويحيـا

مستـلَـذٌّ بسيـطُـه والـنشيـد

فيه وشى، وفيه حلى من النغـ

م مـصوغ يختال فيه القصيد

طـاب فـوهـا ومـا تـرجع فيهْ

كـل شـئ لهـا بـذاك شهيـد

ثَـغَـبٌ يـنـقـع الصدى، وغناءٌ

عـنـده يـوجد السرورُ الفقيد

فـلهـا الـدهـر لا ثم مستـزيد

ولهـا الـدهـر سـامع مستعيد

فـي هـوى مثـلهـا يخف حليم

راجـح حـلـمه، ويغوى رشيد

مـا تعاطى القلوب إلا أصابت

بهـواهـا مـنهـن حيـث تـريد

وتـر الـعـزف فى يديها مضاهٍ

وتـر الـرجف، فيه سهم شديد

عيبهـا أنهـا–إذا غنت الأحـ

ـرار–ظـلوا وهم لديها عبيد

واستـزادت قلوبهم من هواها

بِـرُقـاهـا، ومـا لديهم مـزيد

وحسان عرضن لى، قلت" مهلا

عـن وحيـد، فـحقها التوحيد

حسنها فى العيون حسن جديد

فـلهـا فـى القلوب حب جديد"

المتنبى

نُـعِـدُّ الـمَشْـرِفِيَّةَ والـعَـوَالـى وتَـقْتُـلُـنـا الـمَنُونُ بلا قِتَـالِ

ونـرتَبِـطُ السَّـوابِـقَ مُقْرِبَـاتٍ ومـا يُـنْـجِيْنَ من خَبَبِ اللَّيالِىْ

ومـن لـم يعشَقِ الدُنيا قديماً؟ ولـكـنّ لا سبيـلَ الىْ الوِصَالِ

ونرتَبِطُ السَّوابِقَ مُقْرِبَاتٍ وما يُنْجِيْنَ من خَبَبِ اللَّيالِيْ
نصِيبُك فى حياتِكَ من حبيبٍ، نصِيبُك فى مَنَامِكَ من خِيالِ
رَمانى الدَهرُ بالارزاءِ، حتى فؤادِى فى غشَاءٍ من نبالِ
فصِرتُ، إذا اصابتْنى سِهامٌ تَكَسّرتِ النِّصالُ علىٰ النِّصَالِ
وهَانَ، فما أُبالِىْ بالرّزايا، لانّىْ ما انتفعْتُ بأنْ أُبالى
وهذا أوّلُ النّاعيْنَ طُرّاً لأوّلِ ميتَةٍ فى ذا الجَلالِ
كأنّ الموتَ لم يفْجَعْ بنَفْسٍ، ولم يَخْطُرْ لمخلُوقٍ بِبالِ
صلاةُ الله خالِقِنا حَنُوطٌ على الوجه المُكَفّنِ بالجمالِ
علىٰ المدْفُونِ قبل التُرْب صَوناً وقبلَ اللّحد فى كَرَم الخلّالِ
فانّ له ببَطْن الارضِ شَخصاً جديداً ذِكرُناه وهو بالِ
وما احدٌ يُخَلّدُ فى البَرايا، بلِ الدنيا تؤُلُ إلىٰ زوالِ
اطابَ النفسَ، إنّكِ متّ موتاً تمَنّتْه البوَاقى والخَوالىْ
ورُلتِ، ولم ترَى يوماً كريْهاً تسُرُّ الروحُ فيه بالزّوالِ
رِواقُ العِزّ حولكِ مُسيطِرٌ ومُلكُ علىٌّ اِبنِكِ فى كمالِ
سقَى مَثْواكِ غادٍ فى الغوادِىْ نظيرُ نوالِ كفّكِ فى النّوالِ
لِساحيْه على الأجداثِ حفْشٌ، كأيدِىْ الخَيْلِ اَبْصَرَتِ المَخَالِىْ

أُسائِلُ عنكِ بعدكِ كلَّ مجد ... وما عهدِى بمجدٍ عنكِ خالِ
يمُرُّ بقَبرِكِ العافِىُ، فيبْكِىُ، ... ويشْغُلُه البُكاءُ عنِ السّؤالِ
وما اهدَاكِ للجدْوَى عليه، ... لو أنَّكِ تقدِرِيْنَ على فعالِ
بعيشِكِ، هل سَلوْتِ؟ فإنَّ قَلْبِىُ، ... وإن جانبتُ أرْضَكِ، غيرَ سالِ
نزلْتِ على الكراهَةِ فى مكان، ... بُعِدْتِ على النُّعامِىُ والشّمالِ
تُحَجَّبُ عنكِ رائحةُ الخُزامَى، ... وتُمنَعُ منكِ انداءُ الطِّلالِ
بدارٍ،كلُّ ساكنِها غريبٌ ... طويلُ الهَجْرِ مُنْبَتُ الحِبالِ
حَصَانٌ مثلُ ماءِ المُزْنِ فيه ... كَتُومُ السِرِّ صادِقَةُ المَقالِ
يُعَلِّلُها نِطاسِىُّ الشَّكايا، ... وواحدُها نِطَاسِىُّ المعالِىْ
إذا وصفُوْا له داءً بثَغْرٍ، ... سَقَاهُ آسِنَّةَ الاسَلِ الطِّوالِ
وليسَتْ كالإنَاثِ ولا اللّواتِىْ ... تُعَدُّ لها القُبورُ من الحِجالِ
ولا من فى جنازتِها تِجارٌ، ... يكونُ وداعُها نَفْضَ النعالِ
مشىُ الأمراءُ حوليها حُفاةً ... كأن المرؤَ من زِفِّ الرِئالِ
وابرزَتِ الخُدورُ مُخَبَّاتٍ ... يَضَعْنَ النِقْسَ امكِنَةَ الغَوالِىْ
اتَتْهُنَّ المُصيبةُ غافِلاتٍ، ... فدَمَعَ الحُزنُ فى دمعِ الدّلالِ
ولو كان النساءُ كمنْ فقدْنا، ... لفُضِّلتِ النساءُ علىٰ الرجالِ

وما التَّأنيثُ لِاسمِ الشمسِ عيبٌ، ولا التَّذكيرُ فَخْرٌ لِلهِلالِ
وافْجَعُ من فقدنا مَن وجدنا قُبَيلَ الفقدِ مفقودُ المِثالِ
يُدَفِّنُ بعضُنا بعضاً، وتمشى أواخرُنا على هامِّ الأوالىْ
وكم عين مقَبَّلةِالنواحِىْ، كحِيْلٍ بالجَنادِلِ والرِّمالِ
ومُغْضٍ كان لا يُغْضِىْ لخُطْبٍ، وبالٍ كان يفكُرُ فى الهزَالِ
اسَيفَ الدَّولةِ! اِسْتَنْجِدْ بصَبْرٍ، وكيف بمِثْلِ صبْرِكِ للجِبَالِ؟
فانتَ تُعلِّمُ النَّاسَ التعزِّىْ، وخَوضَ الموتِ فى الحَربِ السِّجالِ
وحالاتُ الزّمانِ عليك شتّى، وحالُك واحدٌ فى كلِّ حالٍ
فلا غِيضَتْ بحارُكِ، يا جمُوماً علىْ عِلَلِ الغَرائبِ والدّخالِ
رأيْتُكَ فى الّذينَ ارى مُلُوكاً، كأنك مُسْتَقِيْمٌ فى مُحالِ
فإنْ تفُقِ الانامَ، وانتَ منهم فانَّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

أبو العتاهية

وله فى الوعظ

أنلهُو وأيامُنا تذهبُ ونلعبُ والموت لا يلعبُ
عجبتُ لذى لعبٍ قد لها عجبتُ ومالى لا أعجب؟
أيلهو ويلعب من نفسُه تموتُ ومنزله يخرب؟

نـرى كـلَّ مـا سـاء نـا دائمـاً عـلـى كـلِّ مـا سـرّنـا يغلِبُ
نـرى الـلـيـل يـطـلـبُنا والنهارَ ولـم نـدرِ أيهـمـا أطـلـب
أحـاطَ الـجـديـدان معـا بنـا فـلـيـس لـنـاعـنُهـمـا مهـرب
وكـل لـه مـدّةٌ تـنـقـضـى وكـل لـه أثـرٌ يُـكـتـب

ألا فى سبيل

أبو العلاء المعرّى

ألا فـى سبيل المجد ما أنا فاعلُ عـفـافٌ وإقـدامٌ وحزمٌ ونـائل
أعـنـدى وقـد ما رستُ كلَّ خفيةٍ يُـصدّق واش أو يُخَيّبُ سائل؟
تُـعـدُّ ذنـوبـى عـنـد قـومٍ كثيرةً ولاذنـبَ لى إلا العُلا والفضائل
كـأنـى إذا طُـلـتُ الـزمانَ وأهلـهُ رجـعـتُ وعندى للأنام طوائل
وقد سار ذكرى فى البلاد فمن لهم بـإخفاءِ شمسٍ ضوءُ ها متكامل؟
يهـمّ الـلـيـالى بعض ما أنا مضمر ويـثـقـلُ رَضوىٰ دونَ ما أنا حاملُ

وإنى وإن كنتُ

أبو العلاء المعرّى

وإنى وإن كنتُ الأخير زمانه لآتٍ بـمـا لـم تَستطعهُ الأوائلُ
وأغدُو ولو أنّ الصَّباحَ صوارمُ وأسرِى ولو أنّ الظلامَ جحافل

وإنـى جـوادٌ لـم يُـحلّ لجامُـه ونـضو يمانٍ أغفلته الصياقل
وإن كان فى لبسِ الفتى شرفٌ له فـما السيفُ إلا غمدُه والحمائل
ولـى منطقٌ لم يرضَ لى كُنْهَ منزلى على أننى بين السماكين نازل
لـدى مـوطنٍ يشتاقه كل سيد ويـقصرُ عن إداركه المتناول
ولما رأيتُ الجهل فى الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنى جاهل
فواعجباً كم يدّعى الفضلَ ناقصٌ وواأسـفا كم يُظهرُ النقص فاضل
وكيف تنامُ الطيرُ فى وكناتها وقـد نُصبتْ للفرقدين الحبائل

إبن الفارض

شـربـنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم
لها البدر كأس وهى شمس يديرها هـلال وكـم يبدو إذا مزجت نجم
ولـو لا شذاها ما اهتديت لحانها ولـو لا سـناها ما تصورها الوهم
ولم يبق منها الدهر غير حشاشة كـان خفاها فى صدور النهى كتم
فـإن ذكرت فى الحى اصبح اهله نشـاوى ولا عـار عـليهـم ولإثم
ومـن بين احشاء الدنان تصاعدت ولـم يبق منها فى الحقيقة إلا إسم
وإن خـطرت يوماً على خاطر امرء اقـامت بـه الافراح وارتحل الهم

ولـو نـظـر الـنـدمـان ختم انائها لا سـكـرهم من دونها ذلك الـختم
ولـو نـضـحوامنها ثرى قبر ميت لـعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا فى فئى حائط كرمها عـليلًا وقـد اشـفى لفارقه السقم
ولـو قربوا من حانها مقعداً مشى وتـنـطق من ذكرى مذاقتها البكم
ولـو عبقت فى الشرق انفاس طيبها وفـى الـغرب مزكوم لعاد له الشم
ولـو خضبت من كاسها كف لامس لـمـا ضل فى ليل وفى يده النجم
ولـو جـلـيـت سـراً علىٰ اكمه عدا بصيراً ومن راووقها تسمع الصم
ولـو ان ركبـا يـمموا ترب أرضها وفـى الركب ملسوع لما ضره السم
ولـو رسم الراقى حروف اسمها علىٰ جبيـن مـصـاب جن ابراه الرسم
وفوق لواء الجيش لو رقم اسمها لاسـكر من تحت اللوا ذلك الرقم
تهـذب أخـلاق الـندامى فيهتدى بهـا لـطـريـق العزم من لا له عزم
ويـكـرم مـن لم يعرف الجود كفه ويـحـلم عند الغيظ من لا له حلم
ولـو نـال فـدم الـقوم لثم فدامها لا كسبـه مـعـنـى شـمـائلها اللثم
يـقولون لى صفها فأنت بوصفها خبيـرآجل عندى بأوصافها علم
صـفـاء ولا مـاء ولـطف ولا هوا ونـور ولا نـار و روح ولا جسـم
تـقـدم كـل الـكـائـنـات حديثهـا قـديـمـا ولا شك هـناك ولا رسم

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم
وهامت بها روحى بحيث تمازجاً اتحاداً ولا جرم تخلله جرم
فخمر ولا كرم وآدم إلى أب وكرم ولا خمر ولى امها ام
ولطف الأ وانى فى الحقيقة تابع للطف المعانى والمعانى بها تنمو
وقد وقع التفريق والكل واحد فأرواحنا خمر واشباحنا كرم
ولا قبلها قبل ولا بعدها بعد وقبلية الابعاد فهى لها حتم
وعصر المدى من قبله كان عصرها وعهد أبينا بعدها ولها اليتم
محاسن تهدى المادحين لوصفها فيحسن فيها منهم النثر والنظم
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها كمشتاق نعم كلما ذكرت نعم
وقالوا شربت الاثم كلا ونما شربت التى فى تركها عندى الاثم
هنيئا لأهل الدير كم سكروا بها وما شربوا منها لكنهم هموا
وعندى منها نشوة قبل نشأتى معى ابدا تبقى وان بلى العظم
عليك بها صرفا وان شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
فدونكها فى الحان واستجلها به علىٰ نغم الا لحان فهى بها غنم
فما سكنت والهم يوما بموضع كذلك لم يسكن مع النغم الغم
وفى سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبدا طائعا ولك الحكم

فلا عيش فى الدنيا لمن عاش صاحيا ومن لم يمت سكرا بها فاته الحزم
علىٰ نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

أين أيام لذتى وشبابى

محمود سامى البارودى

وقال وهو بسرنديب يتشوّق إلى مصر، ويرثى صديقيه: الاستاذ الشيخ حسينا المرصفى وعبد الله باشا فكرى.

أين أيام لذتى وشبابى؟ أترايها تعود بعد الذهاب
ذاك عهد مضى وأبعد شئ أن يرد الزمان عهد التصابى
فأديرا على ذكراه انى منذ فارقته شديد المصاب
كل شئ يسلوه ذو اللب إلا ماضى اللهو فى زمان الشباب
ليت شعرى متى أرى روضة المـ نيل" ذات النخيل والأعناب
حيث تجرى السفين مستبقات فوق نهر مثل اللجين المذاب
قد أحاطت بشاطئية قصور مشرقات يلحن مثل القباب
ملعب تسرح النواظر منه بين أفنان جنة وشعاب
كلما شافه النسيم ثراه عاد منه بنفحة كالملاب

ذاك مرعى أنسى وملعب لهوى وجنى صبوتى ومغنى صحابى
لست أنساه ما حييت وحاشا أن ترانى لعَهْده غير صابي
ليس يرعى حق الوداد ولا يذ كر عهداً إلا كريم النصاب
فلئن زال فاشتياقى إليه مثل قولى باق على الأحقاب
يا نديمى من (سرنديب) كفا عن ملامى وخليانى لما بى
كيف لا أندب الشباب؟ وقد أصـ بحت كهلًا فى محنة واغتراب
أخْلَقَ الشيب جُدتى وكسانى خلعة منه رثة الجلباب
ولوى شعر حاجبى على عيـ نى حتى أطل كالهداب
لا أرى الشئ حين يسنح إلا كخيال كأننى فى ضباب
وإذا ما دعيت حرت كأنى أسمع الصوت من وراء حجاب
كلما رمت نهضة أقعدتنى ونية لا تقلها أعصابى
لم تدع صولة الحوادث منى غير أشلاء همة فى ثياب
فجعتنى بوالدى وأهلى ثم أنحت تكر فى أترابى
كل يوم يزول عنى حبيب يا لقلبى من فرقة الأحباب
أين منى (حسين؟) بل أين "عبدالله رب الكمال والآداب
مضياً غير ذكرة وبقاء الذ كر فخر يدوم للأعقاب

لم أجد منهما بديلًا لنفسى غير حزنى عليهما وإكتئابى
قد لعمرى عرفت دهرى فأنكر ت أموراً ما كن لى فى حساب
وتجنبت صحبة الناس حتى كان عوناً على التقاة اجتنابى
لا أبالى بما يقال وإن كنـ ت مليئاً برد كل جواب
قد كفانى بعدى عن الناس إنى فى أمان من غيبة المغتاب
فليقل حاسدى على كما شا ء فسمعى عن الخَنَا فى احتجاب
ليس يخفى على شىء ولكن أتغابى والحزم الف التغابى
وكفى بالمشيب وهو أخو الحز م دليلًا إلى طريق الصواب
إنَما المَرءُ صورة سوف تَبْلَى وَإنتهاء العُمْران بدءُ الخَراب

١ صَدَى الحَرْب

أحمد شوقى بك

بسيفِكَ يعلو الحقُّ اَغْلَبُ
وينصُرُ دينَ الله ايّانَ تَضْرِبُ
وما السيفُ إلّا آية المُلكُ فى الورى
ولا الأمرُ إلا الذّى يتغلّبُ
فأدّبْ به القومَ الطُغاةَ، فإنه

لـنِـعْـمَ الـمُـرَبّىٰ للطُّغاةِ المؤدّبُ

وداوِ بــه الـدولاتِ من كلّ دائهـا

فـنـعـمَ الحُسامُ الطِبّ المُتَطَبّبُ

تـنـامُ خُـطوبُ المُلكِ إن بات ساهراً

وإن هـو نـامَ استيقَظَتْ تتألّبُ

امِـنّـا الـلـيـالـى انْ نُـراعَ بحادثٍ

وأرمِيْنيا ثَكْلىٰ وحَورَانُ اَشْيَبُ

ومـمـلـكة اليونان محلولة العُرىٰ

رجاؤك يعطيها وخوفك يسلب

هـدَّدْتَ اميـرَ الـمـؤمِـنِيْنَ! كِيَانَها

بـاسـطَعَ مِثلَ الصُبْحِ لا يتَكَذَّبُ

ومـازال فـجـراً سَيفُ عُثْمانَ صادقاً

يُسارِيه من عالِىْ ذَكائِكَ كوْكَبُ

إذا مـا صَـدَعْتَ الحادِثَاتِ بحَدِّه

تَـكَشَّفَ دَاجِىْ الخَطْبِ، وانْجَابَ غَيهَبُ

يهـابَ الـعِـدٰى فيـه خلافتَكَ الّتىْ

لهُـمْ مـأرِبُ فيهـا وللّـه مـأرِبُ

٢- الهمزية النبويّة

أحمد شوقى بك

وُلِدَ الهُدىٰ فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء
(والعرش) يزهو والحظيرة تزدهى ... والمنتهىٰ و(السدرة) العصماء
وحديقة الفرقان ضاحكة الربىٰ ... بالترجمان شذية غناءُ
والوحى يقطر سلسلًا من سَلْسَلٍ ... واللوح والقلم البديع رُواء
نُظمت أسامى الرسل فهى صحيفة ... فى اللوح واسم محمد طغراء
اسم الجلالة فى بديع حروفه ... الف هنالك واسم (طٰه) الباء
يا خير من جاء الوجود تحية ... من مرسلين إلى الهدىٰ بك جاؤا
بيت النبيين الذي لا يلتقى ... إلّا الحنائف فيه والحنفاء
أخطأ الأقربون موضعها الدا ... نى وفازت بِبَيلهِ البُعَداء
ثم بعضكم علىٰ الخطب بعضاً ... أيها القوم كلّكم أبرياء
ضلّةٌ زانها الشقاء لمصر ... ومن الذنب ما يجئ الشقاء
وقضى الله للعزيز بنصرٍ ... فأتى نصره وكان القضاء
خير الأبوة حازهم لك (آدم) ... دون الأنام واحرزت حواء

هم ادركوا عزّ النبوة وانتهت ... فيها إليك العزة القعساء
خلقت لبيتك وهو مخلوق لها ... إن العظائم كفؤها العظماء
بك بشّر الله السماء فزُيّنت ... وتضوّعت مسكا بك الغبراء
وبدا محياك الذي قسماته ... حق وغرته هُدى وحياءُ
وعليه من نور النبوة رونق ... ومن الخليل وهديه سيماء
أثنى المسيح عليه خلف سمائه ... وتهللت واهتزت العذراء
يوم يتيه على الزمان صباحه ... ومساه (بمحمد) وضاء
الحق عالى الركن فيه مظفر ... فى الملك لا يعلو عليه لواء
ذُعرت عروش الظالمين فزلزلت ... وعلت على تيجانهم اصداء
والنارُ خاوية الجوانب حولهم ... خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآى تترىٰ والخوارق جمة ... (جبريل) روّاح بها غدّاء
نعم اليتيم بدت مخايل فضله ... واليُتْم رزق بعضه وذكاءُ
فى المهد يستسقىٰ الحيا برجائه ... وبقصده تُستدفع البأساء
بسوىٰ الأمانة فى الصبا والصدق لم ... يعرفه أهل الصدق والأمناء
يا من له الاخلاق ماتهوى العلا ... منها وما يتعشق الكبراء
لو لم تقم دينا لقامت وحدها ... دينا تضئ بنوره الآناء

زانتك فى الخلق العظيم شمائل يُغرىٰ بهن ويولع الكرمآء
اما الجمال فأنت شمس سمائه وملاحةُ الصديق منك إياء
والحسن من كرم الوجوه وخيره ما أوتى القُوّادُ والزعماء
وإذا سخوت بلغت بالجود المدىٰ وفعلت مالا تفعل الانواءُ
وإذا عفوت فقادراً ومقدّراً لا يستهين بعفوك الجُهلاء
وإذا رحمت فانت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرُّحماء
وإذا غَضبتَ فإنّما هى غضبة فى الحق لاضِغن ولا بَغْضاء
وإذا رضيت فذاك فى مرضاته ورِضَى الكثير تَحَلُّمٌ ورِيَاء
وإذا خطبت فللمنابر هزة تَعْرو النَّدِىّ وللقلوب بكاءُ
وإذا قضيت فلا إرتياب كأنّما جاء الخصومَ من السماء قضاء
وإذا حَميْتَ الماء لم يُورَدْ ولو أن القياصِرَ والملوكَ ظِماء
وإذا أجَرْتَ فأنت بيت الله لم يدخل عليه المستجير عداء
وإذا ملكتَ النفس قمت ببرّها ولو أن ما ملكت يداك الشاء
وإذا بنيت فخير زوج عِشْرةً وإذا ابتنيت فدونَك الآباء
وإذا صحِبتَ رأى الوفاء مُجسّما فى بردِكَ الأصحاب والخُلطاء
وإذا أخذتَ العهدَ أو أعطَيْتَه فَجميعُ عَهْدك ذمة ووفاء

وإذا مَشَيْتَ إلى العدا فغَضَنْفَرُ وإذا جريتَ فإنك النكباء

وتمدّ حِلمَك للسفيه مداريا حتى يضيق بمرضك السفهاء

فى كل نفس من سُطاك مهابةٌ ولكل نفس فى نداك رجاء

والرأى لم يُنض المهندُ دونه كالسيف لم تضرب به الأراء

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

حافظ إبراهيم

صدفتُ عن الأهواء، والحر يصدف ... وأنصفتُ من نفسى، وذو اللُّبّ يُنصف

صحبتُ الهدى عشرين يوماً وليلةً ... فَقَرَّ يقينى بعد ما كان يرجف

فُرحتُ وفى نفسى من اليأس صارمٌ ... وعُدت وفى صدرى من الحلم مصحف

وكنت كما كان إبن عمران ناشئاً ... وكان كمن فى (سورة الكهف) يوصف

كأن فوأدى إبرة قد تمغطست ... بحبك أنّى حُرّفت عنك تعطف

كأن يراعى فى مديحك ساجد ... مدامعه من خشية الله تذرف

كأنك والآمال حولك حوّم ... نمير على غطفيه طير ترفرف

وأزهر فى طِرسى يراعى وأنمُلى ... ولفظى فبات الطرس يجنى ويقطف

وجَمَّع من أنوار مدحك طاقةً ... يطالعها طرفُ الربيع فيُطرف

تهادى بها الأرواح فى كل سُحرةٍ ... وتمشى على وجه الرياض فتُعرف

إمامَ الهدىٰ !إنى أرى القوم أبدعوا ... لهم بدَعاً عنها الشريعة تَعزف

راؤا فى قبور الميتين حياتهم ... فقاموا إلى تلك القبور وطوّفوا

وباتوا عليه جاثمين كأنهم ... "على صنم للجاهلية عكّف"

فأشرِقْ على تلك النفوس لعلها ... ترِقُّ إذا أشرقتَ فيها وتلطف

فـأنت بهم كالشمس بالبحر، إنها ترد الأجـاج الملح عذبا فيُرشف
كثيـر الأيادى، حاضر الصفح، منصف كثير الأعادى، غائب الحقد، مسعف
لـه كـل يوم فى رضى الله موقف وفـى ساحة الإحسان والبرموقف
تجلى جمال الدين فى نور وجهه وأشـرق فى أثناء برديه أحنف
رأيتك فـى الإفتاء لا تُغضب الحجا كـأنك فى الإفتاء والعلم يوسف
فأنت لها إن قام فى الشرق مُرجف وأنت لها إن قام فى الغرب مرجف
كـمـلـت كـمـالًا لـو تنـاول كفره لا صبـح إيـمـانـاً بـه يتَحَنَّف

جميل وبُثين

الزهاوى

أبُثَيْنُ إن أدنىٰ العدوُّ حمامى ... بمسدّس يذكيه أو بحسام
فتجلدى عند الرزية واحسبى ... إنى اجتمعت إليك فى الأحلام
والصبرُ اجداُ إن المّتُ نكبةٌ ... بكريمةٍ يمنُونها لكرام
أبثينُ إن أودىٰ جميلُكَ خابطاً ... بدم له اهرِيُقُ فوق رغَامِ
فتدرعِىْ للخطْبِ صبراً وامسحِىْ ... من ادمُعٍ فوق الخُدُودِ سِجامِ
أنا لستُ أوّل هالكٍ فى قومه ... يرجو تقدُّمهم مع الأقوام
يأبى لهم هذا الجُمودَ ولا ينى ... يسعىٰ ليُنقِذَهم من الأوهامِ
رُمتُ الحياةَ لهم ورامُوا مقتلي ... شتّانَ بينَ مرامِهم ومرامى
ويلٌ لعبدِ الله جالبِ نكبتى ... ويل له من حاملى الأقلام
أنا لستُ وحدى أن أمتُ رهنَ الثرى ... كم من كرام فى الترابِ نيام
والشمسُ وهى اجلُّ جرمٍ بازغٍ ... مقلُوَةٌ انوارَها بظلامِ
عِشْنا زماناً فى بُلهنيةِ الرضا ... متمتعين بألفة و وئام
فإذا قُضيَتْ فكل شيئ هالك ... وإليك أهدِىْ يا بثينُ سلامى
ولئن أعشْ فسأنتهِبُ من سقطَتِىْ ... وأقومُ منتصِباً علىٰ الأقدامِ
لا تجزعِىْ يا بُثينُ إنى واثق ... ببراءَتى وعواقِبَ الأيام

سَكران

عباس محمود العقاد

هـــذا بشيـَـر الـــزمـــان فـــانُشـــر دفيـن الأمـــاني
عـــلـــى دعـــاء الـمثـــاني وضـــجّة الـــنـــدمـــان
ونـــاد بـــالـــخمـــر جوبي فـــي كـــل عـــرق طـــروب
وخـــالـــطـــى في الـقـلـوب مـــواضـــع الأحـــزان
قـــل للـــوئيـــدة عـــذراً هـــم قـــداجـــنـــوك دهـــرا
فـــجـــددي اليـــوم عـــمـــرا قـــضيتـــه فـــي الـقـنـائي
ردي حيـــاتك فيـــنـــا فـــان حييـــت حييـــنـــا
نـــعـــم وعشـــنـــا سنيـــنـــا فـــي ســـاعة مـــن زمـــان
واشـــفـــى فـــؤاد الـــكـــليـــم مـــن كـــل جـــرح قـــديـــم
فـــانـــت أم الـــنـــعيـــم يـــا بـــنـــت كَـــرم الـــجـــنـــان
وابـــعـــدي الأرض عـــنـــا وقـــربـــي الـــخـــلـــد مـــنـــا
قـــد كـــنـــت فيـــه وكـــنـــا فـــنـــحـــن بـــنـــتَـــا مـــكـــان
صـــلـــى بهـــذا الـــعـــنـــاء يـــا كـــأس مـــلك الســـمـــاء
صـــلـــى الـــردي بـــالـــبـــقـــاء والله بـــــالإنســـــان

وعلّمينا مليا كيف الملائك تحيا
وحطمي سور دنيا كثيفة الجدران
إن الجهاد حجاب وأنت للجسم باب
منه يطل التراب على الوجود الفاني
واغبطة الهالكينا لو أشبهوا الخالدينا
ألا يروغون حينا من لعنة الحرمان
هات أسفي يا نديم إن الرجاء عقيم
داء الحياة قديم معي على الأمكان
أسعد فؤاداً شجاه أحبابه وعداه
فأين يلقي مناه في غير بنت الدنان
لا تعذلونا عليها فما لجأنا إليها
الا لنلقي لديها ما ضلّ بين الحسان
ولو شفانا الغرام لما سبتنا المدام
وهل تلذك جام بعد الثغور اللدان
ولو جلون الوجودا كما نحب مسعودا
لما ابتغينا شروداً عن ظله الفينان

5

وأيـــن أيـــن الـــفـــرار وهـــل ســـوى الأرض دار

فيهـــا يـــقـــر الـــقـــرار لـــمـــطـــلـــق أولـــعـــان

اشـــرب نـــديـــمـــي ســـلافـــاً اشـــرب وأنـــت مـــعـــافـــي

مـــمـــا الـــم فـــخـــافـــا عـــلـــى أخيك الـــمـــعـــانـــي

وإن هذيت فصبر أو ضلّ رشدي فعذر

فإنما بك سكر

فرد وبي سكران

عصفور الجنة

عبد الرحمن شكرى

ألا يا طائر الفِردوس قلبى لك بستان
ففيه الزهر والماء وفيه الغصن فينان
وفيه منك أنغام وفيه منك الحان
وللأشجار أوتار ونايات وعيدان
ألا يا طائر الفردوس إن الشعر وجدان
وفى شدوك شعر النفس لا زور وبهتان
فلا تقتد بالناس فما فى الخلق إنسان
وجُدْلِى منك بالشعر فإنا فيه إخوان
ألا يا طائر الفردوس قلبى منك ولهان
فهل تأنف من روضى وما فى الروض ثعبان؟
وهل تنفر من جوِّى وما فى الجو عقبنا؟
وهل تنفر من قلبى كأن القلب خَوَّان
فما لى منك إسعاد ولا لى منك لقيان
وللأقدار أحكام وللمخلوق إذعان

حِضْنُ الأمِّ

رشيد سليم الخوري

أتـذكـرُ كيفَ كـان الـه موسىٰ ... الهـاً قـاسيـاً يلتـذّ بـالـدم
إذا فإليك كيف غداً مسيحاً حنُوناً ... عـلينـا إن تـألمنـا تـألم
روى الـراوون أن عتـروا المصر ... علىٰ درج غـريـب الـحظ مبهم
فـحـاول فهمـه الـعلمـاء لـكن ... بـدا الـجمـاعةالـعلمـاء طِلسم
إلـى أن حلّـه الشعـراء شعـرا ... ومـن بـالشعـر كـالشعراء يفهم
وذلك أنـــهُ مـن قبـل عيسىٰ ... تـوفىّ شـاعـرٌ فـى الشرقِ ملهم
أضـاعَ الـعمرَ فى طلب المعاصى ... يـحـلـل مـا كتـابُ اللّٰه حـرّم
فـكـادَ إلـى الـلُظى يُـلقى جزاءً ... لـمـا مـن سيئ الأعـمـال قدّم
ولـكـن بـره الأبـويـن غـطى ... جـرائـمـه فـخـلص من جهنم
وجـــازاه الالـــه جـزاءَ عبـد ... تـقى حسبـمـا فـى الـكتب علم
فـنـام بـحـضـن إبـراهيـم لكن ... قبيـل الـفـجـرِ شـاعرُنـا تبرم
وقـــام لـربـــه يشكـو ويبكـى ... بـكـاء صيـر الـفـردوس مـأتم
فهـدّأ روعـــه وحـنـا عليـــه ... وطيـب قـلبـه بـحـنـانـه الجمّ
ووســـده يـديـــه ورُكبتيـــه ... ومـال عـليـه بـالتـقبيل والضم

وقـــال لـعبـده داؤد رنـم لهـذا البـلبـل البـاكـى فـرنـم
فـنـام بـحـضـنـه الأبوى حينـا وعـاد يسـاقـطُ الـعبرات عندم
إلـى أن ضـج اهـلُ الـخـلـدِ غيظاً وصـاح الله مـن غـضب إلى كم
أطيـق تـذمّـراً مـن عبـد سـوء يُـجـرَّعُ كـوثـراً فيـقـول علقم
تـظـلـم فـى الثـرى مـن غير ظُلم و حتـى فـى الـنـعيـم معى تظلم
أرى الشـعـراء جـازوا الـحد إنى أكـادُ لـخـلـقـى الشعـراء أندمُ
عـلام بـكـاك يـاهـذا ومـاذا دهـاك فـلاتـنـىٰ تشـكـو تكلم
أصـفـحـى عـنك قـد أبكاك أم ما جُـزيـتَ بـه من الاحسان أم أم
فـصـاح الـعـفـوَ يـا مولاى من لى سـواكَ ومن سوى الرحمٰن يرحمُ
اتيتكَ راجيـا نـقـلـى لـحضـنٍ أحـــب الـىّ مـن هـذا واكـرَمِ
لـحِضْـنِ طـالَـمـا قد نمتُ فيـه قـريـرَ الـعيـنِ بينَ الضمّ والشمّ
امـا الـقيـتَ رأسَكَ فـوقَ صـدرٍ حَـنُـون خـافـق بـمـحبةِ الامّ
فَـدعُـنِـى مـن نـعيـمِ الـخـلدِ انّ نـعِيْـمِـى بين ذاكَ الصدرِ والفمِ
تُـربّـتـنـىُ كـعـادَتِهـا بـرفْـقٍ وتُـنْـشِـدُ نَـمْ حبِيْبِـىُ بـالهَنـانَمْ
فـاطـرَقَ سيّـدُ الاكـوانِ طَـرّا لِشَـكْـوٰى شـاعِـرِ الغَبَراءِ واُهتَمّ
وقـالَ لِـنَـفسِـه ذا مُستَـحِيْـلٍ أيَـعْـلَـمُ شـاعـرٌ مـا لسْتُ آعلمُ

اَيَـنْـعَـمُ خـاطئٌ فى الأرض قبلِىْ بـما أنا لسْتُ فى الفِرْدَوسِ آنْعمُ
سـأكْشِفُ سِـرَّ حِـضْنِ الامِّ هذا ولـو كُـلِّـفْـتُ أن اشـقىْ واعْدَمُ
وكـــانـــتْ ليـلةٌ وإذا صَبـــىٌّ صَـغِيْـرٌ نـائـمٌ فـى حِـضْنِ مَرْيَمَ

صلوات فى هيكل الحب

أبو القاسم الشابى

عـذبة أنـتِ كالطفولة، كالأحلام كـالـلـحـن، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء كـالـورد، كـابتسـام الوليد
يـا لهـا مـن وداعة وجـمـال وشبـاب مُـنـعـم أملـود!
يـا لهـا من طهارة، تبعثُ التقديـ س فى مهجة الشقىّ العنيد!...
يـا لهـارقة تـكـادُ يـرف الـوردُ مـنها فى الـصخرة الـجلمود!
أىّ شـئ تُراك؟ هل أنتِ "فينيس" تهـادتْ بيـن الورى من جديد
لِتـعيـدَ الشبـابَ والـفـرح الـمعسـولَ لـلـعـالـم التـعيـس العميد!
أم مـلاكُ الـفـردوس جـاء إلى الأر ـض ليُحيِ روحَ السلام العهيد!
أنـتِ...، مـا أنـتِ؟ رسمٌ جميلٌ عبـقـرىٌّ مـن فنّ هذا الوجود
فيك مـا فيـه مـن غـموضٍ وعمقٍ وجـمـالٍ مـقـدّسٍ معبـود

أنـتِ، ما أنتِ؟ أنتِ فجرٌ من السحر تـجـلّـى لـقـلبـي الـمـعـمـود
فأراه الـحياة فـى مـونقِ الحسن وجـلّـى لـه خـفـايـا الخلود
أنـتِ روح الـربيـع، تـخـتـال فـى الدنيا فتهتزُّ رائعاتُ الورد وتهبّ
الـحيـلـة سـكـرى مـن الـعِـطـر، ويـدوى الـوجـودُ بـالـتـغـريـد
كـلـمـا أبـصـرتكِ عيناىَ تمشين بـخـطـوٍ مـوقـع كـالـنشيـد
خـفَـقَ الـقلبُ لـلـحيـاة، ورفّ الـزهـرُ فـى حـقـل عـمـرى المجرود
وانتشـتْ روحـى الكئيبة بالحب وغـنـت كـالـبـلـبـل الـغـريـد
أنـتِ تـحـيـيـنَ فـى فؤادىَ مـا قد مـات فى أمسى السعيدِ الفقيد
وتشيـديـن فـى خـرائـب روحى مـا تلاشى فى عهدى المجدود
مـن طموح إلى الجمال إلى الفنّ، إلـى ذلك الـفـضـاء الـبـعـيـد
وتبثيـن رقة الشـوق والأحـلام والشدو، والهوى، فى نشيدى
بـعـد أن عـانقـت كـآبةُ أيـامـى فـؤادِى، وألـجـمـتْ تـغـريـدى
أنـت أنشـودة الأنـاشـيـد غنـاك إلاه الـغـنـاء، ربُّ الـقـصـيـد
فيكِ شـبّ الشبـاب، وشحه السحر وشدو الهوى، وعِطرُ ا لورود
وتـراء ى الـجمال، يرقص رقصاً قُـدسيـا، على أغانى الوجود
وتهـادتْ فـى أفق روحكِ أوزانُ الأغـانـى، ورقةُ الـتـغـريـد

فتمايلت فى الوجود، كلحن عبقرى الخيالِ حلوِ النشيد:
خطواتٌ، سكرانةٌ بالأناشيد، وصوتٌ، كرجع ناىٍ بعيد
وقوامٌ، يكاد ينطق بالألحان فى كلِّ وقفةٍ وقعود
كلُّ شئ موقع فيك، حتى لفتة الجيد، واهتزازُ النهود
أنتِ، أنتِ الحياة فى قدسها السامى، وفى سحرها الشجىّ الفريد
أنت، أنت الحياةُ، فى رقة الفجر فى رونق الربيع الوليد
أنتِ، أنت الحيلة كل أوان فى رواءِ من الشباب، جديد
أنتِ، أنتِ الحيلة فيك وفى عينيك آياتُ سحرها الممدود
أنتِ دنيا من الأناشيد والأحلام والسحر والخيال المديد
أنتِ فوق الخيال، والشعرِ، والفنّ وفوق النهى وفوق الحدود
أنتِ قدسى، ومعبدى، وصباحى وربيعى، ونشوتى، وخلودى
يا إبنة النور، إننى أنا وحدى من رأى فيك روعة المعبود
فدعينى أعيشُ فى ظلك العذب وفى قرب حُسنك المشهود
عيشة للجمال، والفن، والإهام والطهر، والسنى، والسجود
عيشةَ الناسك البتول يُناجى الر ب فى نشوة الذهول الشديد
وامنحيى السلام والفرحَ الروحىّ حى يا ضوءَ فجرىّ المنشود

وارحمينى فقد تهدّمتُ فى كو ن من اليأس والظلام مشيد
أنقذينى من الأسى، فلقد أمسيتُ لا أستطيع حملَ وجودى
فى شعاب الزمان والموت أمشى تحت عبءِ الحياة جم القيود
وأماشى الورى ونفسى كالقبر، وقلبى كالعالم المهدود:
ظلمة، ما لها ختام، وهول شائعٌ فى سكونها الممدود
وإذا ما استخفنى عبثُ الناس تبسّمتُ فى أسى وجمود
بسمة مرة، كأنى أستلّ من الشوك ذابلاتِ الورود
وانفخى فى مشاعرى مَرَحَ الدنيا وشدّى من عزمى المجهود
وابعثى فى دمى الحرارة، علىّ أنفنى مع المنى من جديد
وأبث الوجودَ أنغام قلب بُلبلىّ، مكبّل بالحديد
فالصباحُ الميلُ يُنعش بالدفءِ حياةَ المحطمّ المكدود
أنقذينى، فقد سئمت ظلامى! أنقذينى، فقد مللتُ ركودى؟
يا زهرتى الجميلة لو تدرين ما جَدّ فؤادى فى الوحد
فى فؤادى الغريبِ تخلقُ أكوانٌ من السحر ذاتُ حسن فريد
وشموس وضاءةٌ ونجوم تنثر النورَ فى فضاءٍ مديد
وربيع كأنه حُلُمُ الشاعر فى سكرة الشباب السعيد

ورياض لا تعرف الحلك الداجي ولا ثـــورةَ الـــخريف الـــعتيد
وطيـــور ســـحـــرية تتـــنـــاغـــى بـأناشـــيدَ حلـــوةِ الـــتغريـد
وقصور كأنها الشفَقُ المخضُوب أو طـلـعةُ الـصبـاح الـوليـد
وغيـــوم رقيـــقة تتهـــــادى كـــأبـاديـدَ من نُثـارِ الورود
وحـــياةُ شـــعرية هى عنـدى صـــورة مـــن حياة أهل الخلود
كـل هـذا يشيـده سـحـر عينيك وإلهـــام حسـنك الـمـعبـود
وحـرام عـليكِ أن تهـدمى مـا شـادهُ الحسنُ فى الفؤاد العميد
وحـرام عـليك أن تسـحـقـى آمـال نـفـس تصبو لعيـشٍ رغيد
مـنكِ تـرجـو سـعـادةً لم تجدها فى حياة الورى وسحر الوجود
فـالإلاهُ الـعـظيـمُ لا يـرحُمُ العَبدَ إذا كـان فـى جـلال السجود

معلقة زهير بن أبي سلمىٰ

زهير بن أبي سلمىٰ

امن أمّ أو فى دمنةٌ لم تكلم ... بحومانةِ الدّراج فالمتثلّم
ودار لها بالرقمتين كانها ... مراجيع وشم فى نواشر معصم
بها العين والآرآم يمشين خلفة ... واطلآءُ ها ينهضن من كل مجثم
وقفتُ بها من بعد عشرين حجة ... فلا يا عرفتُ الدار بعد توهم
اثافىّ سفعا فى معرّس مرجلٍ ... ونويا كجذم الحوض لم يتثلّم
فلما عرفتُ الدارَ قلتُ لربعها ... الا انعم صباحا أيها الربعُ واسلم
تبصر خليلى هل ترىٰ من ظعائن ... تحمّلن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنه ... وكم بالقنان من محل ومحرم
علون بأنماط عتاق وكلة ... وراد حواشيها مشاكهة الدم
وورّكن فى السوبان يعلون متنه ... عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة ... فهن ووادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للطيف ومنظر ... انيق لعين الناظر المتوسم
كان فتات العهن فى كل منزل ... نزلن به حب الفنا لم يحطم
فلما وردن الماءَ زرقا جمامه ... وضعن عصىَّ الحاضر المتخيم

ظهرن من السوبان ثم جزعنه ... على كل قينىّ قشيب ومفام
فأقسمتُ بالبيت الذى طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ود قوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن ... بعيدَين فيها من عقوق وماثم
عَظيمين فى عليا معد هديتما ... ومن يستبح كنزا من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت ... ينجمها من ليس فيها بمجرم
ينجمها قوم لقوم غرامة ... ولم يهريقوا بينهم ملءَ محجم
فاصبح يجرى فيهم من تلادكم ... مغانمُ شتى من افال مزنم
الا ابلغ الاحلاف عنى رسالة ... وذبيان هل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ... ليخفىٰ ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخّر ... ليوم الحساب أويعجل فينقم
وما الحرب الا ما علمتم وذقتموا ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضريتموها فتضرم
فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم

فتنتج لكم غلمانَ اشأمُ كلهم ... كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها ... قرى بالعراق من قفيزو درهم
لعمرى لنعم الحى جر عليهم ... بمالايواتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحا على مستكنة ... فلاهو ابداها ولم يتقدم
وقال ساقضى حاجتى ثم اتقى ... عدوى بالف من ورائى ملجم
فشد ولم يفزع بيوتا كثيرة ... لدى حيث القت رحلها ام قشعم
لدى اسد شاكى السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم
جرى متى يظلم يعاقب بظلمه ... سريعا وإلا لم يبد بالظلم يظلم
رعوا ظمأ هم حتى إذاتم اوردوا ... غمارا تفرىّ بالسلاح وبالدم
فقضوا منا يا بينهم ثم اصدروا ... الى كلإٍ مستوبل متوخم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم ... دم إبن نهيك او قتيل المثلم
ولاشاركتَ فى الموتِ فى دم نوفل ... ولا وهب منها ولا إبن المخزم
فكلا اراهم اصبحوا يعقلونه ... صحيحات مال طالعات بمخرمٍ
لحى حلال يعصمُ الناس امرهم ... إذاطرقتْ احدى الليالى بمعظم
كرام فلاذو الضغنِ يدركُ تبله ... لديهم ولا الجانى عليهم بمسلم
سئمتُ تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولا لا ابالك يسام

واعلم ما فى اليوم والامس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عمِ
رايتَ المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم
ومن لا يصانع فى امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتّق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه الى مطمئنّ البرّ لا يتجمجم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه وإن يرق اسباب السّمآء بسلم
ومن يجعل المعروف فى غير اهله يكن حمده ذما عليه ويندم
ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالى ركبت كل لهذم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لايكرم
ومهما تكن عندا امرئ من خليقة ان خالها تخفىٰ على الناس تعلم
وكائن ترىٰ من صامتٍ لك معجب زيادته أو نقصه فى التكلم
لسانُ الفتىٰ نصف ونصفٌ فؤاده فلم يبقَ الا صورةُ اللحم والدم
وإنّ سفاه الشيخ لا حلمَ بعدَه وإنّ الفتىٰ بعد السفاهة يحلم
سألنا فاعطيتم وعدنا فعدتم ومن اكثر التسال يوما سيحرمِ

"نحن الكرام"

حسان بن ثابت

نحن الكرامُ فلا حيٌّ يعادِلنا ... منّا الملوكُ وفينا يُقسم الرُبُع

وكم قَسَرْنا من الأحياء كلّهم ... عند النهابِ وفضلُ العزّ يُتّبعُ

ونحنُ نُطعِم عند القحطِ مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنسِ القزَعُ

ثم ترى الناسَ تأتينا سَراتُهم ... من كل أرضٍ هُوِيّا ثم نصطَنِعُ

فنَنْحَرُ الكُومَ عَبطا في أرمتِنا ... للنّازلين إذا ما أنزِلوا شبِعُوا

فلا ترانا إلى حي نُفاخرهم ... إلا استقادُوا وكانوا الرأسَ يُقتَطَعُ

إنا أبينا [ولا]يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عند الفخر نرتفعُ

فمن يُقادرُنا في ذاك يعرِفُنا ... فيرجِعُ القومُ والأخبارُ تُستمَعُ

السَّمَؤال

إذا المرءُ لم يدنَس من اللُّؤم عِرضُه ... فكل رداءٍ يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمَها ... فليس إلى حُسن الثناء سبيل

تُعَيّرُنا أنا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها: إنّ الكرامَ قليل

وما قلّ من كانت بقاياه مثلنا ... شباب تسامى للعُلا وكُهُول

وما ضرّنا أنّا قليل وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتلُه من نجيرُه منيع يرد الطرقَ وهو كليل
رسا أصله تحتَ الثرى وسما به إلى النجم فرعٌ لا ينالُ طويل
هو الأبلقُ الفردُ الذى شاع ذكره يعزّ على من رامه ويطول
وإنا لقوم لا نرى القتلَ سُبّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلول
يُقرّبُ حبُّ الموتِ آجالنا لنا وتكرهُه آجالُهم فتطول
ما مات منا سيدٌ حتف أنفه ولا طُلَّ مِنّا حيثُ كان قتيل
تسيلُ على حدِّ الظُّباتِ نفوسُنا وليست على غير الظُّبات تسيل
صَفَونا ولم نكدُر وأخلص سِرّنا إناءٌ أطابت حَمَلنا وفُحول
علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول
فنحنُ كماءِ المُزْنِ ما فى نصابنا كهامٌ ولا فينا يُعدُّ بخيل
ونُنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ
إذا سيدٌ منا خلاق ام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعول
وما أخمدَتْ نار لنا دونَ طارقٍ ولا ذَمَّنا فى النازلين نزيل
وأيّامنا مشهورة فى عدُوّنا لها غُرَرٌ معلوم وجحول
وأسيافُنا فى كل شرق ومغرب بها من قِراعِ الدارعين فُلول

مُعوَّدةٌ ألا تُسل نِصالُها فتُغمد حتى يُستباحَ قتيل
سَلى إن جَهِلتِ الناسَ عنا وعنهم فليس سواءً عالمٌ وجَهُول

الخنساء

ترثى صخراً

اعينى جودا ولا تجمدا الا تبكيان لصخر النّدىٰ
الا تبكيان الجواد الجميل الا تبكيان الفتى السّيدا
رفيع العماد وطويل النّجاد ساد عشيرته امردا
إذا بسط القوم عند الفضال اكفّهم تبتغى المحمدا
وكان ابتدارهم للعلاء سار فمدّ إليه يدا
فنال الذى فوق ايديهم من المجد ثم مضى مصعدا
يحمل القوم ما عالهم وإن كان اصغرهم مولدا
جموع الضيوف إلىٰ بيته يرى افضل الكسب ان يحمدا
وإن ذكر المجد الفيته تازر بالمجد ثمّ ارتدى
غياث العشيرة ان امحلوا يهين التّلاد ويحيى الجدا

الحماسة

معن بن أوس المُزنىّ

لعَمْرُك ما ادرى وإنى لاوجل ... علىٰ اينا تغدُو المنية أول
وإنى أخوك الدائمُ العهدِ لم اخن ... إنِ ابزاك خصمٌ أو نبابك منزل
أُحارب مَن حاربتَ من ذى عداوة ... واحبسُ مالى ان غرمتَ فاعقِل
وان سؤتَنى يوما صفحتُ الىٰ غدٍ ... ليُعقبَ يوما منك أخر مُقبل
كأنك تشفي منك داءَ مساء تى ... وسُخطى وما فى ريبتى ما تعجّل
وإنى علىٰ اشياءَ منك تُريبنى ... قديما لذو صفح علىٰ ذاك مجمِل
ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعتنى ... يمينك فانظر أىّ كفٍّ تبدّل
وفى الناس ان رثّت حبالُك واصلٌ ... وفى الأرض عن دارِ القِلىٰ مُتحوَّل
إذا أنت لم تُنصف اخاك وجدتة ... علىٰ طرف الهجرانِ ان كان يعقل
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنتُ إذا ما صاحب رام ظنتى ... وبدّل سوءً بالذى كنت افعل
قلبتُ له ظهر المجنّ فلم ادُمْ ... على ذاك الا ريثما اتحول
إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد ... اليه بوجه أخر الدهر تُقبل

الحماسة

المؤمّل بن أُمَيل المُحارِبيُّ

وكم من لئيمٍ ودّانى شتمتُه وإن كان شتمى فيه صاب وعلقم

وللكفُّ عن شتم اللئيمِ تكرّماً اضرُّ له من شتمه حين يُشتم

الحماسة

رجل من بنى قُرَيع وهو المعلوط

متى ما يرى الناسُ الغنىَّ وجاره فقير يقولوا عاجز وجليد

وليس الغنىٰ والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظٍ قُسّمت وجدود

إذا المرء اعيته المروّةُ ناشئاً فمطلبُها كهلا عليه شديد

وكائن رأينا من غنيٍّ مُذَمَّمٍ وصُعلوكِ قومٍ مات وهو حميد

وانّ يُمسى ويُصبح سالما من الناس الاما جنىٰ لسعيد

ابق في نعمة بقاء الدهور

أبو العلاء المعرى

نـافـذ الامـر فـى جميع الأمور ... خـاضـعـاتٍ لك الـكواكبُ تختص

مـواليك بـالـمـحـلِّ الأثيـر

لايـؤثـرن فـى الـولـى ولاالـحـا ... سـد حتـى تشيـر بـالتـاثيـر

وتهـنَّ الـنُّـعـمى السنية والبـس ... حـلـل الـمجـد والـفعـال الـخطيـر

وتـمتـع بـنـضـرة الـعيـش إذ جـا ... عتك فـى رونـق الـزمـان النضيـر

خيـر يـدى الـزمـان عـنـد بنى الدنـ ... ـيـاأتـت فـى أوان خيـر الشهـور

كـنـت مـوسـى وافَتْك بـنـتُ شعيب ... غيـر أن ليـس فيكـمـا مـن فـقيـر

لـم يكـن قـصـرك الـمُنيف ليستـن ... زل إلا أعـلـى بـنـات الـقـصـور

رحـلـت مـن فـنـائه شهبٌ ليستنـ ... ـمان خـوفـا مـن ضـوع فـجر منير

كـان كـالأفـق حيـن هـمت بـه الشمـ ... ـس تـنـادت نـجـومُـه بـالـمسير

يـالهـا نـعـمة وليـس ببدع ... أن تـحـوز الشـمـوس رقَّ البـدور

دُرّةٌ مـن ذراك تسـكـن بـحـرا ... وكـذا الـدر سـاكـن فـى السبـحـور

انت شمس الضحى فمنك يفيد الصبـ ... ـح مـا فيـه مـن ضيـاء ونـور

قـد اتـاك الـربيـع يـفـعـل مـاتـا ... مـره فـعـلَ عبـدك الـمـامـور

وكسـا الارضَ خـدمة لك يـامـو ... لاه دون الـمـلـوك خُـضـرَالـحـريـر

فهـى تـخـتـال فـى زبـرجـدة خضـ ... ـضَ بثـوب مـن الـنـبـات قـصـيـر

ظل للناس يوم عقدك هذا لامـ ... رَ عيدٌ سموه عيد السرور
إن يكن عيدهم بغير هلال ... فالهلال المنير وجه الامير
راقهم منظراً وهابوه خوفًا ... فهو ملءُ العيون ملءُ الصدور
سرَّ أهل الأمصار والبدو حتى ... جازهم عامدا لأهل القبور
رد أرواحهم فلولا حذار الـلّ ... ه قاموا من قبل يوم النشور
لحق القوم باللطيف الخبير ... حلبٌ للولى جنة عدن
وَفَىَ للغادرين نار سعير ... والعظيم العظيم يكبر فى عينيـ
ه منها قدر الصغير الصغير ... فُقويقٌ فى أنفس القوم بحر
وحصلة منها نطير ثبير ... عشت حتى يعود أمس لعلمى
نه لا يعود بعد المرور ... فادعاءُ الملوكِ غيرِك إدرا
كَ المعالى دعوى شقاق وزور

أمن ازديارك فى الدجىٰ الرقباء

المتنبى

امن ازديارك فى الدجىٰ الرقباء ... اذ حيث كنتِ من الظلام ضياء
قَلَقُ المليحة وهى مسك هتكها ... ومسيرُها فى الليل وهى نكاء
اسفى على آسَفى الذى دَلَّهتنى ... عن علمه فيه علىٌّ خفاء
وشَكِيّتى فقد السقام لانه ... قد كان لما كان لى اعضاءُ

مثّلتِ عينكِ فى حشاىَ جراحةً، فتشابها كِلْتاهما نجلاء
نفذَتْ علىَّ السابِرىَّ، وربما تندقُّ فيه الصعدةُ السمراء
أنا صخرة الوادى إذا ما رُوحمت، وإذا نطقتُ فاننى الجوزاءُ
وإذا خفيتُ على الغبىّ فعاذر، ان لا ترانى مُقلة عمياء
شيمُ الليالى ان تُشكك ناقتى، صدرى بها افضىٰ ام البيداء
فتبيت تسئدُ مسئدا فى نيها اسادها فى المهمة الانضاء
انساعها ممغوطةوخفافُها منكوحة وطريقها عذراء
يتلون الخريتُ من خوف التوى فيها، كما تتلوّن الحرباء
بينى وبينَ ابى على مثله شم الجبال، ومثلهن رجاء
وعقابُ لُبنان، وكيف بقطعها؟ وهو الشتاء، وصيفهن شتاء
لبس الثلوج بها على، مسالكى، فكأنها ببياضها سوداء
وكذا الكريم إذا اقام ببلدة سال النضارُ بها وقام الماء
جمد القطارُ، ولو رأته ،كما ترى، بُهتت، فلم تتبجّس الانواء
فى خطه من كل قلب شهوة، حتى كأن مداده الاهواء
ولكل عينٍ قُرّة فى قُربه، حتى كان مغيبه الاقذاء
من يهتدى فى الفعل مالا تهتدى فى القول، حتى يفعل الشعراء
فى كل يوم للقوافى جولة فى قلبه ولاذنه إصغاء

وإغـــارة فيما احـتواه، كـأنـما ... فـــى كـل بيـــت فيلـقٌ شهبـاء
مـن يـظـلـمُ الـلـؤمـاء فى تكليفهم ... ان يـصبـحـوا، وهم لـه أكـفـاء
ونـذيـمُهم، وبهـم عـرفنا فضله؟ ... وبـضـدهـا تتبيـنُ الأشيـاء
مـن نـفُـعـه فـى أن يُهـاج وضـرُّه ... فـى تـركـه لـو تـفـطُن الاعـداء
فـالسّـلـم يكسر، من جناحى ماله ... بـنـوالـه، مـا تـجبُـرُ الهيـجـاءُ
يُعطى فتُعطىٰ، من لُهى يده اللُّهى، ... وتُـــرىٰ بـــرؤية رأيـــه الأراء
متـفـرق الـطعمين، مجتمع القُرىٰ ... فـكـــأنـــه السـرّاء والـضـرّاء
وكـــأنـــه مـــا لاتشـاءُ عُـداتـه ... متـمثّـلا لـوفـوده مـا شـاء وا
يـا أيهـا الـمُجدى عليه روحُـه! ... إذ ليـس يـأتيـه لهـا استجداء
احـمد عُفاتَك، لا فُجعتَ بفقدهم، ... فـلتـركُ مـا لـم يـأخذوا اعطـاء
لا تـكـثُـرُ الامـــــواتُ قـلةٍ ... إلا إذا شَـقِيَـتْ بك الاحيـــاء
والـقـلـبُ لا يـنشقُّ عـمـا تحتَـه ... حتـى تـحُـلَّ بـه لك الشَّحْـنـاءُ
لـم تُسمَ يـا هـرون الابـعد ما اقـ ... ـترَعَـتْ ونـازعـت اسمك الاسماء
فـغدوتَ واسمك فيك غيرُ مشارك ... والـنـاس فيمـا فـى يديك سواء
لَـعـمـت، حتـى الـمدنُ منك ملاءُ ... وَلـفُـتَّ، حتـى ذا الثـنـاءُ لـفـاءُ
ولـجُـدت حتى كدت تبخل حائلا ... لـلـمـنتهى ومـن السُّرور بـكـاء
أبـدأت شيـئا، منك يُعرف بدؤه، ... واعـدت، حتـى أُنـكـر الابـداء

فالفخرُ عن تقصيره بك ناكبٌ، والمجد من ان تُستزاد براء
فإذا سُئِلتَ، فلا لانك محوج، وإذا كُتِمت، وشت بك الأعداء
وإذا مُدحتَ، فلا لتكسبَ رِفعةً، للشاكرين على الاله ثناء
وإذا مُطِرت، فلا لانك مجدِبٌ يُسقى الخصيبُ وتُمطر الداماء
لم تحكِ نائلك السحابُ، وإنما حُمِّت به فصيبها الرّحضاء
لم تلقَ هذا الوجهَ شمسُ نهارنا الا بوجه ليس فيه حياء
فبايما قدم سعيت الى العلى، أُدم الهلال لاخمصيك حذاء
ولك الزمانُ من الزمان وقاية ولك الحمام من الحمام فداء
لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو، عِقمَتْ بمولدِ نسلها حوّاءُ

وقال يمدح عمربن عبد العزيز

جرير

ابت عيناك بالحسن الرّقادا وانكرت الاصادق والبلادا
لعمرك انّ نفع سعاد عنّى لمصروف ونفعى عن سعادا
فلا دية سقيت وديت اهلى ولا قودا بقتلى مستفادا
الما صاحبىّ مزر سعاد لقرب مزارها وذر البعادا
فتوشك ان تشط بنا قذوف تكلّ نياطها القلص الجيادا

ليك شماتة الاعداء اشكو ... وهجرا كان اوّله بعادا
فكيف إذا نأت ونأيت عنها ... اعزّى النفس أو ازع الفؤادا
اتيح لك الظعائن من مراد ... وما خطب اتاح لنا مرادا
اليك رحلت يا عمر بن ليلىٰ ... علىٰ ثقة ازورك واعتمادا
تعوّد صالح الأعمال انى ... رأيت المرء يلزم ماستعادا
اقول إذا اتين علىٰ قرورى ... وأل البيد يطّرد اطّرادا
عليكم ذا الندى عمر بن ليلى ... جوادا سابقا ورث الجيادا
الى الفاروق ينتسب إبن ليلى ... ومروان الذى رفع العمادا
نزوّد مثل زاد ابيك فينا ... فنعم الزاد زاد ابيك زادا
فما كعب بن مامة وإبن سعدى ... باجود منك يا عمر الجوادا
هنيئا للمدينة إذا اهلّت ... باهل الملك ابدأ ثم عادا
يعود الحلم منك علىٰ قريش ... وتفرج عنهم الكرب الشّدادا
وقد ليّنت وحشهم، برفق ... ونعى الناس وحشك ان تصادا
وتبنى المجد يا عمر بن ليلى ... وتكفى الممحل السنة الجمادا
وتدعو الله مجتهدا ليرضى ... وتذكر فى رعيتك المعادا
ونعم اخو الحروب إذا ترذّى ... على الرّغف المضاعفة النجادا
وانت إبن الخضارم من قريش ... هم نصروا النبوّة والجهادا

وقادوا المؤمنين ولم تعوّد غدلة الرّوع خيلهم القيادا
إذا فاضلت مدّك من قريش بحور غمّ زاخرها الثمادا
وإن تندب خؤولة أل سعد تلاقى الغرّ فى السّلف الجعادا
لهم يوم الكلاب ويوم قيس هراق على مسلّحة المزادا

أرج النسيم

إبن الفارض

أرج النسيم سوى من الزوراء سحرا فاحيا ميت الاحياء
اهدا لنا ارواح نجد عرفه فالجو منه معنبر الارجاء
وروى احاديث الاحبة مسندا عن اذخر باذاخر وسحاء
فكسرت من ريا حواشي برده وسرت حميا البره فى ادوائي
يا راكب الوجناء بلغت المنى عج بالحمى ان جزت بالجرعاء
متيمما تلعات وادى ضارج متيامنا عن قاعة الوعساء
وإذا وصلت اثيل مسلع فالنقا فالرقمتين فلعلع فشظاء
وكذا عن العلمين من شرقيه مل عادلاً للحلة الفيحاء
واقر السلام عريب ذياك اللوى من مغرم دنف كثيب ناء
صب متى قفل الحجيج تصاعدت زفراته بتنفس الصعداء

كلم السهاد جفونه فتبادرت عبراته ممزوجة بدماء
يا ساكني البطحاء هل من عودة احيىٰ بها يا ساكني البطحاء
ان ينقضي صبري فليس بمنقض وجد القديم بكم ولا برحائي
ولئن جفا الوسمي ما حل تربكم فمدا معي تربي علىٰ الانواء
واحسرتي ضاع الزمان ولم افز منكم اهيل مودتي بلفاء
ومتىٰ يؤمل راحة من عمره يومان يوم قلى ويوم تناء
وحياتكم يا اهل مكة وهي لي قسم لقد كلفت بكم احشائى
حبيكم فى الناس اضحى مذهبى وهوا كم دينى وعقد ولائى
يا لائمى فى حب من من اجله قد جد بي وجدي وعز عزائى
هلا نهاك نهاك عن لوم امرء لم يلف غير منعم بشقاء
لو تدر فيما عذلتنى لعذرتنى خفض عليك وخلني وبلائي
فلنازليي سرح المربع فالشبيكة فالثنيه من شعاب كداء
ولحاضرى البيت الحرام وعامري تلك الخيام وزائرى الحثماء
ولفتية الحرم والمربع وجيرة الحى المنيع تلفتى وعنائي
فهم هم صدوا دنوا وصلوا جفوا غدروا وفوا هجروا رثوا لضنائي
وهم عياذى حيث لم تغن الرفى وهم ملازى ان عدت اعدائي
وهم بقلبي ان ثنائت دارهم عنى وسخطى فى الهوا ورضائي

وعلى محلى بين ظهرانيهم بالاخشبين اطوف حول حمائي
وعلى اعتناقى للرفاق مسلما عند استلام الركن بالايماء

وقال فى الحكمة

البارودى

بادر الفرصة واحذر فوتها فبلوغ العزّ فى نيل الفرص
واغتنم عمرك إبان الصّبا فهو إن زاد مع الشّيب نقص
انّما الدّنيا خيال عارض قلّما يبقى، وأخبار تقص
تارة تدجو وطورا تنجلى عادة الظلّ سجاثم قلص
فابتدر مسعاك واعلم أنّ من بادر الصّيد مع الفجر قنص
لن ينال المرء بالعجز المنىٰ انّما الفوز لمن همّ فنص
يكدح العاقل فى مأمنه فإذا ضاق به الأمر شخص
إنّ ذا الحاجة مالم يغترب عن حماه مثل طير فى قفص
وليكن سعيك مجدا كله إنّ مرعى الشرّ مكروه أحص
واترك الحرص تعش فى راحة قلّما نال مناه من حرص
قد يضرّ الشئ ترجو نفعه ربّ ظمآن بصفو الماء عص
ميّز الأشياء تعرف قدرها ليست الغرة من جنس البرص

واجتنب كل غبى مائق ... فهو كالعير، إذا جدّ قمص
إنّما الجاهل فى العين قذىً ... حيثما كان، وفى الصّدر غصص
واحذر النّمام تأمن كيده ... فهو كالبرغوث إن دبّ قرص
يرقب الشرّ، فإن لاحت له ... فرصة تصلح للختل فرص
ساكن الأطراف، إلّا أنه ... إن رأى منشب أظفور رقص
واختبر من شئت تعرفه فما ... يعرف الأخلاق إلّا من فحص
هذه حكمة كهلٍ خابرٍ ... فاقتنصها فهى نعم المقتنص

آية العصر فى سماء مصر

أحمد شوقى بك

يافرنسا! نلتِ اسباب السماء ... وتملكتِ مقاليد الجِواء
غُلب النسرُ على دولته ... وتنحى لكِ عن عرش الهواء
واتتكِ الريحُ تمشى آمةً ... لكِ يا بلقيسُ من اوفى الاماء
رُوّضت بعد جماح، وجرت ... طوعَ سلطانين علم وذكاء
لكِ خيلٌ بجناح، اشبهت ... خيلَ جبريل لنصر الانبياء
وبريدٌ يسحب الذيلَ على ... بُرُد فى البر والبحر بطاء
تطلع الشمس فيجرى دونها ... فوق عُنق الريح اومتن العماء

رحـلةُ الـمشرق والـمغرب مـا لبثـت غيـرَ صبـاحٍ ومسـاء
بسـلاء الانـس والـجن فـدىً لـفـريـق مـن بـنيكِ البُسـلاء
ضـاقـتِ الارض بهـم فـاتخذوا فـى السـمٰـوات قبـور الشهـداء
فتية يـمسـون جيـران السهـا سُـمراء الـنـجـم فـى اوج الـعـلاء
حُـوَّمـا فـوق جبـال لـم تـكـن لـلـريـاح الهـوج يـومـا بـوطـاء
لسـليـمـان بسـاطٌ واحـد ولهـم الف بسـاط فـى الـفـضـاء
يـركبـون الشهـب والسـحـب الىٰ رفـعـة الـذكـر وعـليـاء الثـنـاء
يـا نُسـور اهبـطـوا الوادى علـى سـالف الـحـب ومـاثـور الـولاء
داركـم مـصـر وفيهـا قـومـكـم مـرحبـا بـالاقـربيـن الـكـرمـاء
طـرتـم فيهـا فـطـارت فـرحـا بـاعـز الـضيف خيـر الـنـزلاء
هـل شـجـاكـم فـى ثرى اهرامهـا مـا ارقتـم مـن دمـوع ودمـاء

مسرد الكلمات

Marine researches	أبحاث بحرية
To show	إبداء
Creation, invention	إبداع
To show	أبدَى، يُبدِىُ، إبداء
To conclude	أبرمَ، يُبرِم، إبرَام
To keep	إبقاء
To inform	إبلاغ
To inform, tell	أبلَغَ، يُبلِغُ، إبلاغ
People	أبناء الشعب
To grant, allow	أتاحَ، يُتِيحُ، إتَاحة
European Union	الاتحاد الأوربي
To call	اِتَّصل بـ
Phone call	اتصال هاتفي
Contact	اتصال، اتصالات
Communication	اتصال، اتصالات
Political contacts	اتصالات سياسية
Honorarium, remuneration	أتعاب
Nuclear agreement	اتفاق نووي

Agreement	اتفاق
Trade Agreement	اتفاق تجاري
Nuclear Non Proliferation Treaty	اتفاقية الحد من انتشار الأسلحة النووية
Agreement	اتفاقية، اتفاقيات
To Agree	اتّفق، يَتَّفِقُ، اِتّفاق
Mastry, Command	اتقان
Charge	اتهام، اتهامات
To come	أتَى، يأتِيُ، اِتيان
To raise	أثارَ، يُثِيرُ، إثَارة
In the wake of	إثر
Enrichment	إثراء
To praise	أثْنَى، يُثْنِيُ، إثْنَاء
Compulsory	إجباري
Meeting	اِجتماع، اجتماعات
Socially	اجتماعيّاً
To meet	اِجْتَمَعَ، يَجْتَمِعُ، اِجْتماع
Procedure	إجراء، إجراء ت
To conduct	أجْرَى، يُجْرِيُ، إجْراء
To need, require	اِحْتَاجَ إلى
Greenhouse effect	احتباس حراري
To detain	اِحْتَجَزَ، يَحْتَجِزُ، اِحْتِجَاز

Self-respect, self-esteem	احترام الذات
Mutual respect	احترام متبادل
Respect	احترام
To Respect	إِحْتَرَمَ، يَحْتَرِمُ، إِحترام
Monopoly	احتكار، احتكارات
To occupy	إِحْتَلَّ، يَحْتَلُّ، إِحْتِلال
Possibility	احتمال، احتمالات
To contain	احتواء
Need	احتياج، احتياجات
Latest	أحدث
To make progres	احراز تقدم
Opposition parties	أحزاب معارضة
Personal law	الأحوال الشخصية
Brotherhood, fraternity	إخاء
To choose	إِخْتَارَ، يَخْتَارُ، إِخْتِيار
To specialize	اختصّ بـ
Specialization	اختصاص
Give and take	أخذ وعطاء
To release	إخراج
Specialist, expert	إِخْصَائِي

To submit, subject	أَخْضَعَ، يُخْضِعُ، إخْضاع
To hide	إخفاء
To fail	أَخْفَقَ، يُخْفِقُ، إخْفاق
Managing	إدارة
Business administration	إدارة الأعمال
To introduce economical hotels	إدخال فنادق اقتصادية
To let in	إدخال
To claim	اِدَّعَى، يَدَّعِي، اِدِّعَاء
Radio	إذاعة، إذاعات
Permission	إذن
To want	أرادَ، يُرِيدُ، إرادَة
Global warming	إرتفاع درجة حرارة الأرض
Leave	اِرْحَلْ
Cheaper prices	أرخصُ الأسعار
Cosignment, shipment	إرسالية
To send	أَرْسَلَ، يُرسِلُ، إرسال
High ranking official	أرفع مسؤول
Official figure	أرقام رسمية
Double taxation	ازدواج الضريبة

To disturb, annoy	إزعاج
Economic crisis	أزمة اقتصادية
Crisis	أزمة، أزمات
Basic	أساسي
To resume	إستأنفَ، يَستأنف، إستئناف
To replace	استبدال
To rule out	استَبْعَدَ، يَسْتَبْعِد، إسْتِبْعَاد
To interrogate	استجواب
Intelligence	استخبار، استخبارات
To use	استَخدَمَ، يَسْتَخْدِمُ، إسْتِخْدَام
To extract	استخراج
To summon	استدعى
Australia	أستراليا
To surrender	استسلام
To sense	إستَشْعَرَ، يَسْتَشْعِرُ، اسْتِشعار
To host	اسْتَضَافَ، يَسْتَضِيفُ، إسْتِضافة
To restore, regain	استعادة
Preparation	استعداد، استعدادات
Readiness	استعداد
To review	استَعرَضَ، يَسْتَعْرِضُ، اسْتِعراض

To take benefit	استفادَ، يَستفِيدُ، استِفادة
Resignation	استقالة
To receive	استقبل، يَستقبِلُ، استقبال
To settle	استقَرَّ، يَستقِرُّ، استقرار
Stability	استقرار
To board, take	استقلَّ، يستَقِلُّ
To continue	استَمَر، يستمِرُّ، استمرار
Based on	استناداً إلى
Displesure, resentment	استياء
Waking up	استيقاظ
To establish	أسسَّ، يؤسِّسُ، تاسِيس
Dropping	إسقاط
Contribution	إسهام، إسهامات
Misunderstood	أسيء فهمُ
Asian	آسوية
To praise, commend	أشاد، يُشِيدُ، إشادة
To point out	أشارَ، يُشِيرُ، إشارة إلى
Signal	إشارة، إشارات
To spread	أشاع،يُشِيعُ،إشاعة

AC: مكيف/جهاز التكييف
Air Conditioner

ADB: بنك التنمية الآسيوي
Asian Development Bank

ADM: قاضي المقاطعة الاضافي
Additional District Magistrate

ADVT: اعلان(تجاري)
Advertisement

AG: المحاسب العام
Accountant General

AGCC: مجلس تعاون الخليج العربي
Arab Gulf Cooperation Council

AGM: الاجتماع العام السنوي
Annual General Meeting

A.H: السنة الهجرية/بعد الهجرة
After Hijra

B.A. Honours

AI: Air India	الخطوط الجوية الهندية الدولية
AIIMS: All India Institute of Medical Sciences	معهد عموم الهند للعلوم الطبية
AIR All India Radio	اذاعة الهند/اذاعة عموم الهند
AL: Arab League	رابطة الدول العربية/جامعة الدول العربية
AOPEC: Arab Organisation of Petroleum Exporting	منظمة الدول العربية المصدرة للنفط
ARE: Arab Republic of Egypt	جمهورية مصر العربية .
ASSTT: Assistant	مساعد
ATM: Automatic Teller Machine	ماكنية الصرف الآلي

BA: Bachelor of Arts	درجة الليسانس فى الآداب/ درجة البكالوريوس في الآداب
BBC: British Broadcasting Corporation	هيئة الاذاعة البريطانية
BC: Before Christ	قبل الميلاد
B.ED: Bachelor of Education	بكالوريوس في علوم التربية.
BHEL: Bharat Heavy Electricals Limited	شركة بهارت للأدوات الكهربية الثقيلة المحدودة
BHU: Banaras Hindu University	جامعة بنارس الهندوسية
BP: Blood Pressure	ضغط الدم

B.A. Honours

BSF: Border Security Force	قوات أمن الحدود
BSNL: Bharatiya Sanchar Nigham Ltd (Hindi)	شركة بهارتيا سانشار نيغام المحدودة/شركة الاتصالات الهندية المحدودة
CA: Custom Act	قانون الجمارك
CA: Current Account	حساب جاري
CACL: Campaign Against Child Labour	الحملة ضد عمالة الطفولة
CBI: Central Bureau of Investigation	مكتب التحقيقات المركزي
CCU: Cardiac Care Unit	وحدة العناية بامراض القلب
CJ: Chief Justice	رئيس القضاة/رئيس محكمة العدل
CM: Chief Minister	وزير الأول/ كبير الوزراء

CPI: Communist Party of India	الحزب الشيوعي الهندى
DM: District Magistrate	قاضي المقاطعة
DNA TEST: Deoxyribonucleic Acid Test	اختبار للحمض النووي الريبي/تحليل الحمض النووي
EMI: Equated Monthly Instalments	الاقساط الشهرية المتساوية
GM: General Manager	المدير العام
HOD: Head of The Department	رئيس القسم
HQ: Headquarters	المقر الرئيسي/القيادة الرئيسية
HUDCO: Housing and Urban Development Corporation	هيئة تعمير المدن والاسكان

B.A. Honours

IA: Indian Airlines	الخطوط الجوية الهندية الداخلية
IAS: Indian Administrative Service	الخدمة الإدارية الهندية
IGNOU: Indira Gandhi National Open University	جامعة انديرا غاندي المفتوحة الوطنية
IIT: Indian Institute of Technology	المعهد الهندي للتكنولوجيا
IPC: Indian Penal Coda	قانون الجزاء الهندي
ISI: Indian Statistical Institute	معهد الاحصائيات الهندي/المعهد الهندي للاحصائيات
MBBS: Bachelor of Medicine and Bachelor of Surgery	بكالوريوس الطب والجراحة

MD: Doctor of Medicines	دكتور في الطب
MP: Member of Parliament	عضو البرلمان/نائب
NCERT: National Council for Educational Research and Training	المجلس القومي للبحث التربوي والتدريب
NGO: Non-Governmental Organization	منظمة غير حكومية
PBUH: Peace Be Upon Him	صلى الله عليه وسلم
Press Confirence	مؤتمر صحفي
PH.D: Doctor of Philosophy	دكتور في الفلسفة

B.A. Honours

POTO: Prevention of Terrorism Ordinance	مرسوم كبح الارهاب/مرسوم مكافحة الارهاب
PRO: Public Relations Officer	ضابط العلاقات العامة/موظف العلاقات العامة
PTI: Press Trust of India	وكالة بريس تروست الهندية/بريس تروست اوف انديا
SAARC: South Asian Association for Rcgional Cooperation	رابطة دول جنوب آسيا للتعاون الاقليمي
TOEFL: Test Of English as Foreign Language	امتحان اللغة الانجليزية كلغة اجنبية
UGC: University Grants Commission	هيئة التمويل الجامعي/هيئة تمويل الجامعات

WHO: World Health Organization	منظمة الصحة العالمية
UNIFIL: United Nations Interim Force In Lebanon	قوة الأمم المتحدة المؤقتة في لبنان
UNICEF: United Nations Children's Fund	صندوق رعاية الطفولة التابع للامم المتحدة
UNESCO: United Nations Educational Scientific and Cultural Organixation	اليونسكو/منظمة التربية والعلوم والثقاقة للأمم المتحدة/ منظمة اللإمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة

أحوال الشخصية

الأستاذ على الطنطاوى (١٣٢٧هـ)

هو على بن مصطفى الطنطاوى ولد فى دمشق. وكان أبوه أمين الفتوى، وقرأ على علماء دمشق ودخل مدرسة نظامية ونال شهادة الحقوق من الجامعة السورية. واشتغل باصحافة فترة وبتعليم اللغة العربية فى العراق ولبنان ومصر ودخل فى القضاء عام ١٩٤٠م. ولم يقطع عن التدريس والكتابة كان مستشارا بمحكمة والتمييز بدمشق، ثم انتقل إلى الحجاز بعد الطوارى فى سوريا وعين أستاذا فى احدى الكليات فى مكة، ثم انصرف إلى الإذاعة والتلفوين يحدث ويجيب ويفيد فى علم غزير. هو من كبار الكتاب الذين انجبتهم الأمة العربية فى هذا العصر. ومن كتبه: "أبو بكر الصديق" و "عمر بن الخطاب" و"رجال فى التاريخ" و "قصص من التاريخ".

سيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

(١٩١٤-١٩٩٩م)

وقد ولدت هذه الشخصية المتميزة الفذة فى قرية "تكيه كلان" بمديرية رائ بريلى فى ولاية أترابراديش بالهند عام ١٩١٤م فى أسرة علمية دينية عريقة عربية الأصل نزحت فى القرن السابع الهجرى من المدينة المنورة إلى الهند.

نشأ وترعرع الشيخ أبو الحسن الندوى فى هذه الأسرة الكريمة بأخلاق نبيلة، وعادات عربية وتقاليد إسلامية وصفات دعوية وعزائم إصلاحية وحمية دينية، وكان والده العلامة عبد الحى الحسنى عالما وطبيبا ومؤلفا كبيرا من أعظم مؤلفات "نزهة الخواطر" وتوفى الشيخ وهو دون العاشرة، فتولت أمه الفاضلة تعليمه وتثقيفه وتربيته. تلقى قراءة القرآن الكريم والدروس الابتدائية منها وقراء بعض الكتب الأردية والفارسية والعربية على عميه الكريمين وانتقل إلى لكهنؤليتابع دراسته تحت إشراف اخيه الاكبر الطبيب عبد العلى الحسنى، وأخذه إلى صديق عربى له كان

يـدرس فـى جـامعة لكنهؤ، وهو الشيخ كليل بن محمد اليمانى، فتلقى مـنـه درس اللغة العربية وأتقنها قراء ة وكتابة، ثم التحق بقسم اللغة الـعربية بجامعة لكهنؤ ونال شهادة "فاضل أدب" بتفوق وفاز بوسام وميدالية، ثم درس اللغة الأردية وأدبها.

صـدرت فـى هـذه الـفـتـرة صـحـيـفة عـربية من ندوة العلماء "الـضيـاء" فسـاهـم فـى تـحـريرها، وشارك فى تحرير مجلة "الندوة" الأردية ورأس تحريرها مدة من الزمن ونشرت له أول مقالة فى اللغة الـعـربية عـن الإمـام أحمد بن عرفان الشهيد فى صحيفة "المنار" فى مصر، ثم تتابعت المقالات والرسائل والكتب التى بلغت نحو مائتين مـا بيـن صـغيـر وكبيـر، وطبـع كتابه الأول فى الأردية "سيرة سيد أحمد الشهيد" وطبعت له لجنة التأليف والترجمة والنشر فى القاهرة كتـابـه الـعـظيـم "مـاذا خسـر الـعالم بانحطاط المسلمين" فرحبت به الأوسـاط الـعـربية وتـلـقتـه بـالإعـجـاب والـقبول، وقال المفكرون والـعـلـمـاء العرب أنه أحسن كتاب أو من أحسن الكتب التى صدرت فى القرن، ومن مؤلفات المهمة ما يلى:

"إلى الإسلام من جديد" و "الأركان الأربعة" و "الإسلام والغرب" و "أكبر خطر على العالم العربى" و "إذا هبت ريح الإيمان" و "الإسلام والمستشرقون" و "روائع إقبال" و "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين".

وانه كان فى شخصه مدرسة ومؤسسة ومجمعا أكاديميا بأعماله المتنوعة وخدماته المختلفة ونشاطاته العلمية والأدبية والدعوية وإنتاجاته الكثيرة وعطاء الغزيرة.

وتوفى رحمه الله عليه يوم الجمعة فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٩٩م إنا لله وإنا اليه راجعون.

جبران خليل جبران

(١٨٨٣-١٩٣١م)

هوجبران خليل جبران، ولد فى قرية "بشرى" فى لبنان عام ١٨٨٣ وتلقى علومه الأولية فى بيروت، ثم هاجر مع أسرته عام ١٨٩٥م إلى بوسطن فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأرسله أخوه إلى المدرسة ليتعلم الإنكليزية، ثم أعاده بعد ذلك إلى بيروت

ليدرس العربية، ثم عاد إلى بوسطن، وفى فترة عامين توفى أكثر أعضاء أسرته.

وفى العشرين شرع جبران فى الكتابة والتأليف والرسم، وتعرف على مارى هاسكل فى معرض من معارض رسومه، فغيرت مجرى حياته بعطفها عليه عنايتها بمستقبله. ومات جبران عام ١٩٣١م

آثاره

إنه ألف كتبا عديدة شهيرة، ومن أهمها ما يلى:

"الموسيقى" و "عرائس المروج" و "الأرواح المتمردة" و "دمعة وابتسامة" و "الأجنحة المتكسرة" و "النبى" و "العواصف" و "النار الخالدة".

الأسلوب الجبرانى

لم يكن جبران يجرى على طريقة واحدة فى الكتابة، فهو حينا يكتب خيالا عاطفيا مجردا وحينا أحاسيس واقعة عميقة، وطورا يخاطب الناس بالامثال والرموز والحكم والمواعظ الروحية،

وطورا بأسلوب التعنيف القاسى، وتارة ينظم شعرا فلسفينا تأمليا، وتارة نثرا شعريا موسيقيا غير أن كل هذه الأساليب والطرق التعبيرية كانت تفيض من شخصية متميزة فى تفكيرها وخيالها وروحها وبيانها وتجرى بألفاظ شفافة عميقة التأثير.

طه حسين

(١٨٨٩-١٩٧٣)

ولد طه حسين سنة ١٨٨٩م لأب مصرى من قرية قرب مغاغة، وفقد بصره فى الثالثة من عمره ولكنه عوض عن بصره ذكاء حادا وذاكرة قوية.

وعكف طه حسين على دراسة العلوم الدينية واللغوية بالأزهر وكان الشيخ السيد المرصفى يدرس الأدب، فأعجب به، ولزم دروسه التى كان يقرأ فيها الكامل للمبرد والأمالى لأبى على القالى وحماسة أبى تمام.

وحصل على درجة الدكتوراة سنة ١٩١٤م قررت الجامعة الأسهلية إرساله إلى فرنسا، وكان أهم ما شغف به من دراسات فى

فرنسا هو المشاكل الفسفية والاجتماعية، وانتهى به هذا الشغف إلى أن يجعل رسالته للدكتوراة "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" وتعمق فى الأدب اليونانى واللاتينى القديم وكذلك الأدب الفرنسى الحديث.

كتب "قادة الفكر"، وفى سنة ١٩٢٦م نشر كتابه "فى الشعر الجاهلى" ومضى طه حسين يفكر فى الحياة المصرية الثقافة والتعليمية ووضع لها برنامجا مفصلا فى كتابه "مستقبل الثقافة" واتجه إلى القصة فنشر "أحلام شهر زاد" و "شجرة البؤس" و "دعاء الكروان".

هذه هى حيلة طه حسين حتى وفاته سنة ١٩٧٣م، وهى حافلة بالكفاح، إذ نراه يكافح المحافظين فى الدين والأدب والسياسة ويكافح من أجل تغذية أمته بالمثل الأدبية عند اليونان والغربيين.

أحمد أمين

ولد أحمد أمين سنة ١٨٨٦م فى حى المنشية بالقاهرة بعد أربع سنوات من احتلال الإنجليز بمصر، وبدأ دراسته فى بيته على أبيه ثم انتقل إلى الكتاتيب الأخرى ثم التحق بمدرسة عباس الأول الابتدائية، مكث هناك سنوات ولم يزل متوفقا على زملائه، ثم التحق بالأزهر سنة ١٩٠٠م

كان من أستاذه محمد عبده حصل منه على تفسير القرآن والبلاغة وغير ذلك.

وكان أحمد أمين متضلعا فى علوم الدين واللغة كأكثر النابغين من المتخرجين فى الأزهر، ولكنه كان من الأزهريين القلائل الذين أوتوا دقة النظر وحرية الفكر وسعة الأفق، فكان فى الدين صاحب اجتهاد وكان فى اللغة صاحب رأى.

ترك أحمد أمين مؤلفات كثيرة، وكان مفكرا عميق الأثر فى هذه الفترة من تاريخ مصر والشرق، درس تاريخ الحضارة وعلى الخصوص تاريخ الحضارة الإسلامية، فأحاط بكثير من العلوم من

B.A. Honours

التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد والكلام والأدب العربى والفلسفة والاجتماع والاقتصاد والتصرف.

جاء بكتب قيمة نادرة فى الموضوع تحت عنوان فجر الإسلام وضحى الإسلام وظهر الإسلام.

ومن آثاره العلمية أيضا

"زعماء الإصلاح فى العصر الحديث" و "كتاب الأخلاق" و "وكتاب الشرق والغرب" و حياتى" و "فيض الخاطر" و "النقد الأدبى" و "إلى والدى".

توفيق الحكيم

ولد توفيق الحكيم فى الإسكندر سنة ١٨٩٨م لأب مصرى وأم تركية، ولما بلغ السابعة من عمره ألحقه أبوه بمدرسة ابتدائية، ولما أتم تعليمه الابتدائى أرسله أبوه إلى القاهرة ليلتحق إحدى المدارس الثانوية، وفيها ظهر ميله الفنى للرسم والتصوير أولا ثم للأدب ثانيا.

مؤلفاته

للأستاذ توفيق إنتاجات قيمة عديدة ترجم بعضها إلى لغات العالم الكبرى فى الشرق والغرب، ولقيت من تقدير الأدباء ما يضع صاحبها فى مكانة مرموقة، وقد بدأ هذا الإنتاج مبكرا فأنشأ وهو فى نحو العشرين من عمره مسرحيات غنائية وكوميدية وأول مسحرية ألفها هى "الضيف الثقيل" فى ١٩١٨م.

وقد ظهرت قصته "عودة الروح" تصور الطبقات العليا والمتوسطة قبل ثورة ١٩١٩م.

ولتوفيق مسرحيات عديدة أخرى أهمها: "شهر زاد" و "سليمان الحكيم" و "حمار الحكيم" و "السلطان الحائر" و "بيجماليون" و "الملك أوديب".

مكانته

يعد توفيق الحكيم زعيم المسرحيين فى الأدب العربى، ومسرحياته زاخرة بأمثلة رفيعة من الوطنية الصادقة والمصرية الصميمة، ونرى فيها ألوانا مختلفة من الفكاهة الحلوة قد مزجت بلهجة شعبية، والواقع أنه برز فى الحوار حين نشر "شهر زاد"

.....حتى أصبح ن....مدرسته فى الأدب العربى الحديث.

وتوفيق الحكيم قد وطد أركان القصة التى تقوم على الحوار بأسلوبه الذى يتميز بالسهولة والحيوية والسلاسة فى الأداء، ولم يكن لها مجال من قبل غير التمثيل على المسارح، فجعل منها توفيق قصة كما هى مسرحية تمثل.

نجيب محفوظ

ولد نجيب محفوظ فى أسرة متوسطة بالقاهرة عام ١٩١٢م ونشأ فى حى الجمالية، وبعد أن أتم تعليمه الثانويى التحق بكلية الآداب فى جامعة القاهرة وتخرج فى قسم الفلسفة وحصل على درجة الليسانس.

وقد عمل نجيب محفوظ فى عدد من الوظائف الحكومية، وقد نال نجيب محفوظ جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٧٠م كما فاز بجائزة نوبيل الدولية للأدب عام ١٩٨٨م وكان أول كاتب عربى نال هذه الجائزة حتى الآن فى الأدب العربى.

بدأ نجيب محفوظ حياته الأدبية والفنية بالترجمة فنقل عن

الإنجليزية كتاب "مصر القديمة"

لعل ممارسة الحياة العلمية فى الخدمة الحكومية ومشاهدة الفساد على مستويات مختلفة أدته إلى البحث عن قضايا عصره بصورة مباشرة، وهكذا تحول إلى كتابة الروايات الواقعية ابتداء من "القاهرة الجديدة" ثم أخرج بعض روايات تعالج قضايا فكرية بطريق رمزى أمثال "اللص والكلاب" و "ثرثرة فوق النبل" و أولاد حارتنا" كما أخرج بعض المجموعات من القصص القصيرة مثل "دنيا الله" وغيرها ثم كتب ثلاثيته " بين القصرين" و "قصر الشوق" و "السكرية"

ونجيب محفوظ بارع فى وصف التفاصيل الخلقية وصفا شاملا يكاد يكون فوتوغرافيا، و شخصياته واضحة ولوحته كلاسيكية فصحى، ولكنه قد يأتى بعبارات عامية فى الحوار وتغلب على أعماله منحة الفكاهة، ورواياته تبحث عن ظواهر الحياة المختلفة من الحب والإيمان والعنان والمودة والصراع بين الرجل والمرأة بشكل ظاهر بارز فى رواياته، كما أن السياسة تحتل مكانة

هامة فى رواياته إما مباشرة وإما بصورة رمزية.

ويتميز أسلوب نجيب محفوظ بالبساطة رغم التزامه باللغة العربية الفصحى فى رواياته. وتوفى فى ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦م.

محمد حسين هيكل

(١٨٨٨-١٩٥٦م)

ولد محمد حسين هيكل فى "كفر غنام" سنة ١٨٨٨م لأسرة ريفية مصرية لها بعض الوجاهة والثراء، ولما بلغ الخامسة من عمره ألحقه أبوه بكتاب القرية، فتعلم القراءة والكتابة.

وكتب وهو فى باريس قصته "زينب" وهى أول محاولة قصصية بارعة فى الأدب المصرى.

منذ سنة ١٩٢٦م كان يصدر ملحقا لصحيفة "السياسة" اليومية باسم " السياسة الأسبوعية" وكان يكتب معه فيه طه حسين ونخبة من الأدباء، وتحول هذا الملحق إلى مايشبه مدرسة يتمرن فيها الأدباء الناشئون على الكتابة والتحرير، وفى سنة ١٩٢٩م نشر طائفة من مقالاته باسم " تراجم مصرية وغربية". ثم نشر كتابه

"ثورة الأدب"ـ

ونـراه بـعد ذلك يعمد الى مصادر الاسلام الأولى فيلقى عليها أضـواء جـديدة بمباحث تاريخية فى الرسول الكريم ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر، ومن المحقق أنه يتفوق فى الكتابة التاريخية لاتساع نـظـرتـه ودقة بـحثـه، وقـد أخـذ فى أثناء ذلك يتولى شؤن الوزرات الـمـختـلفة، ونشر "مذكرات فى السياسة المصرية" ورجع أخيرا إلى كتـابة الـقـصة فـأخـرج قـصة "هكذا خلقت" وهى قصة طويلة تقصر حيـلـة لـمـرأـة مصرية عصرية أصيبت بشذوذ الغيرة، ويتابع هيكل بـعـد ذلك كتـابة الـقصة القصيرة وينشرها فى الصحف الأسبوعية، وما يلبث أن يلبى داعى ربه فى سنة ١٩٥٦م.

عباس محمود العقاد

(١٨٨٩-١٩٦٤م)

هو الكتاب الكبير والأديب العملاق عباس محمود القعاد، ولد بـأسـوان عـام ١٨٨٩م لأسـرـة مصرية متوسطة، لم يتم دراسته فى الـمدارس والمعاهد الرسمية بل أخذ يكملها بنفسه معتمدا على ذهنه،

وأتقن العربية والإنجليزية وتضلع فى آدابها. وجمعت الصداقة تحت ظلالها ثلاثة أدباء فتيان تألف منهم فيما بعد مدرسة الديوان وهم العقاد والمازنى وشكرى.

والعقاد له شخصية ذات جوانب عديدة، فهو كاتب بارع وشاعر مجدد وناقد وصحفى كبير، امتاز بالميزات العقلية والأدبية التى تؤهله أن يكون أديبا عملاقا.

آثاره

للعقاد عشرة دواوين منها "يقظة الصباح" و "وهج الظهيرة" و "ديوان العقاد" و "أعاصير مغرب" و "عابر سبيل" و "هدية الكروان" وغيرها.

أما أعماله فى النثر فهى كثيرة منها "عبقرية محمد" و "عبقرية أبى بكر" و "عبقرية عمر" و "عبقرية عثمان" و "مراجعات فى الأدب والفنون والفصول" و "سارة" و "أنا" وغيرها حتى بلغ ماكتبه نحو ثمانين مؤلفات يتصف كلها بحيوية التفكير.

شاعريته

العقاد فى شعره مقلد، شغف بابن الرومى منذ فجر حياته، ونظم بعض قصائده على نمط قصيدة ابن الرومى هو يعنى بأسلوبه عناية كبيرة تقوم على الجزالة والمتانة مع محافظة على الأوزان العروضية القديمة، فميدان تجديده كان فى المعانى دون الألفاظ، استوعب فى شعره الفكر الغربى يبرزبه ثقافته بالآداب الغربية ويتصف شعره بالوحدة العضوية للقصيدة ويخضع للمنطق خضوعا شديدا، والعقاد يرى أن كل شئ فى حياتنا اليومية صالح ليكون مادة للشاعر.

الجاحظ

ولد أبو عثمان عمرون بن الحاحظ بالبصرة ونشأ بها وهي يو مئذ مهد العلم ومنتدى الأدب، فأكبَّ على الدرس وجد في التحصيل وأخذ عن جهابذة اللغة والرواية كالأصمعي وأبي عبيدة.

ليس في مقدور هذا القلم العاجز الموجز أن يصف للقارىء ما لنابغة العرب وفولتير الشرق من الأثر في الأدب. وحَسْبنا أن نقول إنه تميز من أنداده بغزارة العلم، وقوة الحجة،واستقصاء البحث، وشدة المعارضة، وبلاغة القول، وإنه تبحر في علم الكلام وخلطه

بفلسفة يونان، وانفرد دون المتكالمين بمذهب في التو حيد شايعه عليه كثير منهم فسُمّوا بالجاحظية. وشارك في سائر العلوم وكتب فيها كتابة محقق ضليع. وهو أول عالم عربي جمع بين الجد والهزل، وتوسع في المحاضرات وأكثر من التصنيف وكتب في الحيوان والنبات والأ خلاق والاجتماع.

نقل الجاحظ الكتابة إلى طور جديد في الأسلوب والغرض، ونهج للمترسلين والمصنفين طريقة في الإنشاء ذكرنا ها في معرض الكلام عن الكتابة فلا فيها القول. وقد قال فيه البديع: إن كلامه بعيد الإشارة، قريب العبارة، قليل الاستعارة. وهذا الحكم وإن كا ن شديداً يطابق الحق أحيانًا. أما شعره فلا روعة له ولا جمال فيه.

أبو الفرج الأصبهاني

أبوالفرج علي بن الحسين المرواني ولد بأصبهان ونشأ ببغداد و اختلف إلى العلماء والرواة، فسمع الحديث والأخبار، وروى الأنساب والأشعار، وتوسع في النجوم والسيّر والبيطرة والطب فُنبه ذكره وظهر فضله، والشرق تتنازعه دول مختلفة،

فاستطاع أن ينقلب بين هؤلاء الخصوم يفيد هم بأدبه، ويمتعهم بكتبه، ويستفيد من مالهم، ويتقوّى بنفوذهم. وما كان عطاء ملوك الشرق ليكفيه ، فكان يؤلف الكتب للأمويين، بالأندلس سراً فينعمون عليه. وكان يجاهر بالتشيع وهو أموي تقِيَّةً للشيعة ومداراة؛ لأنه في بلادهم نشأ وبفضلهم ظهر.

وكان أكثر الناس حدباً عليه وإيثاراً له، الوزير المهلبي وزير معز الدولة ابن بويه. فا نقطع إليه ومدحه حتى مات ببغداد سنة ٣٥٦هـ وقد خولط قبل موته.

كان هذا الرجل على ظرفه وادبه، سليط اللسان، مخشيّ البادرة، تتقيه الملوك والأمراء لعلمه بالأنساب ومثالب البيوتات. وكان قذر الهيئة رث الثوب لا يغسله ولا يبدله. والوزير المهلبي على تنطسِه وترفه كان يحتمل كل هذا منه لعلمه وحسن حديثه . فقد كان كما قدمنا ملما بأشتات العلوم، راوياً لمختار المنثور والمنضوم، ثقة فيما يحدّث، ناقداً لما يسمع. ولم يكن أبوالفرج شاعراً مطبوعاً وإنما كان كاتباً معدوداً، ومؤلفاً قديراً، مصنفاً مجيداً، وراوية أميناً. وحسبه ميزة وشرفا كتابه المسمى بالأغاني.

ابن عبد ربه

هـوأبو عمر أحمد بن محمد عبد ربه الأ موي بالولاء، لأن جده كـان مـولـى لهشـام بـن عبـد الـرحـمـن الداخل ثاني خلفاء الأمويين بـالأندلس. ولد هذا الكاتب الشاعر بقرطبة ونشأ بها، ثم تـخرج على عـلـمـاء الأنـدلـس وأدبـائها امتاز بسعة الاطلاع في العلم والرواية، وطول الباع في الشعر والكتابة. قال ياقوت في معجمه: " وكان لأبي عمر بالعلم جلالة وبالأدب رياسة وشهرة مع ديانة وصيانة، واتفقت لـه أيـام وولايـات لـلـعـلم فيها نفاق، فساد بعد الخمول، وأثرى بعد الـفـقر، وأُشيرَ إليه بالتفضيل إلاأنه غلب عليه الشعر" ثم أصيب في أعقاب عمره بالفالج وتوفي سنة ٣٢٨ هجرية.

أكثـر شـعـر ابـن عبـد ربـه وأجـمله في الوصف والغزل. وهو أشبـه بشـعـر ابن زيدون في الجمع بين روعة الشرقيين وجزالتهم، ورقة الـغـربيـيـن وسـلاستهـم. وهـو أكثـر تـرديداً لأخبار المشارقة وأصـح تـقـلـيـداً لأشعارهم. وقد اتصلت شهرته بهؤلاء فرووا شعره، ورددوا ذكـره، وشهـدوا له بالتقدم والإجادة. روى ابن الـخطيب أن الـولـيـد الأنـدلسـي لما حج عرَّج في منصَرَفه على مصر، فلقي بها أبا

الطيب المتنبي في جامع عمرو بن العاص، فأفاضا في الحديث ملياً، ثم قال المتنبي: ألا تنشدني لمليح الأ ندلس؟ يعني ابن عبد ربه. فأنشده الوليد شيئاً من شعره، فصفق له واستعاده ثم قال " يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبوا!" وكفى شهادة المتنبي دليلاً على فضل الرجل وعلو كعبه. وابن عبد ربه من الشعراء المكثرين فقد رأى الحميدي من شعره عشرين جزءاً ونيفاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر أكثرها بخطه. وقد زين كتابه العقد الفريد بكثير منه في كل معنى. وقال في مقدمته: وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأ خبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها . وقرنت منها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه. حظاً من المنظوم و المنثور" .

ابن خلدون

هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون؛

ظهر ابن خلدون في عصر كسدت فيه العلوم ودرست الاداب وأزهقت الصناعة روح الكتابة، فهداه طبعه إلى الرجوع بالإنشاء

إلى عهده والوقوف به عند حدّه. فرغب عن السجع وزهد في البديع وسار باللفظ وراء المعنى. وقد صرح بذلك في كلامه عن كتابته لأبي سالم أحد ملوك الأندلس إذ يقول: "وكان أكثرها يصدر عني بالكلام المرسل بدون أن يشاركني أحد ممن ينتحل الكتابة في الأسجاع لضعف انتحالها، وخفاء المعاني فيها على أكثر الناس بخلاف المرسل فانفردت به يو مئذ، وكان مستغرباً عند من هم من أهل هذه الصناعة. ثم أخذت نفسي بالشعر فانثالت علي منه بحور، توسطت بين الإجادة والقصور". وحكمه على نفسه من الحق والصراحة بحيث لا يحتاج إلى تعليق ولا تعقيب.

نظر ابن خلدون في التاريخ فحرر مباحثه، وعلل حوادثه، ووضع كتابه المشهور (بالعبر وديوان المبتدأ والخبر) وهو ثلاثة كتب في سبعة مجلدات. يمتاز بما تضمنه من المقدمات الفلسفية في صدور الفصول عند الانتقال من دولة إلى دولة والصراحة في القول، والسداد في الرأي، والإنصاف في الحكم.

على أن فضل الرجل وشهرته إنما هما بالكتاب الأول من هذا التاريخ وهو المعروف بالمقدمة. لاشتماله على أبحاث مبتدعة منوعة في الاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ، واستنباط الأ

سباب والعلل مما طالعه أو شاهده في حياته العظيمة ورحلاته العديدة وتنقسم هذه المقدمة إلى ستة فصول: الأول في النشؤ والا رتقاء، والثاني في الاجتماع، والثالث في السياسة العملية، والرابع في الهندسة الحربية، والخامس في الاقتصاد السياسي، والسادس في تاريخ آداب اللغة العربية، فهي خزانة علم وأدب فضلاً عن أسلوبها الرشيق المتسق.

والراجح أن ابن خلدون أول إنسان استنبط فلسفة التاريخ وسماها طبيعة العمران في الخليقة. وقد فصلها في مقدمته واستشهد على كل ما كتب بالحوادث التاريخية الصحيحة، مما دل على سداد رأيه وصدق نظره وانفساح ذرعه في الاستنباط والتعليل. على أن العلماء أخذوا عليه إخلاله بالقواعد التي وضعها لكتابة التاريخ، ولم يسلم من المآخذ التي أُخذها على سابقيه. وسبحان من تفَرَّد بالكمال!

الحجَّاج بن يوسف

ولد أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ١٤ في مهد الخمول والفقر. فزاول مع أبيه تعليم الصبية بالطائف؛ إلا أن نفسه

الرغيبة الطامحة ربأت به عن الضعَّة فلفت إليه بذكائه رَوْحَ بن زنباع الجذامي أحد أعوان عبد الملك بن مروان فجعله في شُرْطته. قال له عبد الملك يوماً: كل امرىء يعرف عيوب نفسه، فصفْ نفسك ولا تخْف عني شيئاً. فقال: " أنا لجوج حقود حسود. ومتى كانت هذا الصفات في متسلط أهلك الحرث والنسل إلا أن يدين له الناس ويذلوا" وكان فصيحاً قوي الحجة لا يكاد يعدله في ذلك أحد من أهل زمنه.

لما قدم الحجاج أميراً على العراق دخل المسجد مُعْتَمًا بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه، وصعد المنبر وهو متقلد سيفه مُتنكب قوسَه، مكث ساعة لا يتكلم. فقال الناس بعضهم لبعض: قبح اللّه بني أمية إذ تستعمل مثل هذا على العراق! وَهمَّ عُمَير بن ضابىء البُرجمي أن يرجمه، فمنعه الناس حتى يروا عاقبة أمره، فلما رأى الحجاج عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال:

أنا ابن جلا وطلَّاع الثنايا متى أَضعِ العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة! إني لأرَى رؤوساً قد أَينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللّحى!

هذا أوان الشد فاشتدّيزِيَم قد لفَّها الليلُ بسوَّاق حُطَم

إنـي واللّه ياأهل العراق ما يُقَعقَعُ لي بالشنان، ولا يُغمزُ جانبي كتَغْمـاز التـنيـن. ولقد فُرفت عن ذكاء، وفُتصشّتُ عن تجربة. وإن أميـر المؤمنين أطال اللّه بقائه، نثر كنانته بين يديه فعجم عيد انها فـوجـدنـي أمـرَّهـا عوداً وأصلَبها مكسِراً فرماكم بي. لأنكم طالما أو ضَعتم في الفتنة، واضطجعتم في مراقد الضلال.

مصطفى لطفي المنفلوطي

ولد السيد مصطفى لطفي بمنفلوط من أعمال مديرية أسيوط سـنة ١٨٧٦م ونشـأ فـي بيت كريم بالدين جليل بالفقه توارث أهله قـضـاء الشـريعة ونقابة الصوفية قرابة مائتي سنة. ونهج المنفلوطي سبيـل آبـائـه فـي الثـقـافة فـحـفظ القرآن في المكتب. وتلقى العلم بالأزهر،

كـان الـمـنـفلوطي أديباً موهوباً، حظ الطبع في أدبه أكثر من حـظ الصنعة؛ لأن الصنعة لا تـخلق أديباً مبتكراً ولا أديباً ممتازاً ولا طـريـقة مستـقـلة. وكـان الـنثـر الفني على عهده لوناًحائلاً من أدب الـقـاضـي الفاضل، أو أثراً ماثلاً لفن ابنِ خلدون؛ ولكنك لا تستطيع أن تـقـول إن أسـلـوبـه كـان مـضـروبا على أحد القالبين، إنما كان

اسلوب المنفلوطي في عصره كأسلوب ابن خلدون في عصره، بديعاً أنشأه الطبع القوي على غير مثال.

عالج المنفلوطي الأقصوصة أول الناس وبلغ في إجادتها شأواً ملكان ينتظر ممن نشأة كنشأته في جيل كجيله. وسر الذيوع في أدب المنفلوطي أنه ظهر على فترة من الأدب اللباب، وفاجأ الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الألم ويمثل العيوب في أسلوب طليّ وبيان عذب وسياق مطرد ولفظ مختار. وجملة القول أن المنفلوطي في النثر كان كالبار ودي في الشعر: كلاهما أحيا وجدد. ونهج وعبّد، ونقل الأسلوب من حال إلى حال.

طارق بن زياد

شو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك على أفريقية، كان رجلا شجاعا حسن التدبير أرسله سيده لفتح الأندلس، فعبر المضيق الفاصل بين أفريقية فسمى باسمه "جبل طارق" ونحت الأفرنج الكلمتين فقالوا " جبر الطر" فزحف إليه ردريك ملك القوط بجيوشه، وتبارز الفريقان أياما فدارت الدائرة على ردريك وقومه، وظفر طارق بردريك فاحتز

رأسه وبعث به إلى موسى سيده، فدبت الغيرة فى قلبه وحسده على ما نال من النصر الباهر والمجد الرفيع فاسترجعه وزجه فى السجن. وبلغ أمره الوليد فأمر إطلاقه، إلاأنه لم يزل الحقد والنفور فى ازدياد بين الرجلين استقدمهما الخليفة إلى دمشق وأهملهما حتى ماتا مرذولين منسيين.

نموذج من خطبه

لطارق خطبة شهيرة فى جيشه قبل اشتباك القتال شدد فيها عزائهم و أقنعهم أنه ليس لهم إلا إحدى خطبتين: الظفر أو الموت، ويحكى أنه أحرق سفنه إقناطالهم من العود إلى الأوطان، وقال فى خطبته:

" أيها الناس! أين المفز؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم، اعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتيام فى مأدبة اللئام؟ واعلموا أنى أول مجيب إلى مادعوتكم إليه وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم ... فاخلفو نى فى عزيمتى هذه واحملوا بأ نفسكم عليه واكتفوا الهم من فتح هذه الجزيرة.

فتوح البلدان للبلاذري

البلاذري

هوالأديب المؤرخ أحمد بن يحيي بن جابر البلاذري، ولد فى بغداد ونشأ فيها وجالس مع المتوكل الخليفة العباسى، كان مؤرخا، جغرافيا، وله شعر وقد مدح المأمون، وتوفى سنة ٢٧٩هـ.

فتوح البلدان

فتوح البلدان هو أشهر كتبه، يعد من الأصول النادرة والمصادر القيمة فى الفتوحات الإسلامية وما رافقها من مظاهر التنظيم الإدارى فى الأقطاع التى دخلها العرب، بل نستطيع أن نقول: كان المؤرحون الأولون فى الإسلام حتى ابن هشام قد عنوا بالسيرة والمغازى فإن البلاذرى من الذين وسعوا مادة هذا التاريخ بحيث أصبحت تعنى بالفتوحات الإسلامية على نطاق واسع وذكر المظاهر المختلفة التى رافقت حوادثها ووقائعها.

ويظهر أنه اختصر هذا من الكتاب" البلدان الكبيرة" ذكر فيه أخبار الفتوح ألإسلامية من أيام الرسول ﷺ إلى آخرها بلداً بلداً إلى فتوح السند لم يفرط فى شيئ منها مع التحقيق اللازم واعتدال

الخطة وضمته فضلا عن الفتوح أبحاثا عمرانية وسياسية كأحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك، فهى عهود وثيقة تاريخية وتشريعية وفكرية مهمة.

يمكن اعتبار فتوح البلدان من كتب التاريخ الإسلامى التى توضح موقف النبى ﷺ والخلفاء الراشدين ومن تبعهم فى معالجة أحداث الفتوح وذكر التشريعات التى راعوها، ومثل هذا العمل أتاح للفقهاء أن يجدوا فى الفتوح للبلدان مستندات تشريعية مهمة فى معاملة أهل الذمة وتحديد الخراج والجزية.

ويزداد الكتاب أهمية بأنه يبين أحوال البيئة الإسلامية عقب وفاة النبى ﷺ وما حدث من خلافات سياسية بين المسلمين بسبب الخلافة وغير ذلك من أمور العصبية القبلية ويفيد الكتاب فى درس البيئة الإسلامية آنذاك من جهاتها الا جتماعية والأخلاقية والدينية والعملية.

مصطفى صادق الرافعي

(١٨٨٠-١٩٣٧م)

ولد الرافعي فى أسرة لبنانية، وكان والده رئيسا للمحاكم

الشرعية من الاقاليم المصرية، ونشأ فى الجو الإسلامي العربي، وقد عني به أبوه وعلمه القرآن وتعاليم الدين. وألحقه بمدرسة دمهنور الابتدائية. حينما أتم دراسته الابتدائية أصابته حمّى عنيفة التي سببت فيما بعد للصم الخالص.

لم يستطع إتمام دراسته ولكن عكف على الكتب والأدب العربي. وفى سنة ١٨٩٩ عين كاتبا بالمحكمة وظل فى هذه الوظيفة إلى وفاته. ومن آثاره و 'وحي القلم' و 'ادبيات اللغة العربية' و 'تاريخ آداب العرب' و 'إعجاز القرآن' و 'حديث القمر' و 'المساكين' و 'رسائل الأحزان' و 'السحاب الأحمر' و تحت راية القرآن'.

سيرة ابن هشام

كان أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، صاحب سيرة ابن هشام مشهورا بعلم النسب وإماما فى النحو واللغة. نشأ بالبصرة،ثم نزل مصر وألف كتبا فى الأنساب و غيرها، وتوفي بمصر.

لم يعرف العرب التاريخ فى جاهليتهم إلا ما توارثوه بالرواية.

ثم ظهر الإسلام، وظهر فى التاليف مورد جديد، هو أحاديث الصحابة والتابعين عن ولادة الرسول ﷺ وحياته التي ملئت بالدعوة إلى التوحيد والجهاد فى سبيل الله فكان هذا مادة للسيرة. وكان أشهر كتب السير وأعلاها مكانا سيرة ابن اسحق التي الفت فى أوائل العصر العباسي. وهي عمدة قراء السيرة منذ قديم الزمان، وأبو اسحق هو الإمام الأول فى دراسة سيرة الرسول. وعبد الملك بن هشام هو الذي روى سيرة الرسول ﷺ من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهي الموجودة فى أيدي الناس.

يبدأ الكتاب بسرد نسب الرسول إلى آدم عليه السلام، وذكر الوقائع المعروفة فى التاريخ قبل الإسلام مثل قصة سد مأرب وغلب أبرهة على اليمن ودخوله مكة وما وقع له ولفيله وعظمة القريش بعد حادثة الفيل.

ثم يذكر غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمع أمر قريش على يديه واختلافهم بعده، وحادثة حلف الفضول، وحفر بئر زمزم على يد عبد المطلب ونذره فى ذبح ولده وزواج عبد الله من آمنة وغيرها.

ويلتفت بعد ذلك إلى ولادة الرسول ﷺ ورضاعته و حديث

شق الصدر ووفاة آمنة وعبد المطلب وكفالة أبي طالب، ويشير إلى قصة بُحيرى وحرب الفجار وحديث بنيان الكعبة وحكم رسول اللهﷺ في وضع الحجر، ويصف أخلاقه.

امرؤالقيس

هو الملك الضليل ذو القروح جندح بن حجر الكندي، ولد اثيلَ المنبت كريم الأبوة والأمومة: فأبوه سليل الملوك من كندة، وملك بني أسد. وأمه اخت كليب ومهلهل بني ربيعة. فشب في حجر النعيم ودرج في مهد السراوة؛إلا أنه نشأ نشأة الغواة يعاقر الراح ويغازل النساء ويعشق اللهو ويقول الشعر. فطرده أبوه، فخرج في زمرة من أخلاط العرب وذؤبائهم يرتادون الرياض والغُدُر.فإذا صادفوا غديرًا خيموا عليه وطفقوا يلعبون ويعاقرون ويصدون؛ حتى إذا نضب الماء وذوي العشب تحولوا عنه إلى غيره. ولم تزل تلك حاله حتى بلغ دمون من أرض اليمن. وهناك أتاه نعي أبيه وقد قتله بنو أسد غيلة لاستبداده بهم وسوء سيرته فيهم. فقال امرؤالقيس:" ضيعني أبي صغيراً، وحمّلني دمه كبيرًا. لا صحو اليوم ولا سكر غدًا. اليوم خمر، وغداًأمر" ثم آلى ألايأكل لحماً

ولايشرب خمراً ولايدَّهن بدهن حتى يقتل من بني أسد مائة ويجز نواصي مائة.

نشأ امرؤالقيس نجدياً وإن كان يمنياً، فتر عرع بين بني أسد في صميم العرب الخلَّص، فسمع الأشعار ورواها، وتطلعت نفسه إلى مساجلة الشعراء فقال الشعر على حداثة سنه. وكان جزل الألفاظ كثير الغريب جيد السبك سريع الخاطر بديع الخيال بليغ التشبيه وقد فتقت الأسفار والأخطار والمخالطة قريحته فاستنبط المعاني الجديدة، ونهج المذاهب الحديثة. وار تسمت في شعره محدثات عصره فنسبت إليه لنبوغه وتفوقه وجاهه فقالوا انهم أول من وقف على الاطلال وبكى على الديار وشبب بالنساء، وشبههن بالمها والظباء، وأجاد وصف الليل والخيل لإدمان ركوبه وكثرة أسفاره. وإنك لتجد في شعره صورة كاملة من حياته وخلقه. ففيه عزة الملوك، وتبذل الصعلوك، وعربدة الماجن، وحمية الثائر، وشكوى الموتور، وذلة الشريد، وهو بإجماع الرواة زعيم الجاهليين للأسباب التي مرت بك.

لبيد بن ربيعة

هو أبو عُقيل لبيدبن ربيعة العامرى. نشأ رَبِيب الندى والبأس. حتى ظهر الإسلام فأقبل على الرسول في وفد من قومه فأسلم، وحفظ القرآن وهجر الشعر، حتى زعموا أنه لم يقل بعد الإسلام إلا بيتاً واحداً وهو:

الحمد للّه إذْ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا

ولما مُصرت الكوفة ذهب إليها في خلافة عمر وأقام بها حتى توفي في أول خلافة معاوية سنة ٤١ من الهجرة. وقد عاش كما قيل خمساً وأربعين سنة ومائة حتى قال بحق:

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤالِ هذا الناس كيف لبيد

كان لبيد ضافي الجود، وافر اللب، نبيلْ النفس، جم المروئة، مُشيَّع القلب. فسالت أخلاقه وعواطفه في شعره، وتمثلت معاني النبل والكرم في فخره؛ وجاء نظمه فخم العبارة، منضد اللفظ، قليل الحشو، مزداناً بالحكمة العالية والموعظة الحسنة والكلم النوابغ. ولعله أحسن الجاهليين تصرفاً في الرثاء وأقدرهم على تصوير عواطف المحزون الصابر بلفظ رائق وأسلوب مؤثر.

وأما معلقته فهي قوية الألفاظ متينة الأسلوب، تصور حياة البادية وأخلاق البدو، وتصف هوى النفوس الماجنة ومطمح القلوب الكبيرة.

بدأها بوصف الطلول وذكرى الحبيبة، ثم اطال في وصف ناقته نحو ما فعل طرفة، ثم مضى يصف حياته وملذاته وجوده وبأسه حتى انتهى إلى الفخر بقومه، وكل ذلك في صدق و إخلاص وقصد.

حسانُ بنُ ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري، ولد بالمدينة ونشأ في الجاهلية، وعاش في الشعر، فكان يمدح المناذرة والغساسنة ويتقبل صلاتهم. ولما هاجر رسول اللّهْ إلى المدينة أسلم حسان مع الأنصار وانقطع إلى مدحه والنصّح عنه. وذلك أن الرسولْ حينما اشتد عليه أذى قريش بالهجاء قال لأصحابه: مايمنعُ الذين نصروا اللّه ورسولهْ بأسلحتهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها؟ وضرب بلسانه الطويل أرنبة أنفه وقال: واللّه ما يسرني به مِقْوَلٌ ما بين يُصرى وصنعاء! واللّه لو وضعته على صخر لفَلقه، أو

علـى شَـعـر احلقه! فقال له النبيّ: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: "أُسَـلك مـنهـم كـما تسل الشعرة من العجين" فقال: اهجُهم ومعك روح القدس.

كـان حسـان في الجاهلية شاعر أهل المُدن، وفي البعثة شاعر الـنبـوة وفـى الإسـلام شاعر اليمانية. وكان يغلب في شعره الفخر والـحـمـاسة والـمـدح والهـجـاء، وكلها أغراض تقتضي اللفظ الفخم والأسـلـوب الـقـوي، فبـدا عـلـيـه أثر من الحوشية والوحشية ذهب بـمـجـيء الإسـلام. ثـم سكنت عوامل الشعر في نفسه بسماحة الدين ومـوت الأحـقـاد و تـقدم السن، فما كانت تتحرك إلا ذياداً عنِ النبيّ ودفـاعـاً عـن الأنـصار من حين إلى حين. ولكن كثيراً من شعره في هـذا الـطور كان خشيباً، فكثربه السقَّط، وقلت فيه الجزالة، وغلبت عـليه السهولة، فرأى الأصمعي أن شعره لم يقوَ إلافي الشر، فلما جاء الإسـلام بالخير ضعف. وهو في شعره يضارع ابن كلثُوم في الفخر بقومه والمباهاة بنفسه، مع أنه كان جباناً مخلوع القلب.

الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي. كانت ولادته ونشأته بالبصرة، فدرج في عش الأدب وشب في ربوع الفصاحة. وأخذ أبوه يروّيه الشعر ويعلمه القريض حتى تفتقت عنه قريحته، وانطلق به لسانه؛ فقدمه ذات يوم إلى أمير المؤمنين عليّ بعد واقعة الجمل مفتخراً بجودة شعره على صغره. فقال عليه السلام أقرئه القرآن فهو خيرله. وكان الفرزدق معاصراً لجرير وكان بينهما تنافس وتحاسد. فما كاد يحتدم الهجاء بين جرير وبين شاعر آخر اسمه البَعِيث حتى وقف الفرزدق في صف البعيث وآزره. فغاظ ذلك جريراً فهجا الفرزدق، ورد عليه هذا، فاستطار بينهما الهجاء عشر سنين، وكان الفرزدق فاجراً، فاحش النطق، خبيث الهجاء، ضعيف الدين، قاذفاً للمحصنَات، يأوي إلى ركن شديد من شرف حسبه، وكرم نسبه. فاستعان بكل رذائله وفضائله على جرير فما هزمه ولا أسقطه.

كان الفرزدق فخوراً بأصله مدِلًّا بأهله، ولوعاً بتعداد مآثر أبائه حتى أمام الخلفاء، فغلب شعره في الفخر؛ ولغة الفخر

تقتضي الألفاظ الضخمة، والأساليب الفخمة، والكلم الغريبة، وذكر أيام العرب وأنسابهم، واحتذاء البادين في أساليبهم. لذلك أعجب به الرولة، وفضلة النحاة، وقالوا: لولا شعر الفرَزدق لذهب ثلث العربية. على أنه طالما تألم من صلابة شعره؛ وتمنى أن تكون له رقة جرير لعُهْره، ولجرير صلابته لطهره. وفي ذلك تأييد منه لحكم الأخطل عليهما بقوله: الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف من بحر.

والفرزدق بعد ذلك في الهجاء مقذع، وفي الوصف مبدع، وفي المديح وسط، وفي الرثاء متخلف.

جرير

هو أبو حزرة جرير بن عطية الخَطفي التميمي. ولد باليمامة لسبعة أشهر، ونشأ بالبادية، فشبَّ فصيح اللسان صحيح الوجدان مطبوع القريحة على الشعر. ولما آنس في نفسه القدرة على قرضه، والجرأة على عرضه، ورد البصرة موطن الفرزدق ينتجع الكرماء، ويمتدح الكبراء، ويمتار لأهله. فازدهاه ما رأى على الفرزدق من حُلل النعمة ومظاهر الجاه

بفضل الشعر، وهو تميمي مثله، فدب في قلبه دبيب الحسد له، واشتهى أن يساويه في حسن حاله، ووفرة ماله.

برىء جرير من خبث الأخطل وسُكره، ومن جفاء الفرزدق وفجره، وتجمل بصفاء الطبع، ورقة الشعور، ونقاء الجيب، وصحة الدين، وحسن الخلق، فظهر أثر ذلك كله في شعره، فامتاز بطلاوة الأسلوب، وحلاوة الغزل، ومرارة الهجاء، وإجادة الرثاء، وحسن التصرف في جميع فنون الشعر. فكان بذلك أظهر في سماء الشعر، أقرب إلى صفة الشاعر، واكثر أشياعاً من الأخطل والفرزدق. فإن الأول لم يجد إلا في المدح والهجاء والخمر، والثاني لم ينبغ إلافي الفخر.

ابن الرومي

أبو الحسن علي بن العباس بن جرجيس مولى عبيد الله بن علي رومي الأصل. ولد ببغداد وفيها نشأ وتأدب حتى شعر ونبغ. ثم قضى حياته كأكثر الشعراء في انتجاع السراة والولاة. وقد حمل الناسَ بلسانه على بره وتكرمته، إما رغبة وإمارهبة.

كان ابن الرومي شرهاً كما يظهر من غضون شعره. وله أشعار

كثيرة في الطعام والشراب. وكان شديد الطيَرةِ يغلو فيها ويحتج لها ويقول: إن النبيﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة، وأنه مر برجل وهو يزجَل ناقة له ويقول: (ياملعونة)، فقال لا يصحبنا ملعون.

كان في الناس من يعير ابن الرومي جنسيته، وينتقص لأجلها شاعريته كما يؤخذ من

قوله:

كم عائب كل شيء وكلٌّ ما فيه عيب
قد تُحْسِنُ الروم شعراً ما أحسنته العُرَيبُ
يا منكر المجد فيهم أليس منهم صهَيب؟

ولكن هذه الجنسية كان لها الأثر الأظهر والفضل الأكبر في نبوغه، فإنه جمع إلى تعمق الأريين في الفكر، تفوّق الساميين في الخيال؛ وضم إلى دقة الروم في التصوُر، قوة العرب في التصوير. فامتاز بتوليد المعنى واستقصائه حتى لا يترك فيه بقية لغيره. ومن ثم طالت قصائده من غير تكرير ولا سقط. وقلما رأينا شاعراً يسلم على الطول وتتساوى أجزاء قصيدته في الحسن والقوة. ولابن الرومي براعة نادرة في وصف الشيء وتشبيهه، وقدرة غريبة على العتاب والهجاء، لما كان يمنى به من جفاء الأصدقاء، وإعراض

الكبراء، لحدة طبعه وضيق خلقه. وهو في منزلة أبي تمام والبحتري، وربما فضلهما أحياناً؛ لأنه قال في كل فنون الشعر المعروفة (وزاد عليها زيادة لو وزعت على عشرة شعراء لأحلتهم منازل الفحول)

المتنبي

أبو الطيب أحمد بن الحسين المتبي ولد بالكوفة من أبوين فقيرين. كان أبوه سقاء بالكوفة، ثم سافر به صغير إلى الشام متنقلاً من الباديه إلى الحاضرة يسلمه إلى المكاتب، ويردده في القبائل، ومخايله نواطق بفضله، ضوامن لنُجحه، حتى توفي أبوه وقد ترعرع الشاعر ونال حظه من علوم اللغة والأدب فأخذ يضرب في الأرض ابتغاء للرزق واكتساباً للمجد.

وفي سنة ٣٢٣ ادّعَى النبوة في الشام وفتن شرذمة من الناس بقوة أدبه وسحر بيانه. ولما سئل عن النبيﷺ قال: إنه بشر بمجيئي وأخبر بنبوتي فقال: لا نبيَّ بعدي، وأنا اسمي في السماء (لا) وضف كلاما عارض به القرآن. فلما اشتهر أمره قبض عليه لؤلؤ أمير حمص نائب الأخشيدية، فأوثقه ثم أطلقه بعد أن استتابه

وتفرق عنه أصحابه.

المتنبي شاعر من شعراء المعاني، وفق بين الشعر و الفلسفة: وجعل أكثر عنايته بالمعنى, وأطلق الشعر من القيود التي قيده بها أبو تمام وشيعته، وخرج به عن أساليب العرب التقليدية. فهوإمام الطريقة الابتداعية في الشعر العربي. ولقد حظي في شعره بالحكم والأمثال، واختص بالإبداع في وصف القتال، والتثبيب بالأعرابيات، وإجادة التشبيه، وإرسال المثلين في بيت واحد، وحسن التخلص، وصرة التقسيم، وإيداع المديح، وإيجاع الهجاء، وأخص ما يميز المتنبي بروز شخصيته في شعره، وصدق إيمانه برأيه، وقوة اعتداده بنفسه، وصحة تعبيره عن طبائع النفس ومشاغل الناس وأهواء القلوب وحقائق الوجود وأغراض الحياة لذلك كان شعره في كل عصر مدداً لكل كاتب، ومثلا لكل خاطب.

بيت المتنبي يضيق أحياناً بمعناه فيعسر فهمه وتبعد غايته منه فيطيش سهمه وقد بلغ من إهماله اللفظ أن وقع بعض المساوىء، كاستكراه اللفظ، وتعقيد المعنى، واستعمال الغريب، وقبح الطالع، ومخلفة القياس، وكثيرة التفاوت في شعره، والخروج في المبالغة إلى الإحالة، كقوله:

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

أبو العتاهية

هو إسماعيل بن القاسم بن سُويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه أبو العتاهية ولد بعين التمر قرية بالحجاز ونشأ في الكوفة على صناعة أهله، وكانوا باعة جِرَار. فجعل يصطنعها ويحملها في قفص على ظهره متنقلا في شوارع الكوفة يبيعها. إلا أنه مع ذلك كان ولوعاً بالقريض، نزوعاً إلى الأدب، يقول الشعر على سجيته من غير أن يجهد نفسه فيه وربما حدّث ببعض الحديث فيأتي موزوناً مقفى فيظنه الناس نشراً وهو شعر. ومنشأ ذلك تمكن الشاعرية منه ورسوخها فيه، حتى إنه كان يقول عن نفسه " لو شئت إن اجعل كلامي كله شعراً لفعلت"

كان هذا الشاعر غزير البحر، لطيف المعاني،سهل الألفاظ، كثير الا فتتان قليل التكلف، إلا أن شعره كثير الساقط المرذول. وأجوده ما قاله في الزهد والأمثال. ولقد قال الأصمعي " إن شعر أبي العتاهية كساحة الملوك، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والنوى" وذلك حق؟ لأنه كان يرسل الشعر ارسالًا على البديهة من غير تعمُّل ولا تنقيح على أنه في الطبقة الأولى من المولدين كبشار

وأبي نواس، وهذا كان يفضله على نفسه ويمتاز أبو العتاهية بقلة تكلفه وسهولة ألفاظه حتى كادت تخرج إلى حد الا بتذال. وحجته في ذلك أنه يرمي إلى العظة والزهد فينبغي أن يكون شعره مفهوما لدى الناس على السواء.

أبو العلاء المعري

هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخيّ نسبة إلى تنوخ إحدى قبائل اليمن ولد هذا الفيلسوف الحكيم بالمعرة من أبوين شريفين. فقد كان أبوه من أفاضل العلماء وجده قاضيًا بالمعرة. فلما بلغ الرابعة من عمره أصيب بالجدري فذهب بيسرى عينيه وابيضت اليمنى؛ وحرم على نفسه الزواج ضنا بنسله على لؤم الناس وبؤس الحياة. ولم تزل تلك حالة حتى استأثر به الله سنة ٤٤٩، وقد أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

هذا جناه أبي عليّ (م) وما جنيت على أحد

ينقسم شعر أبي العلاء إلى قسمين: شعر الشباب ويجمعه سقط الزند؛ وشعر الكهولة وقد وعته اللزوميات فأما شعره في الشبيبة

فكثير المبالغة، واضح التقليد بَين التكلف، قلد فيه المتنبي واستمد منه أكثر معانيه، واستخف بقواعد اللغة، وجارى شعراء عصره في البديع. بيد أنه استعمل الغريب وأكثر في شعره من اصطلاحات العلوم، وقال في أكثر أغراض الشعر إلا في الخمر والمجون والصيد والهجاء، وقد سلم له في هذا الطور جملة من القصائد المختارة في الرثاء والمدح والفخر.

وأما شعره في الكهولة فقليل المبالغة والتكلف؛ قد عارض فيه المتقدمين العرب، فآثر اللفظ الجزل والأسلوب البدوي، وركب القوافي الصعبة. وقد ابتدع في شعره مناجاة الحيوان كمحاورة الديك والحمامة، ومناظرة الذئب والشاة. وهو أحكم الناس بعد أبي الطيب. ويختص دونه بالخيال الدقيق، وتصريف القول في الفلسفة والا جتماع وأخلاق البشر وأنظمة الحكومات والقوانين والأديان وهو واحد الشعراء هذا السبيل.

نثر أبي العلاء كشعره، يختلف في كهولته عنه في شبيبته. فقد كان كثير المبالغة، مفعماً بالغريب، متكلف السجع، كثير الا صطلاحات العلمية. ثم حكمت فلسفته في نثره فقلت المبالغة، وفاضت الجمل بالمعاني . ولم تخل كتابته من غموض يُعَنِّي القارىء

وتطويل يمله؛ فربما كتب الرسالة إلى أصدقائه فيمعن فيها ويستطرد حتى تكون كتاباً ضخماً غريب المسائل كثير الفوائد.

ابن الفارض

هو أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن الفارض. أصل آبائه من حملة ووُلد هو بالقاهرة سنة ٥٧٦، وتفقه في الدين، وتوسع فى اللغة والأدب، حتى أحرز منهما قسطاً وافراً. ثم وقع في نفسه أن ينهج منهج الصوفية، فاقتفى آثارهم وعرف أسرارهم. وذهب إلى مكة فزار البقاع المقدسة ومكث بها زماناً ثم رجع إلى مصر فقضى بها بقية عمره بين الإعظام والإكرام حتى توفي بالقاهرة ودفن بسفح المقطم سنة ٦٣٢هـ.

نشأ ابن الفارض في عصر الأيوبيين وهو عصر تنازعَ النفوس فيه عاملان مختلفان: عامل التصوف و التقوى، لدوام الحروب وتوالي الكروب من المجاعات والموَتان؛ وعامل الفسوق والمجون، لا نحلال الأخلاق وتحكم الشهوات، وانتشار المخدرات. واتجه الشعر في مصر وفي غير مصر إلى هاتين الوجهتين. فهوإما

أن يـراد بـه الـلّـه وإمـا أن يـراد به الشيطان. وابن الفارض قد نشأ نشـأة ديـنية، وربي تربية صوفية، فلم يكن له بد من سلوك طريقة الـقـوم فـي شعره، ينظم إشاراتهم، ويصف مقاماتهم، ويكثر من نعت الـخمر وذكر الغزل، مريداً بذلك الذات الإلهية عن اصطلاحهم. فكَان بـذلك مُـوجد الطريقة الرمزية في الشعر العربي Symolismeوهو أكثر الشعراء تعملاً للكلام وتكلفاً للبديع وولوعاً بالجناس والطباق، وأسبَـرُ مـعـاصـريه شعراً، لرقته واشتماله على ما يرضي المتصوف الـزاهـد، والعاشق الماجن: ذاك بباطنه وهذا بظاهره. فالمتصوفون يـنشـدونـه فـي مـجالس الذكر، والخلعاء يغنونه في مجالس الخمر. وقـد شرح ديوانه جماعة من العلماء واختلفوا في اغراضه، فمنهم من شـرحه على ظاهر اللفظ ولم يتأول شيئاً كالبوريني(١٠٢٤) ومنهم من شرحه وأوّله على طريقة الصوفية كالنابلسي (١١٤٣).

زهير بن ابي سلمى

نشـأ زهيـر بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزّني في أقارب أبيـه مـن بني غطفان، ولزم بشامة بن الغدير خال أبيه، وكان رجلاً

مقعداً عقيماً حكيماً قد اشتهر بسداد الرأي وجودة الشعر ووفرة المال، فاغترف من شعره وتأثر بعلمه وحكمه، وظهر ذلك جليًا فيما رصع به شعره من درر الحكمة. ولما مشى الحارث بن عوف وهرم بن سنان المريان بالصلح بين عبس وذبيان وأطفآ نار الحرب باحتمالهما ديات القتلى عن الحيَّين، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير، استفزته هذه الأريحية فمدحهما بمعلقته.

وتوفي قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وقد أسلم ولداه كعب وبجُير.

بيت زهير عريق في الشاعرية: فأبوه وخاله، وأختاه سلمى والخنساء، وولداه كعب وبجيْره، من الشعراء المذكورين، وذلك مالم يكن لغيره. وهو كما علمت أحد الثلاثة الفحول. وفي الناس من يفضله على امرىء القيس والنابغة، لأن شعره يمتاز بصدق اللهجة، وخلوه من الحوشِيِّ والتعقيد، وبعده عن سخف القول وهُجْر الحديث، وجمعه الكثير من المعاني في قليل من الألفاظ. وهو واحد من الشعراء في إجادة المدح وضرب المثل وإرسال الحكمة. وزهير من عبيد الشعر الذين تعملوه ونقحوه. وله قصائد تعرف بالحوليات يزعمون إنه كان ينظمها ري أربعة أشهر ويهذبها في

أربعة، ثم يعرضها على خاصة الشعراء في أربعة، فلا ينشدها الناس إلا بعد حول.

موضوع معلقته كما علمت مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان المرّيين على سعيهما بالصلح بين عبس وذبيان. ولكنه افتتحها على عادة الجاهليين بالوقوف على أطلال الأحبة وتحيتها ونعتها وتنسم الذكريات من خلال آثارها، فوقف على الدمن البكم الدوارس من ديار أمّ أوْفىٰ بعد أن أتى على عهده بها عشرون سنة فلم يعرفها إلا بعد مشقة:

الخنساء

هي السيدة تُماضِر بنت عمرو بن الشريد السُّلمية. والخَنْساء لقب غلب عليها: وفدت في قومها على الرسول ﷺ فأسلَمت، وأنشدته فاهتز لشعرها واستزادها بقوله: هيه ياخُناس! وكان في الظن أن تُنَهْنِه الخنساءُ بعد إسلامها دموع الجزع على أبيها وأخويها تعزياً بالدين وعزوفاً عن سنة الجاهلية، إلا أن وجْدها على صخر كان وراء الصبر وفوق العزاء؛ فلم تزل تبكيه وترثيه حتى ابيضَّت عيناها من الحزن. وكانت تقول: كنت أبكي له

من الثار، وأنا اليوم أبكي له من النار. على أن السن والزمن والدين ما زالت بهذه الكبد القريحة اندملت؛ فوجدت الخنساء في شيخوختها آسيا من رَوْح اللّه ومواسياً من فضله؛ فتقبلت مصرع بنيها الأربعة صابرة محتسبة وقد حر ضتهم على القتال في حرب القادسية فاستشهدوا جميعاً. فلم تزد على أن قالت. الحمد للّه الذي شرفني بقتلهم، وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.ثم توفيت بالبادية عام ٢٤هـ.

ليس في شواعر العرب قبل الإسلام وبعده من تفوق الخنساء في رصانة شعرها، ورقة لفظه، وحلاوة جَرْسه، ولربما ضارعت في هذه الشفات الشعراء الفحول.ويرى النابغة وجرير وبشار أنها أفضل من الرجال، لما في شعرها من قوة الرجولة ورقة الأنوثة. وقد غلب في شعرها الفخر والرثاء. أما الفخر فلأن أبا ها أمثلُ قومه، وأخويها خيرا مضر؛ وأما الرثاء في الرجل، فكيف به في المرأة؟ وكانت لا تقول إلاالبيتين أو الثلاثة قبل مقتل أخويها، فلما قتلا فاض الدمع من عينها، والشعر من قبلها، فأتت في رثائها بالمعجب المعجز. وظلت الخنساء في شعرها بدوية جاهلية، فلم تتأثر بالإسلام كثيرا ولا قليلاً.

محمود سامى البارودى

(١٨٣٩-١٩٠٤م)

رائد الشعر الحديث

ولد محمود سامى البارودى فى القاهرة، وقد تيتم الصبى وهو فى السابعة من عمره فعنى بعض أهله بتعليمه والتحق بالمدارس الحربية فخرج منها ضابطا متقنا للفنون الحربية ومولعا مع ذلك بالأدب والمطالعة. فقرأ دواوين الشعراء وخالط من عاصره من الأدباء، فقويت شاعريته وتقوم لسانه على الفصاحة، فنظم الشعر وهو فى نحو العشرين من عمره. وتوفى البارودى عام ١٩٠٤م.

آثاره :

للبارودي ديوان شعر فى جزءين، وله أربع مجموعات شعرية تعرف "بمختارات البارودي".

شاعريته :

نظم البارودى فى أغراض الشعر القديم، وتحرى مجاراة

الأقدمين فى أساليبهم ومعانيهم فوقف على الأطلال وذكر أشياء من الصحراء وشبه المرأة بالمها والظبي.

رأس البارودي مدرسة بعثت الشعر من جديد وعادت به إلى عصر العباسيين فى جزالته وروعته.

وكان البارودي يتخير الألفاظ المناسبة للمعاني فيرق ويلطف فى مقام الرقة واللطف، ويجزل شعره ويجلجل لفظه ويشتد أسره حين ينشد فى الحماسة والفخر والمديح.

للبارودي وجهان، وجه الشاعر المقلد الذي وقف على الأطلال والدمن.

والوجه الثانى للبارودي هو الشاعر المجدد.

أحمد شوقى

(١٨٦٨-١٩٣٣م)

هو أحمد شوقى بن على شوقى بن أحمد شوقى ولد ونشأ فى بيئة عربية مسلمة ولد فى سنة ١٨٧٨م بالقاهرة، وبها نشأ وبدأ دراسته، وكان على جانب من سعة الرزق، فعاشت أسرته فى رخاء

ونعيم، وحينما بلغ أحمد الخامسة من العمر ألحق بالمدرسة الابتدائية، ثم اتصلت دراسته حتى لحق بمدرسة الحقوق.

ربطه أستاذه البسيونى الذى كان أحد شيوخ الأزهر بالقصر شاعرا. فمهد ذلك طريق الابتعاث لشوقى إذ تخرج شوقى من قسم الترجمة بمدرسة الحقوق. وفى عام ٢٨٨٧م سافر إلى فرنسا على نفقة الخديوى توفيق لدراسة الحقوق فبقى هنالك ثلاثة أعوام.

وفى عام ١٩٢٧م أقام شعراء العربية مهرجانا شعريا فى القاهرة لتحريم شوقى فتوافد على القاهرة شعراء العرب من كل مكان وأعلنوا مبايعتهم لشوقى، أمير للشعر، بقى شوقى يحتل منزلة كبيرة فى نفوس العرب حتى توفاه الله سنة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

آثاره : ترك شوقى جملة من الآثار من أهمها :

١- الشوقيات: وهو اسم ديوانه ويقع فى أربعة مجلدات.

٢- أرجوزة (دول العرب وعظماء الإسلام)

نازك الملائكة

(١٩٢٣م)

ولدت فى بغداد عام ١٩٢٣م ونشأت فى رعاية أمها الشاعرة أم نزار الملائكة وأبيها صادق الملائكة، فتربت على الدعة و هيئت لها أسباب الثقافة، وبعد دراستها الثانوية والعالية والتخرج فيهما بدرجة الامتياز غادرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للاستزادة من معين اللغة الإنجليزية و آدابها بالإضافة إلى آداب اللغة العربية التى أجيزت فيها، وأجادت من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية، وبدأت نظم الشعر بالشكل التقليدى الكلاسيكى ثم تحولت عنه إلى الشعر الحر.

آثارها

لها دواوين شعرية عديدة منها:

(١) عاشقة الليل (٢) شظايا ورماد (٣) مأساة وأغنية للإنسان (٤) قراءة الموجة (٥) شجرة القمر

شاعريتها

نازك شاعرة كبيرة وراثئة مجددة طليعية فى تكنيك الشعر

الحر، ودراسته ونقده، يتصف شعرها بالحساسية المفرطة وبالألم الحاد، إنه شعر من امرأة الشرق أحبت أن تعيش وأن تحيا وأن تحب وأن تحقق ما تصورته فى فجر عمرها عن غد موعود، فلما أدركت رأت الحياة عكس ما تصورت واشتهت، رأت فيها الصرامة واتزمت والقيود والتضييق،فأصيبت بخيبة أمل مريرة، قالت من قصيدة فى" شظايا ورمد":

وأدركت ماهى أى فراغ ثقب

أخيرا تبينت الفقاقيع واخيب

وأدركت أنى أضعت زمانا طويل

وإنها من أحسن الشعراء الذين اعتمدوا على الشعر الحر للتعبير عما يدور فى عقولهم، وفى الحقيقة تعلور الشعر الحر بمحاولات نازك وزملائها فى هذا المجال.

وإننا إذا لاحظنا أسلوب التعبير عن الزمان و محتواه الشعورى عند نازك وجدنا أنها انتقلت خلال سنوات متعددة من شاعرة رومانسية إلى شاعرة رمزية انتقلت من التعبير المباشر إلى التعبير الرمزى الذى يوحى بالحالة النفسية إيحاء رمزيا.

ولا نجد عند نازك إلا الأشباح والخيالات الهاجسة والخطرة

الرشيقة الحزينة، نهلك من المهجريين بعض رومانسيتها فتغلف شعرها بمسحة من الكآبة والحزن من شكوى مريرة حتى خلقت لذاتها عالمامن الألم وجدت فيه لذتها.

جميل صدقي الزهاوي

(١٨٦٣-١٩٣٦م)

ولد ببغداد، ونشافى أسرة تميزت بالدين والفقه و الأدب، وكان أبوه فقيها ومفتيا.تخرج من مدرسة أبيه فى العلوم الشرعية والآداب الإسلامية، نظم الشعر بالعربية والفارسية فى حداثة سنة. عين الزهاوي قبل أن يبلغ ٢٥ من عمره عضوا فى مجلس المعارف. ثم مدير المطبعة الحكومة، ثم محررا بالجريدة الرسمية، ثم انتخب عضوا فى محكمة الاستئناف.

تعلم العلوم الطبيعية والفلسفية، وأتقن فيها بعقله النافذ حتى ألف كتاب 'الكائنات' فى الفلسفة. وكتاب 'الجاذبية وتعليلها' فى الطبيعة. ذهب إلى الآستانة، وعين رئيسا لقسم الفلسفة الإسلامية، ثم مدرسا للآداب العربية، ثم عادإلى بغداد فعين أستاذا، للشريعة

فـى مـدرسة الـحـقـوق،ثـم انتخب عضوا بمجلس الأعيان العراقي. وهـو فى خلال ذلك كله لا يخلو عن نظم الشعر والقرائة. توفي سنة ١٩٣٦م.

ظهـرت عبـقـريتـه الشـعـرية بـعد رجوعه من الآستانة، وأخذ يـنظم القصائد وينشرها فى 'المقتطف' و 'المؤيد' . وكان أكثر شعره مـوضوع فلسفي أو اجتماعي، واستنهض به أمته العربية، وأحدثت قـصائده انقلابا فى الأدب، وهو شاعر من شعراء الفكرة. ومن آثاره 'الشـذرات' و'نـزغـات الشيـطـان' و 'الـكـلام الـمنظوم'. وله رباعيات عارض بها عمر الخيام والمعري.

أبوالقاسم الشابى

(١٩٠٩م - ١٩٣٤)

ولـد أبـو الـقـاسـم الشـابـى فى تونس عام ١٩٠٩م فى أسرة عـريـقة ذات مـجـد، ودرس الـنـحـو الـصرف والبيـان والأدب على الأسـاليـب الـقـديـمة فى جامع الزيتونة أعظم الزيتونة أعظم معاهد تـونـس، و التـحـق بـمـدرسة الحقوق وحصل على إجازة الحقوق،

أصيب بداء تضخم القلب وهو فى الثانية والعشرين من عمره، بيد أنه رغم منع الطبيب له من العمل لم يقلع عن عمله الفكرى وواصل إنتاجه شعرا ونثرا، وشرع فى جمع ديوانه ولكن المنية حالت دون مانوى وتوفى سنة ١٩٣٤م.

آثاره

(١) ديوان " أغانى الحياة" بدأ جمع هذا الديوان ولكن الموت لم يسمحة بذلك، وأتمه أحمد زكى أبو شادى و طبعه، (٢)كتاب " الخيال الشعرى عند العرب" (٣) كتاب " صفحات دامية" (٤) كتاب "رسائل الشابى" (٥) كتاب "يوميات الشابى" (٦) رواية " المقبرة" (٧) مسرحية " السكير"

شاعريته

تأثر الشابى بالمهجريين جبران ونعيمة وإيليا، مما جعل شعره حرا منطلقا يجمع بين التمرد والتصوف معا مع الحساسية الشفافة والعاطفة الرقيقة مع دعوة إلى الإصلاح الاجتماعى والدعوة إلى التحلل من قيود القديم الرجعى وحب للطبيعة، وإنه أعلن تحرره على قيود اللغة والقافية وهاجم كل قديم، واتصل بجماعة أبو لو ونشر أجود شعره فى مجلتهم، وكانت بينه وبين أبو شادى

وناجى رسائل جريئة فى النقد الأدبى.

ثم ذهب إلى خوارزم يتجر ثم إلى الموصل ثم إلى حلب، وتوفى سنة ٦٢٦هـ، وقد ألف معجم الأدباء ويسمى بارشاد الأديب، ومعجم البلدان والمبدأ والمآل، ومعجم الشعراء وغير ذلك.

معجم الأدباء

معجم الأدباء هو معجم تاريخى يشبه معجم الجغرافى لكنه أكبر منه وأوسع، ترجم فيه النحويين واللغويين والشعراء والمؤرخين والكتاب وأصحاب الرسائل، ويهتم بذكر تاريخ الميلاد والوفاة لمن يترجم له أو يذكر على الأقل تاريخ الوفاة، وهو فى ذلك أكثر استيفاء من معجم الشعراء للمرزبانى كما أنه حريص على ذكر مؤلفات كل مؤلف وذكر من رووا عنهم أو أجازهم.

ولم يلتزم ياقوت بالتصنيف المكانى بل جمع كاتب كل البلاد فى ترتيب أبجدى، بدأ ياقوت كتابه بمقدمة سمية ثم اتبع ذلك بفصل فى فضل الأدب وأهله وذم الجهل و حملته، ثم اتبع هذا الفصل بفصل آخر فى فضيلة علم الأخبار، وبعد ذلك يشرع ياقوت فى ترجمته للأدباء فلايفرع من كاتب إلا أن يذكرله من الروايات والأخبار والأشعار وآراء غيره فيه ما يعين على تحديد مكانته،

وذكر فيه من عرف بالتصنيف واشتهر بالتأليف.

وإنه كتاب عظيم غالى القيمة فريد النظير فى جوهره خصيب فى عطاء كريم فى فيضه، ولا يستغنى عنه باحث أو طالب علم أو أديب أو معلم، وبالجملة أنه موسوعة عربية وسفر جليل لاغنى عنه لكل شائق الأدب وناشئ ودارس وناهل من الآداب العربية، بل هو فى الحق كنز من كنوز اللغة وثروة من ثرواتها الضخمة ومورد من أعذب مواردها.

Published in India by Prof.Basab Chaudhuri,
Registrar, Calcutta University. 87/A. College Street,
Kolkata 700 073 and Printed by Dr. Aparesh Das,
Superintendent, C.U. Press, 48, Hazra Road, Kolkata 700 019.

SCUP/6UG/14–15/1000 Copies Price : Rs 150.00only